کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

الكوفة

المدرسة العلوية الكبرى

اسم الكتاب: الكوفة .. المدرسة العلوية الكبرى.

تأليف: فائق عبدالحسين الشمري.

الغلاف: نجاح الدجيلي.

الإخراج الفني: ميثم بحر.

الطبعة: الأولى.

الكمية: ١٥٠٠ نسخة.

الناشر: أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به.

سنة الطبع: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لأمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

www. masjed-alkufa.net

الكوفة

المدرسة العلوية الكبرى

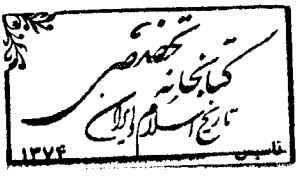

تأليف

فائق عبد الحسين الشمري

الكتاب الفائز بجائزة المربد الثامنة في مسابقة السفير للإبداع الفكري

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ◆ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

سورة إبراهيم، الاية / ٢٤- ٢٥

الإهداء

الى بطل الكوفة الاول وفارس نهج بلاغتها
وعميد مدرستها الكبرى
أمير المؤمنين
الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

مقدمة الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين النبي الخاتم، والرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وعلى آله) الأخيار، الأئمة الأطهار وسلّم تسليماً كثيراً.

ببالغ السرور والغبطة أكتب هذه الكلمات التي أقدّم بها لكتاب(الكوفة، المدرسة العلوية الكبرى) للمؤلف الأستاذ فائق الشمري، والذي شارك في مجال التأليف ضمن جائزة مسلم بن عقيل للابداع الفكري، وحصل على المركز التاسع، بعد أن عرضت المشاركات على أساتذة أكفاء في اختصاصات متنوعة، ليكون التقييم منطقيا وعلميا وليضفي على الجائزة قوة ورصانة، ويعطي بنفس الوقت حالة من الإطمئنان لدى الأخوة المؤلفين المشاركين في هذه المسابقة، وحافزا للأقلام المبدعة أنْ تشارك في الأعوام القادمة إنْ شاء الله.

ومما أوّد أن أشير إليه في هذه العجالة أنّ الكوفة بحق كانت المدرسة بل الجامعة الأولى التي أسسها أمير المؤمنين(عليه السلام) ومن اليوم الأول الذي وطئت به أقدامه أرض الكوفة ومسجدها الجامع، ولاغرابة في الأمر، فبوجود التلاميذ من مريديه ومواليه الذين يؤمنون بالإمام علي باب علم النبي(صلى الله عليه وآله) وبحضور الإمام(عليه السلام) يكون السؤال من تلاميذه حاضرا والجواب من خازن علوم النبي موجودا.

ومن هنا تأسست الجامعة الإسلامية الكبرى، التي خاضت في جوانب متعددة من العلم كالفقه والقرآن والتفسير والنحو والبلاغة والأدب والقضاء والسياسة والفنون القتالية وغيرها، فالإمام سلام الله عليه ينتظر السؤال ليجيب، وهو القائل، وفي فناء هذا المسجد: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات، فاني أعلم بها من طرق الأرض). ومما تجدر الإشارة اليه أنّ اللجنة

استقبلت سبعة عشر كتابا، كلها ألفتْ ضمن محاور المسابقة، والتي شملت تأريخ مسجد الكوفة، ومسلم بن عقيل(عليه السلام) وهاني بن عروة والمختار الثقفي رضوان الله تعالى عليهما، كما شملت علاقة الأئمة الأطهار بالكوفة، وأتباع أهل البيت من الكوفيين.

وبعد أن أفرزت اللجنة الكتب الثلاثة التي حازت على الجائزة أوصت بطبع الكتب العشرة الأولى، لتكون بيد القارئ الكريم فتعم الفائدة.

ومن المعلوم أنّ جائزة السفير مسلم بن عقيل تنوعت في محاورها لتضمّ إضافة الى التأليف والتحقيق فن الرواية والقصة القصيرة وقصص الاطفال والمسرحية والمقالة والشعر وفن الخطابة وحفظ وتلاوة القرآن الكريم، مع ما ضمّه المهرجان من جلسات بحثية أو معرض للكتاب شاركت فيه دور نشر عالمية وعربية ومحلية، إضافة الى معرض الخط والزخرفة الإسلامية والفن التشكيلي والذي شارك فيه نخبة من فناني العراق من شماله إلى جنوبه ومعرض آخر للصور الفوتغرافية.

وقد استمرت المعارض على مدى سبعة أيام لاقت فيها إقبالاً جماهيراً واسعاً وقد أبدى الحاضرون استئناسهم بهذه الفعاليات الثقافية والتي تنسجم مع واقع المسجد وتأريخه الكبير ومع توجهاته في الوقت الحاضر، حيث حرصت الأمانة أنْ يكون المسجد مركز إشعاع فكري يتألق من جديد ليعم بنفعه كلّ أرجاء المعمورة.

وبالعودة إلى الكتاب نجد أنّ الأخ المؤلف قد بذل جهدا كبيرا ومتميزا في البحث والاستقصاء عن تأريخ الكوفة والمدارس الإسلامية، وكون المسجد هو أول مدرسة في الأسلام، وتعرّض إلى المدارس العلمية في ظهر الكوفة (أي النجف اليوم) وتعمق في وصف معمارية المدارس الدينية، وابتدأ بمدرسة الروضة الحيدرية وهي المدرسة الأم بلا منازع ثم عرّج الى ذكر المدارس التي أسست في حاضرة النجف الأشرف منذ القرن الثامن الهجري، حتى الوقت الحاضر ثم ختم بحثه بالتطرق الى مكتبات النجف الأشرف العامة مبتدئاً بمكتبة الإمام أمير المؤمنين

العامة ومكتبة الحكيم، ومكتبة الإمام الحسن، ومكتبة الإمام الحسين، ومكتبة الإمام الصادق متخذاً منها نموذجاً لبقية المكتبات العامة في النجف الأشرف.

ومما لايخفى أنّ أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به وإيمانا منها بأهمية المكتبة والكتاب فقد عمدت إلى تأسيس مكتبة عامة في مسجد الكوفة تفتح أبوابها من الصباح، حتى الليل أمام طلاب العلم والباحثين والمؤلفين، وبفضل من الله سبحانه وتعالى أصبحت في عام ٢٠١٢ ميلادي أكبر مكتبة في قضاء الكوفة زاد عدد كتبها على الإثني عشر ألف كتاب بمختلف العلوم، كما بادرت الأمانة الى تأسيس أول دار للمخطوطات في قضاء الكوفة ضم نفائس المصاحف والكتب التي يصل عمر البعض منها إلى أكثر من سبعمائة سنة ستوظف في خدمة الباحثين والمحققين.

في الختام لا يسعني إلاّ أنْ أتقدم بالشكر والعرفان إلى الاخ المؤلف والى اللّجنة العلمية واللجنة العليا المشرفة على المهرجان، والشكر لكل الأخوة في اللجان الفرعية، بل لكل منتسبي أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به على ما بذلوه من جهود جبارة في خدمة سفير الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام) ومهرجان السفير، ليخرج بهذه الإطلالة الجميلة التي أعجبت الجميع، للكل دعائي بالتوفيق وقبول الأعمال، إنّ الله سميع بصير، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

السيد موسى تقي الخلخالي
أمين المسجد والمشرف العام على المهرجان
الاحد ٢٤ / جمادى الآخرة / ١٤٣٤ هجري

مقدمة المؤلف

الحمد لله سابغ النعم، والشكر لله ذي الجود والكرم، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

الكوفة ثاني مدينة مصّرت في الإسلام بعد الفتح الإسلامي، أعيد تأسيسها عام ١٧ للهجرة الموافق ٦٣٨م، بعد انتصار المسلمين في معارك القادسية والمدائن وجلولاء، لتكون قاعدة عسكرية ومقراً عاماً لقيادة جيوش المسلمين نحو الشرق، ودار هجرة لأشهر الصحابة وأعرق القبائل العربية المقاتلة، ثم تحولت هذه القاعدة العسكرية إلى مدينة عظيمة في فترات قصيرة، وصارت مناراً علمياً وأدبياً، ومركزاً فكرياً وسياسياً لا نظير له.

عرفت الكوفة في فترة من الفترات بـ(سورستان) و(خد العذراء)، وحينما مصرها العرب عرفت بالكوفة من التكوّف(التجمع) وسميت كوفاني وهي(المواضع المستديرة من الرمل)، وكل ارض فيها الحصباء مع الطين والرمل تسمى (كوفة)، وسميت (كوفان) بمعنى (البلاء والشر) أو (ما بين الدغل والقصب والخشب)، كما سميت بكوفة الجند (لانها اسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند).

ومهما يكن اسمها فإن الكوفة؛ جمجمة العرب، ورمح اللّه، وكنز الإيمان، عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام وفيها شيعته ومحبوه وأنصاره، يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) فيها: (إن مكة حرم إبراهيم عليه السلام، والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، والكوفة حرمي).

حفل تاريخ هذه المدينة المقدسة، لا سيما في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، بأروع الإنجازات في الفقه والحديث والتشريع فضلا عن اللغة والأدب،

وبمستويات من الحضارة والحياة الجديدة، جعلها سباقة في هذا المضمار، وظل مسجدها الكبير شاهداً على عنفوانها وعظمتها، وصار لها رصيداً روحياً، ورمزاً للتضحية والاستشهاد، وكانت الكوفة المعين الذي ارتوى منه الكثير من عباقرة العلم والمعرفة.

ذكر العلاّمة السيد هاشم معروف الحسني عن جامعة أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم الكبرى في المدينة المنورة والكوفة؛ فقال: (ومهما كان الحال فلقد تتابعت الوفود من جميع المدن والقرى على جامعة أهل البيت ونشطت الحركة العلميّة في عهد الإمام الصادق(عليه السلام) إلى أبعد الحدود بعد أن زالت الحواجز التي كانت تحول بين النّاس وبينهم، وبلغ عدد المنتمين إليها أربعة آلاف كما أحصاهم أبو العباس أحمد بن عُقدة المتوفى سنة ٢٣٠هـ في كتاب مستقل، وأيده الشّيخ نجم الدين في المعتبر، وأدرك منهم الحسن بن عليّ الوشّا وكان من أصحاب الرضا عليه السلام تسعمائة شيخ يجتمعون في مسجد الكوفة يحدثون عن جعفر بن مُحمّد ويتدارسون فقهه وذلك بعد أكثر من عشرين عاماً مضت على وفاة الصادق عليه السلام).

ولهذا التاريخ الثر، عاشت الكوفة ومن بعدها ظهرها "النجف الاشرف" بمرقد مشرفها الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وحوزتها المباركة مراحل تاريخية صعبة، ظلت لقرون طويلة تصارع وتقاتل من دون هوادة من أجل الحفاظ على هويتها العربية الإسلامية، بوصفها حاضنة للفكر الشيعي على امتداد قرون طويلة من الزمن الصعب، وقدّمت من اجل ذلك قرابين من الأضاحي على طريق الحرية والخلاص، فتفرقت قبائلها وتشتت جمعها وتصحّرت أرضها المخضرة المعشوشبة، وأصابها القحط والجدب، من خلال مخطط تدميري، كاد يقضي على تلك المعالم الحضارية والتاريخية والثقافية والإنسانية، لولا رعاية الله وحفظه لها ولأهلها من كلّ من أراد بها سوءً من الأولين أو الأخرين.

وياتي كتابنا هذا كنوع من الوفاء لهذه المدينة المعطاء، ومدرستها الكبرى،

التي ارسى قواعدها أمير البلاغة والبيان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ليتتبع معالم هذه المدرسة المباركة منذ نشوئها وحتى يومنا هذا، وهو من ألطاف الله عز وجل علينا أن وفقنا لهذا العمل وهدانا للكتابة في هذا المضمار المبارك، وجعل مدادنا يخالط مداد العلماء الكبار الذين حملوا راية الدين والهدى، وجعلنا ممن يساهم في إحياء ذكرهم وعلمهم، وهذا وحده مما لا يسعه شكر ولايحده ثناء.

كما هي محاولة لإعادة الجمع بين المدينتين العريقتين، الكوفة العلوية المقدسة ومدينة النجف الاشرف كونهما امتداد لحالة واحدة، أسس لها أمير المؤمنين عليه السلام فكان في الكوفة التأسيس وارساء القواعد، وفي الغري أقامة البنيان وقطف ثمار شجرة العلم الوارفة، التي تأتي أكلها كل حين.

وقد أعتمدت بكتابي هذا اشارات كبار الباحثين وعلماء التاريخ الاسلامي، فضلا عن اعتمادي على البحث الميداني وبخاصة فيما يتعلق بأماكن الدراسة ومحال طلب العلم والتزود به أبتداء بمسجد الكوفة المعظم والروضة الحيدرية المقدسة والمدارس الدينية والمكتبات العامة المنتشرة في مدينة النجف الاشرف ومدينة الكوفة المقدسة.

يقع بحثنا هذا في ثلاثة فصول ابتدئ الحديث فيه بمدخل تناول التعلم وظهور المدارس الإسلامية، وبثلاثة محاور؛ الأول تحدث عن التعلم وطلب العلم، والثاني حدد ومن خلال بحث تاريخي أولى المدارس في الإسلام، وتحدث المحور الثالث عن ظهور مدينة الكوفة المقدسة، وأهميتها ومكانتها.

وبعد هذا المدخل يبتدئ الكتاب بعنوان الفصل الأول الموسوم: المسجد مدرسة الإسلام الأولى.

تناول المبحث الاول فيه الحديث عن المسجد في الاسلام، في محاور عدة هي: (في معنى لفظ مسجد، انواع المساجد، معمارية المسجد، المسجد وطلب العلم، مساجد معظمة، مساجد الكوفة).

وبعد هذه الفقرة تناول المبحث الثاني مسجد الكوفة المعظم.. كونه مركز مدرسة الكوفة الكبرى، حيث تم تناول ادوار المسجد التاريخية، ومقامات المسجد المعظم التي تروي من خلال عناوين هذه المقامات مكانة هذا المسجد ومن مر به على مدى تاريخه الطويل.

وفي المبحث الثالث، تناولنا بشيء من التفصيل حركة الكوفة العلمية، والوقوف عند ابرز محركاتها، ومن خلال عناوين الفقرات التالية: (نشأة المدينة العلمية، أستاذ الكوفة الاول، مدرسة الامام الصادق عليه السلام، مدينة الكوفة ونشاط الحركة العلمية، أسر الكوفة العلمية، الصحابة الذين نزلوا في الكوفة).

اما الفصل الثاني فيتناول ظهر الكوفة (مدينة النجف الاشرف) كونها الوريث الشرعي لمدرسة الكوفة الكبرى وامتدادها الحقيقي، بعد ان شاءت الظروف تراجع دور مدينة الكوفة المقدسة، وبداية تسلم الامانة منها مع دخول الشيخ الطوسي "رضوان الله تعالى عليه" اليها، وعمله الجاد بتنظيم الدراسة ووضع لبنات تأسيس حوزتها الكبرى حيث كان المبحث الاول مركزا على انتظام الدرس الحوزوي في مدينة النجف الاشرف، ضامًا فقرات عدة: (ظهر الكوفة والشيخ الطوسي(قدس سره)، الحوزة العلمية، الدراسة الحوزوية).

في حين كان المبحث الثاني مخصصا لمدرسة الروضة الحيدرية. مركز الاشعاع الفكري المبارك ومؤسس مدرسة أهل البيت الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام " خصوصا ان المدرسة التي نشات عند المرقد المبارك كان لها بالغ الاثر في مجمل الحركة العلمية في هذه المدينة المقدسة، حيث كان بفقرتين: (نشأة المدرسة، والمحاور الثقافية لمدرسة الروضة الحيدرية المقدسة).

وقد تم تفصيل القول في الفقرة الثانية لاهميتها كونها تضم محاور ثقافية لهذا المكان المقدس الذي حمل فيما بعد منار العالم والتعلم وأستقطب أساطين العلم الذين حفظوا المذهب وصانوه، وكانت على النحو التالي: (أولا: المدرستان الدينيتان، ثانيا: مكتبة الروضة الحيدرية، اما المبحث الثالث فقد كان الحديث فيه

مخصصا لمساجد الروضة الحيدرية. (مسجد عمران بن شاهين، مسجد الرأس، مسجد الخضراء).

اما الفصل الثالث فكان مخصصا لبحث محاور اتساع مدرسة النجف الاشرف ودراسة هذا الاتساع وتكوين تصور كاف عنه للباحث من خلال الوقوف على الاماكن التي تواجد بها طلبة العلوم الدينية وهي اماكن الدراسة المتمثل بمدارسها الدينية، حيث تناول المبحث الأول فقرات عدة تخص هذه الأماكن الدراسية، ابتدأت اولا بشروط السكن ووقفية الواقف، بالاضافة الى ميزة مهمة جدا تمثلت في ذوبان الجنسيات والاعراق في هذه المدارس، في حين تناول المبحث الثاني اطلالة على بعض اهم مدارس النجف الدينية، جمعت فيه مشوار سنتين او أكثر لتتبعي هذه المدارس والوقوف عندها وزيارتها بشكل شخصي ودراسة كل ما يتعلق بها، وقد نشرت الكثير من هذه الزيارات على صفحات مجلة الولاية الصادرة عن العتبة العلوية المقدسة، سيصدر ان شاء الله بشكل بحث مستقل بالمستقبل القريب.

اما المبحث الثالث، فقد تناولت فيه محورا آخر من محاور جامعة النجف الدينية وهو محور لايقل عن أهمية عن المحور الاول، ويتمثل بمكتبات النجف الاشرف العامة كونها امتداد الماضي والق الحاضر، حيث كان هذا المحور بفقرتين الاولى تناولت علاقة النجف بالكتاب، والفقرة الثانية تناولت بعض مكتبات النجف الاشرف العامة بالبحث والتحليل مع تركيز الضوء على نماذج من هذه المكتبات بشيء من التفصيل لتظهر للباحث والمتتبع عمق هذه المؤسسات الثقافية ومدى امكانياتها ورغبتها بخدمة العلم والتعلم.

وفي ختام هذه الجولة التاريخية والعلمية تأتي خاتمة البحث لتبيان لبّه، وتبيان ان هاتين المدينتين (الكوفة والنجف) أسستا لمدرسة أممية علوية كبرى أبتدأت منذ أكثر من ألف عام وما زالت - ولن تزول- ياتيها الوافدون من كل حدب وصوب لتكون ميناء يقصده المتعطشون للنهل من معين مدرسة اهل البيت(عليهم

السلام) وتكون مناراً لكل الراغبين والباحثين عن العقيدة الحقة.

نسأل الله أن ينفع به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وهو الموفق والمسدد وهو المعين والهادي.

فائق عبد الحسين الشمري

العتبة العلوية المقدسة

غرة شهر رمضان المبارك ١٤٣٣هـ

مدخل البحث
التعلم، وظهور المدارس الاسلامية

١ـ التعلم وطلب العلم:

إقرأ.. كانت هذه الكلمة اولى الكلمات النورانية التي نزلت على قلب المصطفى(صلى الله عليه وأله) لتظهر الصلة بين دعوته المباركة وبين العلم..(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ◆ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ◆ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ◆ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ◆ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(العلق/٥).

نَزَلت، فأعشب القاحل وأرتوى المجدب، بعد ان كانت مكة عصرئذ جديدة عهد بالمعرفة ولم يكن بين رجالها ممن يجيد القراءة والكتابة سوى سبعة عشر رجلا أو أقل..

يقول أمير البلاغة(عليه السلام) في ذلك: (إنّ اللهَ بَعثَ مُحمّداً (صلى الله عليه وآله)، وليس أحدٌ مِنَ العَربِ يَقرأُ كِتاباً، ولا يَدعي نُبوة، فساقَ الناسَ حتى بَوّأهُم مَحلتُهم، وبَلّغَهم مَنجاتَهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم...)[١].

و بين كلمة(إقرأ) والرجال الـ(سبعة عشر) وقف المصطفى(صلى اللّه عليه وآله) رسولا ومعلما، يتلو عليهم آيات الله، و يعلّمهم تفسيره، مع ما يترتب عليه، أو يتفرّع عنه من علوم و معارف، بما يكفل انتشار الإسلام و حفظ الدين.

وواصل هذه المهمة بدأب ومثابرة حتى آخر لحظات حياته وقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: (بالتعليم أرسلت)[٢].. وروي عنه ايضا(صلى الله عليه وآله) قوله: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٣] وهو من مسلّمات

---

١ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة:٨١/١.

٢ - الشهيد الثاني، منية المريد: ١٠٦.

٣ - الطوسي، الامالي: ٤٨٨.

الأحاديث النبوية، و"المسلم" هنا لا خصوصيّة له في قبال المرأة المسلمة بل يشمل الذكر والأنثى، وقد وردت كلمة (ومسلمة) في بعض الروايات أيضا.

لقد أولّى الرسول صلى الله عليه وآله هذا الامر ما يستحقه من اهتمام، لما له من دور في انتشار الاسلام وحفظ الدين، خصوصا اذا توفر اناس قادرون على حفظ سور القرآن الكريم بما يكفل تداوله وتعليمه للآخرين مع ما يتفرع عنه من علوم ومعارف.

من هنا كان الدرس الاول درساً قرآنياً بحتاً تناول فيه المعلّم الاسلامي الاول اصول قراءته فضلا عن تفسيره وتدبر معانيه.

وكانت دار الارقم بن ابي الأرقم المخزومي[1] وشعاب مكة ودار الرسول الاكرم مدارس الاسلام الأولى التي أجتمع فيها المسلمون ونهلوا من معينها علومهم القرآنية، يلتفّون حوله(صلى اللّه عليه وآله) ليعلّمهم و يزكّيهم، وأخذ ينتسب إليها ويتعلم فيها الثلة القليلة ممن آمن به(صلى الله عليه وآله) وصدّق دعوته، في وقت لم يكن في الاسلام مكان آخر يلتقي فيه المسلمون.

فأخذ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يسعى جاهداً لإعداد وتربية وتعليم هؤلاء المسلمين الأوائل ليكونوا النواة الأولى للجماعة الصالحة ولإعداد المجتمع الإسلامي القويم.

فكان يطلب منهم السعي لطلب العلم ويحثهم على التفقه بالدين فكان يقول(صلى الله عليه وآله): (طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم)[2].. وقال ايضا: (لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مطاع أو مستمع واع)[3].. وقال: (من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به، وانه ليستغفر لطالب العلم من

---

١ - الطبري، تاريخ الامم والملوك: ١٣٣٥/٣.

٢ - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ٨٨/١.

٣ - الكليني، الكافي: ٣٣/١.

في السماوات ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وان العلماء ورثة الأنبياء، لأن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر)[1].. وقال ايضا: (نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، نعم وزير الرفق العزة)[2].. وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): (إغدُ عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا لهم ولا تكن الخامس فتهلك)[3].. وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): (من خرج من بيته يلتمس بابا من العلم لينتفع قلبه ويعلمه غيره، كتب الله له بكل خطوة عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، وحفته الملائكة بأجنحتها، وصلى عليه طيور السماء وحيتان البحر ودواب البر، وأنزله الله بمنزلة سبعين صديقا، وكان خيرا له ان لو كانت الدنيا كلها له، فجعلها في الآخرة)[4].. وغيرها الكثر من الكلمات النورانية التي تحث على تلك الفضيلة.

بل ان الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) تحرك الى موارد اخرى للتعليم والتعلم، يوم جعل لكل أسير فقير من أسرى المشركين في معركة (بدر) من غير القادرين على دفع الفدية تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة لإطلاق سراحهم[5]، لتكون هذه الحادثة اول دعوة في التاريخ لمحو الامية، سبق الاسلام بها جميع الامم.

كما أمر (صلى الله عليه وآله) في مواضع أخرى صحابته بتعليم الاطفال، يوم خلّف معاذ بن جبل في مكة بعد فتحها ليعلم أهلها الحلال والحرام ويقرئهم

---

١ - الصدوق، الامالي: ١١٦.

٢ - الكليني، الكافي: ٤٨/١.

٣ - العلامة الحلي، تحريرالاحكام: ٣٦/١.

٤ - الحلي، تحريرالاحكام: ٣٦/١.

٥ - جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الاعظم: ١٣٠/٥.

القرآن، وكذلك وجّه(صلى الله عليه وآله) جماعة من الصحابة يعلّمون الناس القراءة والكتابة، ومنهم عبادة بن الصامت، وكذلك ارسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الاولى، وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام، فكان يسمى المقرئ بالمدينة، وفي كل ذلك -كما هو واضح- إيحاء للمسلمين يبين إتجاه النبي(صلى الله عليه وآله) الى محبة التعليم ونشره[1].

١ - البهادلي، علي احمد، الحوزة العلمية في النجف:٢٤-٢٥.

٢ـ أولى المدارس في الاسلام:

أشرقت شمس أولى المدارس من دار المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وأمتد نورها ليشمل ابتداءً شعاب مكة ودار الأرقم بن ابي الارقم، ومن ثم المسجد النبوي الشريف، ليتسع الدرس الاسلامي وتعقد حلقاته متناغمة مع كلمات التوحيد، والتماس الصلاة على المصطفى وآله، يحدوها ايقاع حي على خير العمل.

فكان المسجد مدرسة كبيرة وجامعة مميزة، ارتبط وجوده بالصلاة والعلم والتعلّم، ولادراك المصطفى(صلى اللّه عليه وآله) أهميته وهو المسدد بالوحي، باشر بعد هجرته المباركة ببناء مسجد قباء، ومن ثم المسجد النبوي الشريف، ذلك الصرح المتواضع في بنائه، العظيم في خيراته وبركاته، إذ أضحى هذا المسجد مركزاً فاعلا في حياة المسلمين السياسية والعسكرية والفكرية والثقافية، فمنه تصدر القرارات السياسية، ومن باحاته تنطلق قوافل المجاهدين، وعلى منبره تشع أنوار الهداية والوحي ومعارف القرآن، ويمكن القول إن هذا المسجد المتواضع في بنائه والبسيط في عمارته قد احتضن مدرسة فريدة بكل شيء، فكتاب هذه المدرسة كان القرآن، والمعلّم فيها هو رسول الله(صلى الله عليه وآله) والتلامذة هم أهل بيته عليهم السلام وصحابته من السابقين المقربين.

وحتى بعد رحيله (صلى الله عليه وآله) في السنة الحادية عشرة للهجرة استمرت مدرسة المسجد النبوي في نموها وتكاملها، وكانت أممية بتنوع ألسنة طلبتها وألوانهم، فأخذت تستقبل المسلمين الجدد من مختلف اصقاع الأرض، واتسع فيها نطاق العلوم والمعارف، حتى فتحت من باب هذا المسجد أبوابا لمساجد اخرى أصبحت من أبرز مدارس الفقه الإسلامي المعروفة لدى المسلمين.

منها مدرسة الكوفةالتي عدت ثاني مدارس الإسلام، أنطلقت بعد نشأة الكوفة وتمصيرها سنة سبع عشرة للهجرة وتشييد مسجدها المعروف وتنامي

دورها العلمي حيث أصبحت الكوفة مدرسة وحاضرة علمية.

إلا ان تنامي اهمية المسجد في الاسلام والادوار التي يؤديها كمدرسة، وجامعة، ومكان للافتاء، وتدارس الأمور الدينية والدنيوية، واداء الشعائر الدينية اليومية والاسبوعية والسنوية، ومركز للتجمع والانطلاق لنشر الاسلام.. أفقد الدرس خصوصيته، ولم تسمح له بتطور أساليبه، واستيعاب كثرة حلقاته، فضلا عن مزاحمتها أصلا للغرض الذي أعد من أجله المسجد الذي يفترض فيه أن يكون مهيأ للعبادة بمعناها الأخص.

لذا وجد القائمون على أمر التعليم إن إنشاء أماكن خاصة للدراسة أمرا لابد منه مع هذه الزحمة، فانشؤوا أماكن خاصة لهذا الغرض لتكون كيانا مستقلا مختصا بعلوم القرآن و ما يتفرّع عنه من معارف.

وبالفعل بدأت تظهر في العالم الإسلامي أماكن جديدة للدراسة غير المسجد عرفت بالمدارس، وهذا التغيير في الاسم كان كما اسلفنا لحكمة اقتضتها الوظيفة الجديدة أو الدافع المباشر لهذا الامر، كما صاحب التغير في الاسم تغيرات جوهرية في التخطيط المعمارى لذلك المكان الجديد.

وبخصوص تحديد الفترة الزمنية التي بزغ فيها فجر أولى المدارس الدينية يختلف الباحثون في ذلك فمنهم من ذهب الى جعل نهاية القرن الثاني الهجري اولى المواعيد لذلك وفي خراسان بالتحديد زمن المأمون العباسي.

في حين يرى آخرون ان بخارى هي مهد تلك المدارس الدينية وإن الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ربما يكون التاريخ الأول لذلك، كما مثلت نيسابور إحتمالا ثالثا في من نال قصب السبق في هذا المضمار في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين.

ومع تلكم المواعيد يحدد الربع الاخير من القرن الرابع الهجري موعدا لنهضة فكرية وعقائدية ونشاط سياسي كبير لاتباع اهل البيت(عليهم السلام) تزامن مع قيام دولة ودويلات شيعية كان لها دور كبير ومؤثر على الساحة

الفكرية الاسلامية، وفي مقدمتها: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، والدولة الفاطمية الممتدة من المغرب الى مصر والتي تشمل كامل شمال افريقيا، والدولة الشاهينية في بطائح جنوب العراق.

والمميز في ذلك ان نشاط هذه الدول كان مركزا على الحركة العمرانية الممتزجة بالحركة الفكرية، فشيدوا مراقد الائمة والاولياء فضلا عن الجوامع والمساجد الشهيرة[1]، كما اقاموا اشهر الصروح الفكرية والثقافية.

فشهدت بغداد بذلك تشييد دارين للعلم أحدهما انشئت على يد الوزير البويهي وأخرى على يد الشريف الرضي وفتحتا لطلبة العلم وعيّن لهم جميع ما يحتاجون إليه، ليكونا محلين للتدارس وطلب والعلوم المعارف ونشرها بين ارجاء المعمورة.. فضلا عن تشييد الخليفة الفاطمي العزيز باللّه دارا إلى جانب جامع الازهر و جعله لخمسة و ثلاثين من العلماء.

ومثّل كل هذا النشاط تمهيداً لتبلور الافكار بإنشاء مدارس أكبر وأوسع وأكثر تخصصا، تمثلت بأنشاء نظام الملك الطوسي للمدارس (النظامية) في مدينة بغداد أواسط القرن الخامس الهجري[2].

---

١ - تسابقت هذه الدول باعلان ولائها لاهل البيت وتمسكها بمذهبهم(عليهم السلام) وتشييد مشاهدهم المشرفة واقامة المساجد الكبيرة للمصلين بجوارها، كما فعل الامير أبو البيجاء عبد الله بن حمدان أمير الدولة الحمدانية حينما شيد مرقد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وأقامة قبة شاهقة عليه، وتشييد البويهين لأهم وأجل بناء أقيم على ضريح الإمام علي(عليه السلام) في ذلك الوقت على يد عضد الدولة البويهي، وتشييد الدولة الفاطمية لمدينة القاهرة، وبناء أكبر وأهم جامع في هذه المدينة، وهو جامع الامام الحسين(عليه السلام) الشهير، فضلا عن تأسيسهم لجامع الأزهر الشريف، الذي اتخذ اسمه من اسم السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، كما كان نصيب الدولة الشاهينية تشييد أميرها عمران بن شاهين أقدم المساجد التي أنشئت إلى جوار المرقد العلوي الطاهر، بل في مدينة النجف الاشرف عامة.

٢ - البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف:٢٩-٣٥.

٣ـ الكوفة عاصمة العلم والمعرفة:

مثلت مدينة الكوفة ثقلا حضارياً كبيراً، وعدت كواحدة من أهم المراكز العلمية والسياسية في فترة ما بعد الإسلام، وبخاصة حينما بوأها أمير المؤمنين(عليه السلام) مقعدها الحقيقي وصارت عاصمة للدنيا، ودار هجرة لأشهر الصحابة وأعرق القبائل العربية، فكانت الكوفة من كل ذلك مناراً علمياً وأدبياً، ومركزاً فكرياً وسياسياً لا نظير له، نمت نمواً متواترا حتى بلغت شهرة هذه المدينة - الولّادة للمعرفة - الآفاق، وحفل تاريخها، لا سيما في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، بأروع الإنجازات في اللغة والأدب، فكانت الكوفة من كل هذا المعين الذي ارتوى منه الكثير من عباقرة العلم والشعر واللغة والأدب.. أمثال: أبي الأسود الدؤلي، وجابر بن حيان، والتوحيدي، والأصمعي، والكسائي، والفراء، وابن السكيت، وأبي الطيب المتنبي، وأبي العتاهية، ودعبل الخزاعي، والكميت بن زيد الأسدي وغيرهم الكثير.

فضلا عن الفقه والحديث والتشريع، منهم: أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممن تكفلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم.

يقول البراقي في الكوفة: (ازدلفت إليها زرافات من خيار الصحابة ورجالات التابعين ورواد العلم وحفاظ الحديث، فمن والج مدينة العلم من بابه المفتوح على هذه الحاضرة الدينية بكلا مصراعيه، ومن كارع من بحر فضله المديد الوافر متهذب بخلقه العذب النمير ومعتبر بعظاته البالغة، وآخذ منه معالم دينه وراو عنه صدق الحديث، ومحض الحقيقة، فمن كل ذلك كان في الكوفة من كل هؤلاء فريق لا يستهان بعدتهم)[1].

---

١ - البراقي، تاريخ الكوفة: ٤٢٩.

وحسبنا في هذا المضمار ماقاله الحسن بن علي ابن زياد الوشّاء في مسجدها الكبير وهو يحدث ابن عيسي القمّي عن عنفوانها وعظمتها، ويتحدث عن مدرسة الامام الصادق عليه السلام التي ارسيت في مسجدها الجامع فيقول: (إني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد (عليه السلام))[1].

وقد لبث الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة سنتين، فألبسها كسوة ورونقاً معرفياً قل نظيره، بحيث سميت تلك الفترة أو ذلك العصر بـ (العصر الذهبي) حيث شاعت أجواء العلم بمختلف ألوانه فنجد أن السني والشيعي وغيره في تلك المدرسة على حد سواء، فهذا أبو حنيفة كما يقول الآلوسي:

(أبو حنيفة وهو من أهل السُنّة يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السنتان لهلك نعمان، يعني السنتين اللّتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق)[2].

يقول الشيخ أسد حيدر في الفقه على المذاهب الأربعة: (فلم يكن من المبالغة وصف مدرسة الإمام الصادق بأنّها جامعة إسلامية، خلّفت ثروة علمية وخرّجت عدداً وافراً من رجال العلم، وأنجبت خيرة المفكرين وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلماء، وقد عدّت أسماء تلامذته والمتخرّجون من مدرسته فكانوا أربعة آلاف رجل، وقد صنّف الحافظ أبو العباس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق ورواة حديثه وأنهاهم إلى أربعة آلاف)[3].

وعلى أي حال فان مدرسة الامام الصادق عليه السلام كانت مصدراً للعالم وينبوعاً يفيض على الأمة بالعلوم والمعارف الإسلامية، وقد أغدقت على العالم الإسلامي خدماتها الجليلة، في بثّ التعاليم القيّمة في عصر ازدهر فيه العلم،

١- ن.م: ٤٦٧.

٢- الالوسي، التحفة الاثني عشرية: ٨.

٣- أسد حيدر، الفقه على المذاهب الأربعة: ٢٢/١.

واقبل المسلمون على انتهاله[1].

فخرّجت هذه المدرسة لفيفاً من فحول العلم مما لا حصر له ولا عد، فكل منهم يقول حدثني جعفر بن محمد في مختلف فروع العلوم والفنون.

وكان لقوافل هؤلاء العلماء من الفقهاء والمحدثين التي التقت في الكوفة ان انتجت قرابة (٦٦٠٠) كتاب، وامتاز من بينها (٤٠٠) كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمائة، فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم المختلفة.

كما لم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوماً أخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة من المؤلفين الكبار الذين صنفوا كتبا كثيرة في علوم مختلفة ومتنوعة كهشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي ألف أكثر من مائتي كتاب، والفضل بن شاذان ألف (٢٨٠) كتاباً، وابن عمير صنف (١٩٤)كتاباً، وابن دول الذي صنف(١٠٠) كتاب، وجابر بن حيان أستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلفين العظام في كافة العلوم الإسلامية[2].

إذن هذه هي الكوفة وهذه معالمها الحضارية ومدرستها وتراثها المفعم بالعلم والفكر والمعرفة.

على أن المتتبع والراغب بالاستزادة يجد في بعض كتب التاريخ نصوصا تشير الى حوادث مرتبطة بالكوفة أكثر قدما في تاريخها من ذلك، منها ما يعود إلى زمن النبي إبراهيم (عليه السلام)[3].

من كل ذلك يتبين ان للكوفة فضلها وخصوصيتها، تاريخ ضارب في القدم، حاضر مميز، ومستقبل كبير يوم تتوج عاصمة لحجة الله في أرضه.

روى الشيخ الصدوق في الخصال، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله

١- ن . م: ٢٤/١.

٢- السبحاني، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ٣٣٤-٣٣٥ .

٣- الحموي، معجم البلدان: ٣٣١/١.

قال: (إن الله اختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة)[1].

كما ذكر الحموني في معجم البلدان عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (الكوفة كنز الإيمان وجمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينصرّن الله جلّ وعزّ بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز[2].

ويروى عن سلمان المحمدي انه قال:(الكوفة قبة الإسلام، يأتي على الناس زمان لا يبقي فيها مؤمن إلا بها أو قلبه يهوي إليها[3].

من هنا يتبين للمتتبع السر الذي جعل من الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يختارها مركزا لخلافته، ومستقرا لجسده الطاهر بعد شهادته، ومحلا لتأملاته والخلوة بنفسه: (وكان اذا اراد الخلوة بنفسه أتى طرف الغري)[4].. حيث يجد في هوائها ما لايجده في غيرها مصوبا نظره نحو السماء مغرقا في تأملاته يخاطبها بالقول: (ما أحسن ظهرك وأطيب قعرك! اللهم اجعل قبري فيها)[5].

تحقيقا لبشارة أخبره بها المصطفى(صلى الله عليه واله): (... ثم ارض كوفان فشرفها بقبرك يا علي..

فقال: اقبر بكوفان العراق؟

١- الصدوق، الخصال:٢٢٥.

٢- الحموني، معجم البلدان: ٤٩٢/٤.

٣- ابن أبي شيبة، المصنف: ٥٥٤/٧.

٤- المجلسي، البحار: ٢٢٣.

٤- ابن طاووس، فرحة الغري: ٢٣/٢.

فقال له: نعم، تقبر بظاهرها قتلا بين الغريين والذكوات البيض..)[1].

لذا لم يتورع عن شرائها من الدهاقين(التجار) بأربعين الف درهم وأشهد على ذلك.

رغم إشكال الاخرين عليه كونها لا تنبت وليس لها حظ من الزراعة..

فكان يجيب بما عرف عنه من ورع ودماثة خلق وهو خريج مدرسة رسول الله (صلىّ الله عليه وآله) وباب مدينة علمه ليطلعهم على سر كبير عجزوا ان يدركوه، قوله: (سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "كوفان يرد أولها على أخرها، يحشر من ظهرها سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب".. فاشتهيت أن يحشروا في ملكي)[2].

هذا نزر يسير من فضل الكوفة وأهلها ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه، مما جعلها تمتاز بمكانة خاصة بين سائر البلدان، ولعل ذلك أدى إلى هجرة الكثير من أهل العلم لاسيما من رواد أهل الحديث إلى قصد هذه المدينة من الصحابة والتابعين لينهلوا من علمها، كما سنأتي على ذكرهم لاحقاً.

١- الثقفي، الغارات:٢/٨٤٤.

٢- الثقفي، الغارات: ٢/٨٤٥.

الفصل الاول

المسجد مدرسة الأسلام الاولى

المبحث الاول
المسجد في الأسلام

١ـ في معنى لفظة مسجد:

اصل لفظة مسجد مأخوذة من كلمة سَجَدَ، التي تعني خضع، والسجود في الاسلام فعل من الانسان يظهر من خلاله الخضوع والاعظام والتعبد للباري عز وجل، وله كيفية خاصة علامتها وضع الجبهة على الارض، لذا سمي المكان الذي يسجد فيه مسجدا، قال ابن منظور: (المسجد، الذي يسجد فيه... قال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبي(صلى الله عليه واله سلم) قال: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)[١].

ويبدو ان لفظة مسجد اذا جاءت مفتوحة الجيم فيعني بها موضع الجبهة الذي يسجد فيه، واذا وردت مكسورة الجيم فيعني بها الموضع الذي يسجد عليه، لذا شملت هذه اللفظة البيت الذي يقع فيه هذا الفعل، قال الليث: (السجود، مواضعه من الجسد والأرض: مساجد، واحدها مسجد.. والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه، والمسجد بكسر الجيم: أي موضع السجود نفسه)[٢].

من هنا يذهب صاحب كتاب تحفة الساجد ان المسجد موضع السجود في الاصل وصار بالعرف اسما لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة، فالاسم عرفي فيه معنى للغة[٣].

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة - يكون فيها العبد قريبا لربه- إشتق منه أسم المكان للموضع الذي بني للصلاة فيه، فقيل مسجد، ولم يُقلْ: (مركع)

١- ابن منظور، لسان العرب: ٣ / ٢٠٤ .

٢ - الزبيدي، تاج العروس: ٥ / ٧.

٣ - الاصفهاني الكاظمي ، محمد مهدي، تحفة الساجد في أحكام المساجد: ٥.

مثلا أو غيره مما يشتق من أفعال الصلاة.

كما يطلق على المسجد اسم جامع أيضا، وهو صفة للمسجد لانه علامة للاجتماع[1]، وخاصة إذا كان كبيرا ويجمع الناس لأداء صلاة الجمعة، من هنا يمكن لنا ان نقول ان كل جامع مسجد وليس كل مسجد بجامع.

وكان العرب تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وتارة ينعتونها بقولهم(المسجد الجامع) وطوراً يضيفونها إلى الصفة، فيقولون(مسجد الجامع) ثم تجوز الناس فيما بعد واقتصروا على الصفة فقالوا(المسجد الكبير)، والذي تصلى فيه الجمعة وان كان صغيراً(الجامع) لأنه يجمع الناس لوقت معلوم[2]، وهكذا يتجلى لنا الجامع كصفة شمول واستيعاب لموصوف مقدر هو المسجد فالعبارة الكاملة هي المسجد الجامع، ويسمى أيضاً مسجد الجمعة، أي خطبة الجمعة التي تجمع عامة مسلمي البلد الواحد في مسجد جامع واحد، إذ يستكره تعديد(الجمع) في المدينة الواحدة قدر الإمكان، ولكن كلمة الجامع تطلق على الجامع لغير هذا المعنى أيضاً فهي معنى الشمول والاستيعاب لوظيفة الإسلام[3].

٢ـ انواع المساجد:

مثّل مسجد قباء اول مسجد في الاسلام، ومن بعده المسجد النبوي وما تلاه من بناء مساجد لصلاة الجماعة في المدن الاسلامية في العراق والشام ومصر، فكانت مقرات للحكومات الإسلامية يتشاورون فيها حول أمورهم العامة، كما كانت مصلى للمسلمين ومدارسا لهم.. يتذاكرون فيه القرآن ويتعلمون الفقه وأصوله.

ومن اجل الحفاظ على خصوصية صلاة الجمعة وعدم تشتت الجماعة بين

---

١ - ن . م

٢ - الايوبي، عبد الرحمن نور جان، المساجد الاسلامية،: ٥.

٣ - الطريحي، محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة: ٣١.

المساجد، خصوصا ان المدن في بداية تأسيسها كانت صغيرة نوعا ما، انشئ جامع واحد لصلاة الجمعة في المدن الاسلامية طيلة القرن الأول الهجري، ومع ظهور الحاجة الى جوامع أخرى لاستيعاب أعداد المصلين، أسس في بغداد جامعان للجمعة أحدهما في جانب بغداد الغربي(الكرخ) والثاني في جانبها الشرقي(الرصافة)، ومع مرور الوقت شهدت المدن الاسلامية زيادة ملحوظة في إعدادها وأصبح في كل مدينة عدة جوامع لإقامة الجمعة، اذ يحدثنا التاريخ ان مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري ضمت ستة جوامع، وفي نفس الوقت ضمت القاهرة سبعة جوامع، وكان في البصرة ثلاثة جوامع كذلك.. مع بقاء مدن رئيسية أخرى على جامع واحد ومنها الكوفة [1]، مع وجود مساجد اخرى لان تكون اماكن لاداء الصلوات اليومية.

وعلى هذا الاساس، يمكن تقسيم المساجد من ناحية الحجم والسعة الى ثلاثة انواع:

١- المصلى: وهو مكان صغير نسبيا، ويكون عادة في مدرسة، او مكتبة، او مؤسسة وغيرها، من خلال افراد مكان خاص فيها لاداء الصلوات اليومية، وربما يكون في منطقة سكنية او بين المحلات التجارية.

٢- المسجد: وهو مكان كبير نسبيا، تؤدى فيه الفروض اليومية من الصلوات، ويوجد عادة في الاحياء السكنية، ويتوقف حجمه واتساعه على عدد سكان الحي الذي فيه، يوجد فيه إمام ومؤذن، وتتوفر فيه او ترتبط به مجموعة من الخدمات العامة المختلفة، لتجعل منه مركز أشعاع علمي وديني وثقافي لتلك المنطقة، وتتعدد المساجد بتعدد الاحياء، وربما كان في الحي الواحد أكثر من مسجد حسب كبره.

٣- الجامع: وهو من أهم المنشآت العامة في المدينة الاسلامية لما له من دور

---

١ - الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة:٣٢.

أساسي في حياة مجتمعها، فبجانب وظيفته الدينية كان مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية[1]، وقد كان لكل مدينة جامع واحد يقع في مركزها، ومرتبط بالسوق الخاص بها، وكان من الضخامة بحيث يتسع لكل الناس المكلفين بصلاة الجمعة، مثل جامع سامراء التاريخي الذي كان يتسع لقرابة الـ(٩٠) الف مصلي.

ولما تضخمت المدن وصارت مترامية الاطراف كان ولابد ان يتعدد الجامع في المدينة الواحدة،ومن المعايير التخطيطية التي يعمل بها انه يجب ان يخدم الجامع الواحد قرابة الـ(٤٠٠٠٠) الف مصلٍ[2].

٣ـ معمارية المسجد:

مثلت البساطة واحدة من اهم السمات المعمارية للمساجد، والتي لم تفارقها منذ ان أنشئ اول المساجد في الاسلام، والذي كان في البدء محاطاً بخندق يمنع دخول الناس إليه دون طهارة ولمنع دخول الحيوانات كالذي صنعه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية الدعوة الإسلامية وقلده المسلمون عندما خططوا مسجد الكوفة إذ لم تكن له جدران، ثم حل محله القصب واللبن، واستعمل بعد ذلك الآجر أو الحجر[3].

وفي مراحل متأخرة من تاريخ المساجد الإسلامية، حصل تطور كبير في ميدان عمارتها بفعل تأثيرات كثيرة منها دخول شعوب ذات حضارات وفنون تشكيلية متقدمة الى الإسلام، وأصبح الاهتمام بعمارة هذه المساجد والعناية بعمارتها من باب تعظيم الدين وإكبار شعائره، فظهرت القباب والمآذن والأعمدة والأبواب والسقوف المنقوشة وعلقت التحف والثريات وأضيئت بالأنوار

١- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية: ٢٣٤.

٢- عثمان، المدينة الاسلامية: ٢٣٤.

٣- ن . م

الساطعة كما عُني عناية خاصة بالزخرفة وجعلها تحفة نادرة تضاف إلى الهيئة المعمارية الجميلة[1].

على أن الإسلام قد امتنع عن زخرفة المساجد بالذهب ونقشها بالتصاوير من ذوات الارواح وغيرها ونهى عنها فضلا عن الإسراف في بنائها، لان المقصود من بنائها اصلا هو لاتقاء الحر والبرد، وتزيينها على رأي الفقهاء يشغل القلوب عن الاقبال على الطاعة، وحسن التوجه[2].

من هنا نجد ان أغلب المساجد قد تميزت بالبساطة، مع المحافظة على العناصر المعمارية الاساسية للعمارة الإسلامية التي شكلت على مر العصور عدة طرز ميزتها عن أي عمارة أو طرز أخرى، محافظة على مدلولاتها ومتطلبات المسجد كدار عبادة وعلم - وإن تنوعت المضامين والأساليب - وفق البيئات الكثيرة التي وصل اليها الإسلام وانتشر فيها والتي عكست - بالضرورة - كثيراً من تلك البيئات مما نراه بوضوح في أقاصي آسيا، وأقاصي أفريقيا، وفي الصين، وشبه القارة الهندية، ثم في الأسلوب العثماني بميزاته الواضحة المعروفة.

على ان تلك المساجد وان أختلفت في مدارسها المعمارية واسلوب تنفيذها ظلت محافظة على عناصر أساسية، فرضها الغرض الذي شيد من أجله المسجد وهو الصلاة، لذا كان بيت الصلاة(الحرم) والصحن والقبلة والمحراب والمنبر.. عناصر تكاد تكون مشتركة في كل المساجد دون أستثناء في شرق الارض وغربها.. وسنحاول هنا الحديث عن كل واحدة منها بشيء من التفصيل:

أ-القبلة: القبلة هي صدر ا لمسجد وهي جداره المتجه نحو مكة، فإذا صلى الناس تجاهها كانت وجوههم ناظرة إلى بيت الله في ذلك البلد الحرام.

١- ن . م

٢- الاصفهاني، تحفة الساجد في احكام المساجد: ٨٧.

وقد أكدت القبلة معنى أساسيا من معاني الإسلام وأضافت إلى ا لمساجد ميزة انفردت بها دون غيرها من أماكن العبادة، فكل مساجد الأرض تتجه وجهة واحدة، وهذا بدوره فرض على عمارة ا لمساجد مطالب واشتراطات هندسية شتى، فقد أصبح لزاما أن تكون بيوت الصلاة في المساجد كلها ناحية القبلة، وأن يصرف أكبر جانب من العناية الهندسية والفنية نحو هذا الجزء من المسجد،والقبلات أعظم ما في مساجد ا لمسلم، من الناحية الفنية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ولم ينتقل جانب كبير من الاهتمام إلى الأروقة والأبواب والقباب وا لمآذن إلا ابتداء من مساجد الطراز السلجوقي[1].

ب-المحراب: هو مقام الإمام حيث يتصدر المصلين، والكلمة مشتقة من دلالتها اللغوية على صدارة المجلس، لذا سمي بذلك لانفراد الامام فيه وبعده عن القوم، والمحراب أيضا الغرفة، وقوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب) قيل في المسجد[2].

وقال البعض ان محراب المصلى لفظة مأخوذة من الحرب لان المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه[3].

وبعد أن أصبح المحراب جزءاً أساسياً في عمارة المساجد استقر معنى كلمة "المحراب" على أنها تجويف في جدار المسجد باتجاه الكعبة المشرفة وتلاشى استعمال الكلمة في غير هذا المعنى عدا ما ورد في القرآن الكريم بطبيعة الحال.

وقد كتبت المحاريب فصلا طويلا في تاريخ العمارة الإسلامية، فاختلفت أشكالها وأحجامها والطرق الهندسية التي أنشئت بموجبها، حيث ابتدأت كعلامة يسيرة على جدار القبلة في مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله) إلى أن أصبحت

١- مؤنس ،حسين، المساجد: ٦٩

٢- الايوبي، المساجد الاسلامية،: ١٠.

٣- الاصفهاني، تحفة الساجد في أحكام المساجد: ١٣.

للمحاريب أشكال هندسية رائعة، وتطورت تطورا بعيدا، وأخذت أشكالا شتى في مختلف طرز العمارة الإسلامية، وأصبحت - مع الزمن - ناحية من نواحي التنافس في الابتكار بين المعماريين.

ج- بيت الصلاة(الحرم): أما بيت الصلاة فهو الجزء ا لمسقوف من المسجد، ويقع جهة القبلة، وتختلف مساحة هذا البيت من مسجد لآخر، فقد يتكون من صف من الاعمدة وقد يمتد ليشمل أكثر من نصف المسجد.

كما قد تختلف نسبة مساحة بيت الصلاة إلى الصحن من مسجد إلى مسجد ومن عصر إلى عصر فهناك مساجد كلها بيوت صلاة بلا صحون وهناك غير ذلك أيضا[1].

د- الصحن: والصحن هو الجزء غير المسقوف من المسجد ويكون امتدادا لبيت الصلاة يستعمل في مناسبات الصلوات الجامعة ولا يعتبر فيما عدا ذلك جزءا من ا لمصلى نفسه، لهذا كانوا يترخصون في استعمال صحون ا لمساجد فكانوا يتخذونها ممرات من طريق إلى طريق، ور بما جلسوا فيها لتجاذب اطراف الاحديث في شؤون حياتهم أو النوم[2].

هـ- المنبر: المنبر في اللغة العربية هو: مرقاة متنقلة ذات درجات وله تعريفات أخرى في المراجع اللغوية تتفق وهذا المعنى،وقال الطريحي في مجمع البحرين: نبرت الشيء انبره نبرا رفعته ومنه سمي المنبر لارتفاعه[3].

وفي العقود القليلة التي تلت الهجرة النبوية وتكاثر أعداد المساجد في البلاد التي دخلت في دين الله كانت المساجد بلا منابر وكان الخطيب يقف مستنداً إلى

١- مؤنس ، المساجد: ٦٩ .

٢- ن . م: ٦٩- ٧٠.

٣- الطريحي، عبد المولى، مجمع البحرين: ٤/ ٢٦٣.

عصا من الخشب تأسيا برسول الله(صلى الله عليه وآله).

وقد أدى المنبر دورا مهما للخطيب، كونه يمكن المسلمين من رؤيته ويمكنه من رؤيتهم، خصوصا مع إتساع مساحة المساجد وكثرة عدد المصلين فيها، وبات "المنبر" جزءاً أساسياً من مقومات المسجد الجامع وهو يصنع - في الأغلب - من الخشب وأبدع الفنانون المسلمون في نقش المنابر وزخرفتها واستخدمت الأخشاب الثمينة في صنعها.

وبعد هذه المقدمة البسيطة سنحاول هنا ان نفصل الحديث في أشهر هذه المساجد وذكر ما وقع بأيدينا من معلومات عن عن حركة الدرس وطلب العلم فيها.

٤ـ المسجد وطلب العلم:

كما هو معروف ان سيرة المسلمين الثقافية انطلقت من المسجد، كونه مصدرا للعبادة كما هو مصدر للثقافة، فهو القاعدة والمنطلق لكلا الامرين معا خصوصا ان الصلاة ركن مهم من اركان الدين الاسلامي وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة لذا دعا هذا الامر الى ان ينال المكان الذي تؤدى فيه شطرا واسعا من أهتمامهم بما يكفل لهم تحقيق العلاقة الروحية بين العبد وخالقه.

كما كان المسجد منشأة حكومية لممارسة النشاط السياسي منذ انتقال المسلمين من دور الدعوة الى دور تاسيس الدولة وقيامهم بعمارة اول مسجد في المدينة المنورة.

ومن جانب آخر مثل المسجد علامة مهمة في أطار بناء الفرد فكريا وعقائديا باتخاذه دارا للعلم، أحتضن حلقات الدراسة، ومباحثات العلم.

لذا كان التذاكر وطلب العلم في المساجد استجابة لما ورد من استحباب التذاكر وطلب العلم في المساجد فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من غدا إلى مسجد لا يريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه فله أجر حاج تام الحجة)[1].

كما يروى ان المصطفى (صلى الله عليه وآله) خرج ذات يوم فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقهون، ومجلس يدعون الله ويسألونه، فقال (صلى الله عليه وآله): " كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل بالتعليم، بالتعليم أرسلت لما أرسلت، ثم قعد

---

١ -الشهيد الثاني، منية المريد: ١٠٦.

معهم" [1].

ومن هذا المنطلق ارتبطت المساجد بالعلم والعلماء، فالكثير من الكتب صنفت في المساجد، إذ يلاحظ ان قسما كبيرا من الكتب المخطوطة المنتشرة في إنحاء العالم قد صنفت في المساجد.

كما أن كتب التاريخ والتراجم تزخر بأخبار العلماء والفقهاء والأدباء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيها يقيمون ويعيشون ويدرسون ويتدارسون، ويؤلفون آثارهم الفكرية.

وإن الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر لعبادة ولو علم الناس ما فيه لاتوه ولو حبوا)[2].

٥ـ مساجد معظمة:

ضمّ العالم الاسلامي مساجد معظمة كثيرة كان لها فضل كبير صارت من كل ذلك مطاف العالم الإسلامي ومزار المسلمين وكعبة المؤمنين، بل من أقدس المساجد واعظمها، ولا يشد الرحال الا لها، وفي ذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام): (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول(صلى الله عليه وآله)،ومسجد الكوفة)[3].

وسنحاول هنا الحديث عن فضل أثنين من هذه المساجد بشكل مجمل وهما المسجد الحرام والمسجد النبوي وتفصيل القول في مسجد الكوفة المعظم في مبحث مستقل كونه محل البحث، للوقوف على فضلها ومكانتها ونستشف بالتالي فضل المسجد ومكانته عند المسلمين.

١- الشهيد الثاني، منية المريد: ١٠٦.

٢- الكليني، الكافي: ٣ / ٤٩٠ - ٤٩١

٣- العاملي، وسائل الشيعة:٣/٥٢٥.

أ- المسجد الحرام: المسجد الحرام هو افضل المساجد واعظمها شأنا، فهو قبلة العالم، تُيمم اليه الوجوه من كل أقطار الدنيا عندما يؤذن للصلاة، وهو مطاف بني آدم يوم يؤذن للحج فيأتون من كل فج عميق رجالا وعلى كل ضامر..

هو مسجد فيه أول بيت وضع للناس بمكة، فكان بيت الله الحرام: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ..) آل عمران/٩٦.

وفيه مقام ابراهيم الذي ورد الحث على اتخاذه مصلى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) البقرة/١٢٥، وكان بذلك أول مسجد عرفه الانسان، أئتلفت اليه قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود.

سماه القرآن الكريم باسمه الصريح مرات عديدة و هو المسجد الحرام، منها يوم اختار البيت العتيق ليكون قبلة للمسلمين، فقال عز من قائل محدثا حبيبه المصطفى(صلى الله عليه وآله): (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) البقرة/١٤٤.

من هنا لا غرابة ان تكون فيه الصلاة قبال الف في غيره من المساجد، خصوصا انه موضع اعمال الحج وفيه الطواف الذي هو من افضل الأعمال.. قال(صلى الله عليه وآله) في ذلك: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره الا المسجد الحرام)[1].

كما روي ايضا افضلية الصدقة فيه على غيرها حتى ان الدرهم بمائة الف درهم فقد روي عن الامام الصادق(عليه السلام) قوله: (ان الصلاة فيه بمائة ألف

١- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ٥١٣/٤.

صلاة وجعل في المدينة الصلاة بعشرة آلاف والدرهم بعشرة آلاف)[1].

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام): (تسبيحة بمكة افضل من خراج العراقين ينفق في سبيل الله)، وقيل ايضا (ومن ختم القرآن بمكة لم يمكن حتى يرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويرى منزله في الجنة)[2].

وهذه كلها اشارات الى عظم هذا المكان وتضاعف الأعمال فيه بل وحتى الذنوب، فقيل ان من الإلحاد شتم الخادم، وهذا كل على شرف البقعة بحيث يتزايد فيها ثواب الأعمال.

يضم المسجد الحرام الكعبة المشرفة بيت الله الحرام التي أعظم الله حرمتها مع المسجد الحرام، سواء على مستوى الاثار التكوينية أو الشرعية أو الأجر والثواب المترتب على تقديسها أو الطواف حولها أو الصلاة في المسجد الحرام، من ذلك ماروي عن المصطفى(صلى الله عليه و آله): (النظر إلى الكعبة حبا لها يهدم الخطايا هدماً)[3]، و بطريق معتبر عن الامام الصادق: (إن للّه تبارك وتعالى حول الكعبة عشرين و مائة رحمة، منها ستون للطائفين، و اربعون للمصلين، و عشرون للناظرين)[4].

فكانت البيت الحرام التي جعلها الله حرما آمنا في الجاهلية والإسلام، وكان فيها بداية الإسلام ومولد رسول الله ومولد أمير المؤمنين(عليهما السلام)، وثاني القبلتين، من دخلها كان آمنا، لم يقربها مشرك بنهي النص الالهي: (فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) ولتأكيد فضلها عبر عنها الله تعالى بالمسجد الحرام فجعلها كلها مسجدا.

١- الشهيد الاول، القواعد والفوائد: ١٢٣/٢.

٢- ن . م: ١٢٣/٢.

٣- العاملي، وسائل الشيعة: ٣٦٥/٩.

٤- الكليني، الكافي: ٢٤٠/٤.

ب- مسجد النبي (صلى الله عليه و آله): هو من المساجد المعظمة والمعابد المكرمة، مسجد اسس على التقوى في مدينة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، موضع استقرار الدين، ومهاجرة سيد المرسلين وظهور دعوة الإيمان، صلى فيه النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وارتقى فيه المنبر، وحين ارتحل(صلى الله عليه وآله) الى الرفيق الاعلى ضم مرقده الشريف، فكان مابين الاثنين روضة من رياض الجنة.. قال(صلى الله عليه وآله): (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة)[1].

حدّث في فضل الصلاة فيه الإمام الصادق(عليه السلام) فقال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (صلاة في مسجدي مثل الف صلاة في غيره إلا بالمسجد الحرام فإنها خير من الف صلاة)[2].

وروي عن جميل بن دراج انه قال سألت ابا عبد الله(عليه السلام) عن مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كم تعدل الصلاة فيه فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة في ما سواه إلا المسجد الحرام)[3].

تبلغ حدود مسجد الرسول على ما رواه الامام الصادق(عليه السلام) قال: (كان ثلاثة آلاف و ستمائة ذراع مكسرة)[4]، حيث تضم حدوده مواقع كثيرة لها الكثير من الفضل والبركة، مثل الروضة و بيوت النبي و علي و فاطمة التي سدت الابواب الا هي ومنبر النبي(صلى الله عليه و آله) و محرابه الذي كان يصلي فيه.

روى الكليني في الكافي عن معاوية بن وهب قال: " قلت لابي عبد الله (عليه

---

١ - الريشهري، محمد، الحج والعمرة في الكتاب والسنة:٣٣٩.

٢ - الطوسي، تهذيب الأحكام: ١٥/٦.

٣ - البيهقي، السنن الكبرى: ٨٣/١٠.

٤ -العاملي، و سائل الشيعة: ٥٤٦/٣.

السلام): هل قال رسول اللّه (صلى الله عليه و آله): ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة؟ فقال: نعم، و قال: بيت علي و فاطمة(عليهما السلام) مابين البيت الذي فيه النبي(صلى الله عليه و آله) إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع، قال: فلو دخلت من ذلك الباب و الحائط مكانه أصاب منكبك الايسر، ثم سمّى سائر البيوت)[1].

و قد جاء في روايات عديدة أفضلية الصلاة في بيت فاطمة(عليها السلام) على روضة المسجد، منها ما نص به الامام الصادق(عليه السلام يوم سأله يونس بن يعقوب قال: (قلت لابي عبد اللّه (عليه السلام): الصلاة في بيت فاطمة أفضل أو في الروضة ؟ قال: في بيت فاطمة)[2].

كما روى الكليني في الكافي عن معاوية بن عمّار قال: (قال ابو عبداللّه (عليه السلام): إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي(صلى الله عليه و آله) فأت المنبر فأمسحه بيدك و خذ برمانتيه، و هما السفلاوان، و امسح عينيك و وجهك فأنه يقال: إنه شفاء للعين، و قم عنده فاحمد اللّه و أثن عليه و سل حاجتك، فإن رسول اللّه(صلى الله عليه و آله) قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة و منبري على ترعة من ترع الجنة -و الترعة هي الباب الصغير- ثم تأتي مقام النبي(صلى الله عليه و آله) فتصلي فيه ما بدالك..)[3].

و من هذه المواقع مقام جبرئيل (عليه السلام) الذي كان يقف فيه مستأذناً النبي (صلى الله عليه و آله) عند الدخول عليه، فقد روي عن أبي عبد اللّه(عليه السلام) في خبر معاوية بن عمار: (ائت مقام جبرائيل(عليه السلام) و هو تحت الميزاب، فانه كان مقامه إذا استأذن على رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) فقل: أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد، أسألك أن تصلّي على محمد و اهل بيته،

---

١ - الكليني، الكافي: ٥٥٥/٤.

٢ - الجواهري، جواهر الكلام: ١٠٥/٢٠.

٣ - الكليني، الكافي: ٥٥٣/٤.

و أن تردّ عليّ نعمتك)[1].

و من هذه المواقع ايضا الاسطوانات الثلاث، و هي اسطوانة ابي لبابة المعروفة بأسطوانة التوبة، و الاسطوانتان اللتان تليانها باتجاه مصلى النبي و مقامه و محرابه، حيث استحب لزائر قبر النبي و مسجده أن يقوم بعمل مخصوص عندها.

من هنا يتبيّن مكانة وشرف ومنزلة هذا المسجد المعظم الذي يحتل من القداسة والمكانة العظيمة في قلوب المسلمين ما لا مزيد عليه إلا للكعبة المشرفة والمسجد الحرام.

٦ـ مساجد الكوفة:

ضمت مدينة الكوفة بالاضافة الى مسجدها المعظم، مجموعة من المساجد المباركة كان لها الدور بجعل الكوفة مركزاً علمياً تتهافت اليها العلماء وتصبح محلاً لجذبهم ومحطا لنزولهم فيها، ومن هذه المساجد، مسجد السهلةالمبارك الذي يأتي بعد مسجد الكوفة المعظم، ولا يقل فضلاً عنه، وأيضاً كان هذا المسجد يرتاده طلاب الحديث بحيث أن بعض الرواة دفن في هذا المسجد، وممّن دُفِن بالسهلة: عليّ بن إبراهيم الخيّاط (ت ٢٠٧ هـ)، وأحمد بن محمّد الطائي (ت ٢٨١ هـ)، ومجد الدين حسن بن الحسين الطاهر العلوي (ت ٦٤٥ هـ).. وغيرهم.

بالاضافة الى مسجد آل أعين وهم من الأسر الكوفية الشهيرة ومن الرواة الثقات، وكان من موضع آل أعين في الكوفة ومنزلتهم في الشيعة أن لهم مسجداً دخل فيه أبو عبد الله الصادق عليه السلام وصلى فيه، وكان من المساجد المدوحة بالكوفة ولهم محلة، ودرب تعرفان بهم، ودورهم متقاربة[2].

---

١ - الجواهري، جواهر الكلام: ١١٠/٢٠.

٢ - الزراري، أبو غالب، تاريخ آل زرارة: ٨.

كما تضم الكوفة مسجدا مهما آخر هو مسجد صعصعة بن صوحان العبدي الغني عن التعريف فهو من رواة الحديث المشهورين عظيم القدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: الاردبيلي في جامع الرواة: (صعصعة بن صوحان عظيم القدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام روى عن الصادق عليه السلام انه قال ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه روى ذلك الكشي في الصحيح)[1].

روى المفيد بسنده عن علي بن محمد بن عبد الرحمن التستري: (قال: مررت ببني رؤاس فقال لي بعض إخواني: لو ملت بنا إلى مسجد صعصعة فصلينا فيه فإن هذا رجب ويستحب فيه زيارة هذه المواضع المشرفة التي وطئها الموالي بأقدامهم وصلوا فيها، ومسجد صعصعة منها..)[2].

وبالقرب من مسجد صعصعة يوجد مسجد مهم آخر هو مسجد زيد بن صوحان، وهو صحابي جليل أدرك النبي صلى الله عليه وآله وصحب علياً عليه السلام، ترجم له ابن حجر في تمييز الصحابة قائلاً: (كان فاضلا ديناً سيداً في قومه،.. وروى أبو يعلى وابن مندة من طريق حسين بن رماحس عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال سمعت علياً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان)[3].

قُطِعَت يدُه في يوم نهاوند سنة ٢٠ هجريّة. وشارك في معركة الجمل إلى جانب الإمام عليّ عليه السّلام وفيها استُشهِد سنة (٣٦ هـ) رحمه الله.

كما تضم أيضا مسجد جُعفي، و بنو جُعفي بطن من سعد العشيرة بن مَذْحِج، وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان. وفي

---

١ - الاردبيلي، محمد علي، جامع الرواة: ١/ ٤١١.

٢ - المجلسي، بحار الأنوار: ٦٦/٥٢.

٣ - العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ٦٤٧/٢.

الكوفة كان الكثير من الجُعفيّين ولهم بها محلّة، وقد نبغ منهم عدد من العلماء والأدباء ممّن ساهموا في الحياة الفكريّة والحديثية في الكوفة والبلاد العربيّة والإسلاميّة: كالشاعر الشهير المتنبّي أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب، والفقيه جابر بن يزيد الجعفي، والشاعر عبيد الله بن الحرّ الجعفي.

إذن هذه بعض مساجد الكوفة والتي سميت بعضها باسم فقهائها، ومعلوم أن تداول أصول الفقه ورواية الحديث وإحياءَه ونقله، كان في تلك المساجد لا سيما مسجدها الكبير كما تقدم.

المبحث الثاني
مسجد الكوفة المعظم:

يعد مسجد الكوفة من المساجد المعظمة التي ضمّها العالم الاسلامي، والتي صارت مطاف العالم الإسلامي ومزار المسلمين وكعبة المؤمنين، ولا يشد الرحال الا لها، وفي ذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام): (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول(صلى الله عليه وآله)،ومسجد الكوفة)[١].

وكان لمدينة الكوفة من الفضل مانال مسجدها، فهي حرم أمير المؤمنين(عليه السلام) ومحل هجرته[٢]، يقول عنها(سلام الله عليه): (هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا..)[٣]، يصف تربتها الامام الصادق(عليه السلام) فيقول: (تربة نحبها وتحبنا..)[٤].

فكان مسجدها من المساجد المباركة والمحال المعظمة، وأحد اربعة مساجد هي من قصور الجنة في الدنيا[٥]، بل وأحد ثلاثة مساجد لايشد الرحال إلا لها[٦]. صلى فيه الأنبياء والاوصياء حتى قيل صلى فيه الف نبي وألف وصي[٧].

وقد نبّه الامام أبي جعفر الباقر(عليهما السلام) الى غفلة الناس عنه وعن فضله فقال: (لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لاعدوا له الزاد والرواحل من

---

١ - العاملي، وسائل الشيعة:٥٢٥/٣.
٢ - المنتظري، البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر: ٣٣٢.
٣ - الحائري، شجرة طوبى: ١٢/١.
٤ - ن . م
٥ - الطوسي، الامالي: ٣٦٩.
٦ - الصدوق، من لايحضره الفقيه: ٢٣١/١.
٧ - ابن قولويه، كامل الزيارات: ٧٢.

مكان بعيد)[1].

وفي هذا الصدد ينقل هارون بن خارجة حديثا دار بينه وبين الامام الصادق(عليه السلام) يبين عظمة هذا المسجد المبارك وفضله، حيث قال: قال لي- اي الامام الصادق(عليه السلام)-: (يا هارون بن خارجة كم بينك وبين مسجد الكوفة يكون ميلا ؟ قلت: لا، قال: فتصلي فيه الصلوات كلها؟ قلت: لا، فقال: أما لو كنت بحضرته لرجوت ألا تفوتني فيه صلاة، أتدري ما فضل ذلك الموضع؟ ما من عبد صالح ولا نبي إلا وقد صلى في مسجد كوفان حتى أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) لما أسرى الله به قال له جبرئيل(عليه السلام):أ تدري أين أنت يا رسول الله الساعة؟ أنت مقابل مسجد كوفان، قال: فاستأذن لي ربي حتى آتيه فاصلي فيه ركعتين فاستأذن الله عز وجل فأذن له، وإن ميمنته لروضة من رياض الجنة وإن وسطه لروضة من رياض الجنة وإن مؤخره لروضة من رياض الجنة وإن الصلاة المكتوبة فيه لتعدل ألف صلاة وإن النافلة فيه لتعدل خمسمائة صلاة وإن الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر لعبادة ولو علم الناس ما فيه لاتوه ولو حبوا)[2].

١ - ابن قولويه، كامل الزيارات: ٧١.

٢ - الكليني، الكافي: ٣ / ٤٩٠ - ٤٩١.

اولا: ادوار المسجد التاريخية:

١- التأسيس: تشير المصادر التاريخية، والاحاديث المأثورة عن أهل البيت(عليهم السلام) الى قدم تأسيس مسجد الكوفة، ولعل تاريخ بنائه يعود الى ما قبل أبينا آدم بكثير، فكان موضعا للملائكة ولمن شاء الله من خلقه يسبحونه فيه ويقدسونه، والمتأمل في الحديث الذي دار بين المصطفى(صلى الله عليه وآله) وأمين الوحي جبرائيل، يجد ذلك بما لا يقبل الشك، وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وآله: (لما أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرئيل، فقال لي: يا محمد إنزل فصل في هذا المكان، قال: فنزل فصليت، فقلت: يا جبرئيل أي شيء هذا الموضع؟ قال: يا محمد هذه كوفان وهذا مسجدها، أما أنا فقد رأيتها عشرين مرة خرابا وعشرين مرة عمرانا ما بين كل مرتين خمسمائة سنة)[1].

ويمكن من خلال الفترة التي حددها أمين الوحي جبرئيل عليه السلام ورؤيته للمسجد وتفاوت حاله بين الاعمار والخراب، قدم المسجد وتقدمه بآلاف السنين عن ابينا آدم عليه السلام، مع الاخذ بنظر الاعتبار اتفاق المؤرخين وأهل السير والأخبار بأن المدة من خلق أبينا آدم إلى نبينا هي بحدود ستة آلاف سنة تقريبا.

من هنا نجد ان الروايات التي تقول ان المسجد اختط من قبل آدم ومنها ما قاله الامام الصادق(عليه السلام): (حد مسجد الكوفة آخر السراجين، خطه آدم(عليه السلام) وأنا أكره أن أدخله راكبا..)[2]. يمكن قراءتها من عدة اوجه: ان يكون خطه للمسجد هو من قبيل تعيين مكانه مرة أخرى، واعادة إعماره

---

١ - الصدوق، من لايحضره الفقيه:٢٣١/١.

٢ - الطوسي، تهذيب الاحكام:٢٥٥/٣.

ثانية، استنادا لحديث جبرئيل وقوله: انه رأى المسجد بين حالتين هي الخراب والعمران، أو ربما تكون الخطة الجديدة التي اختطها آدم للمسجد هي من باب إحيائه وإعماره بالصلاة ركوعا وسجودا ودعاء.

او لا هذا ولا ذاك، وعلمه عند الله، ذلك ان العقل- كما يقول مغنية- لامجال له فيه لا سلبا ولا ايجابا، والطريق الى معرفته ينحصر بالاثار والحفريات، او بآية قرآنية، او سنة قطعية، لان كل الذي بين ايدينا هي أخبار آحاد، والخبر الواحد حجة في الاحكام الشرعية فقط[1].

وبعد ان شاء الله ان تمصر الكوفة بمشورة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الادرى بفضلها ومكانتها، وحثه لعمر بذلك، وجعل كتائب المسلمين تحط رحالها على رمل تلك الارض الحمراء المخلوطة بالحصباء.

وكان يقول عليه السلام في ذلك: (والله ان الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وانها لقبلة الاسلام، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن الا أتاها وحن اليها، والله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط)[2].

ولما أعتاد اهل الاسلام بخط المساجد قبل الامصار، بنى سعد بن أبي وقاص المسجد على ارض مربعة الشكل في وسط مدينة الكوفة عند تخطيطها عام ١٧هـ على يد أبي الهياج بن مالك، بعد انتهاء المسلمين من موقعة القادسية، وكانت الكوفة بذلك وعلى حد قول الطبري دار(جهاد وهجرة)، واضاف: (اول شيء خط بالكوفة، وبني حين عزموا على بناء المسجد، ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء ان يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه،وأمر من شاء ان يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه)[3].

١- مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ٢٠٣/١.

٢- الطبري، تاريخ الطبري: ١٦٠/٣.

٣- الطبري، التاريخ الكبير: ٤٥/٣.

وحفر للمسجد خندقا لتحديد مساحة أرضه، وبُني في مقدمته صفة على رخام للأكاسرة جيء به من الحيرة، وكان قدرها مائتي ذراع لإجتماع الناس عليها كي لا يزدحموا، ثم بنى أساطينها بغير مجنبات ولا مؤخرة، ولم يكن للمسجد جدران، وكان الرجل يجلس في المسجد فيرى باب الجسر ودير هند[1].

٢- تغيير حدود المسجد: تتحدث الروايات التاريخية عن تغيّر حدود المسجد مرات عدة فنقص من بنائه الكثير[2]، فمساحة المسجد هي اكبر بكثير مما هي عليه، إلا ان ظروفا مختلفة مرت على المسجد ساهمت بتغيير مساحته يحددها الامام الصادق(عليه السلام) بعد أن سُئل عمن غيّره عن خطته..؟ فقال(سلام الله عليه): (أما أول ذلك فالطوفان في زمن نوح(عليه السلام)، ثم غيّره أصحاب كسرى، والنعمان، ثم غيّره زياد بن أبي سفيان..)[3].

والمتأمل لرواية الرجل الذي جاء أمير المؤمنين(عليه السلام) يخبره عن عزمه الذهاب لبيت المقدس من اجل الصلاة والعبادة، نجدها تحدد مساحة المسجد بشيء من الدقة، والتي جاء فيها: يا أمير المؤمنين، إني اشتريت راحلة وأعددت زادا لأذهب وأصلي في مسجد بيت المقدس، فقال: (بع راحلتك وكل زادك وعليك بهذا المسجد يعني مسجد الكوفة..) إلى أن قال: (والبركة منه إلى اثني عشر ميلا من حيث ما أتيته وقد ترك من أسه ألف ذراع..)[4].

وفي رواية أخرى عنه قال(عليه السلام): (إن مسجد الكوفة رابع أربعة مساجد للمسلمين، ركعتان(فيه) أحب إلي من عشرة فيما سواه، ولقد نجرت سفينة نوح(عليه السلام) في وسطه وفار التنور من زاويته(اليمنى)، والبركة منه

١- ن. م

٢- البراقي، تاريخ الكوفة: ٣٣.

٣- الطوسي، تهذيب الاحكام:٣/٢٥٥.

٤- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ١:٤/٥٣٠.

على اثني عشر ميلا من حيث ما أتيته، ولقد نقص منه اثنا عشر ألف ذراع بما كان على عهدهم)[1].

وبالإسناد عن حذيفة قال: والله إن مسجدكم هذا لأحد المساجد الأربعة المعدودة: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، ومسجدكم هذا - يعني مسجد الكوفة - ألا وإن زاويته اليمنى مما يلي أبواب كندة منها فار التنور، وإن السارية الخامسة مما يلي صحن المسجد عن يمنة المسجد مما يلي أبواب كندة مصلى إبراهيم الخليل، وإن وسطه لنجرت فيه سفينة نوح، ولأن أصلي فيه ركعتين أحب إلي من أن أصلي في غيره عشر ركعات، ولقد نقص من ذرعه من الأس الأول اثنا عشر ألف ذراع، وإن البركة منه على اثني عشر ميلا من أي الجوانب جئته)[2].

وفي الكافي والبحار: بالإسناد عن ابن البطائني عن أبي بصير قال: سمعت الصادق(عليه السلام) يقول: (نعم المسجد مسجد الكوفة، صلى فيه ألف نبي وألف وصي، ومنه فار التنور، وفيه نجرت السفينة، ميمنته رضوان الله، ووسطه روضة من رياض الجنة، وميسرته مكر). فقلت لأبي بصير: ما يعني بقوله مكر؟ قال: يعني منازل السلطان(الشيطان). ثم قال: وكان أمير المؤمنين(عليه السلام) يقوم على باب المسجد ثم يرمي بسهمه فيقع في موضع التمارين، فيقول: (ذاك من المسجد). وكان يقول: (قد نقص من أساس المسجد مثل ما نقص في تربيعه)[3].

٣- عمارات المسجد: مرّ المسجد بادوار كثيرة وعمّر عمارات عديدة، غيرت من معالمه حتى وصل الى حاله الذي هو عليه اليوم، اول تلك التغيرات هي تلك

١- المجلسي، بحار الانوار: ٣٩٥/٩٧.

٢- ن . م: ٩٧/ ٣٩٦.

٣- الكليني، الكافي:٤٩٢/٣. المجلسي، البحار: ٣٩٧/٩٧.

التي جرت على يد المغيرة بن شعبة زمن معاوية، حيث زاد فيه وبناهُ بعد توليه ولاية الكوفة [١].

واستمر به هذا الحال حتى ولاية زياد بن ابيه للكوفة فزاد في مساحة المسجد وبناه بناء فخما[٢] وجعله يتسع لستين الف مصلٍ او شخص وقيل ان فيه(٩) اجربة[٣] ومن بين الاضافات التي شهدها المسجد ابان ولاية (زياد ابن ابيه) تلك التي تتعلق ببناء الابواب والجدران فاتخذ في المسجد اساطين يقال انها جيء برخامها وحجارتها من جبال الاهواز حيث كانت تنقر ثم تثقب ويصبّ فيها الرصاص وسفافيد الحديد لترفعه ذراعاً في السماء ثم يسقف المسجد ويعمل له مجنبات ومواخير[٤] واتخذ زياد أيضاً في المسجد مقصورة جددها خالد بن عبد الله القسري في ولايته[٥]، كما عمل زياد على اكساء ارضية المسجد بالحصى وكان قبل ذلك مكسواً بالتراب[٦].

وفي ولاية عبيد الله بن زياد بنى المسجد وعزز بناءَهُ بأساطين ولما أكمل بناءه جمع الناس ثم صعد المنبر وقال: (يا أهل الكوفة قد بنيت لكم مسجدا لم يبن على وجه الارض مثله وقد أنفقت على كل أسطوانة سبعة عشر ومائة ولا يهدمه الا باغ أو جاحد)[٧].

كما بنى فيه عمرو بن حريث المخزومي بناء، ولما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية الكوفة هدمه ثم اعاد بناءَه، وفي أيام خالد بن عبد الله القسري جدد

١- البلاذري، فتوح البلدان: ٢/ ٣٣٩.
٢- الجبوري، كامل سلمان، مساجد الكوفة: ٢٦-٤٥.
٣- الحموي، معجم البلدان:٤ /٤٩٢.
٤- الطبري، تاريخ الرسل: ٤ /٤٤-٤٥ .
٥- البلاذري ، فتوح البلدان:٢ /٣٤٠.
٦- ن.م
٧- البراقي، تاريخ الكوفة: ١٦٧.

المقصورة التي شيدها زياد بن أبيه[1]، وفي ايام يوسف بن عمر الثقفي سقط الحائط مما يلي دار المختار ابن أبي عبيد الثقفي فبناه[2].

ويصف الرحالة الاندلسي ابن جبير حال المسجد يوم زار الكوفة عام ٥٨٠هـ وقال: (والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق، وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسي عليها، وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما أرى في الأرض مسجدا أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا)[3].

ومن جانب آخر قدم لنا الرحالة المغربي أبن بطوطة صورة أخرى للمسجد في عام ٧٢٦هـ يوم زار الكوفة وسجل مشاهداته عن المسجد التي يقول فيها: (وجامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة، قد صنعت قطعا ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول)[4].

وفي عام ١١٨١هـ أنبرى العلامة السيد مهدي بحر العلوم قدس سره لتعيين مقامات المسجد الشريفة وبنى فيها العلامات والمحاريب الدالة اليها، بعد ان دفن أرض المسجد بالتراب الطاهر، كما شيد أيضا فيه الحجرات حتى تكون أظله يحتمي بها المصلون والمعتكفون من أشعة الشمس وحرارة الصيف او برد الشتاء وأمطاره[5].

---

١ - البلاذري، فتوح البلدان:٢ /٣٤٠.

٢ - ن.م

٣ - الجبوري، مساجد الكوفة: ٧٦. ابن جبير، رحلة ابن جبير: ١٨٧-١٨٩.

٤ - الجبوري، مساجد الكوفة: ٧٦. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة: ١/ ١٩٨.

٥ - البراقي، تارخ الكوفة: ٥٤-٥٥.

وفي عام ١٢٦٠هـ شيدت مئذنة مسجد الكوفة في المدخل الرئيس للمسجد المعروف بمدخل باب الفيل، من قبل الشيخ صاحب الجواهر قدس سره وذلك ببذل ملك الهند امجد علي شاه[١].

وفي عام ١٣٠٧هـ قام الميرزا الحاج ابو القاسم الكلباسي بهدم الغرف التي شيدها السيد بحر العلوم، وجعلها أيوانات مطلة على ساحة المسجد[٢].

وفي العام ١٣٢٦هـ قام السيد فخر الدين ملا معطائي بهائي من بهرة الهند بتعمير محراب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبناء بعض الاروقة وبسعي من السيد حبيب كمونة[٣].

وفي العام ١٣٦٣هـ قام الحاج عبد المحسن شلاش بتجديد بناية محراب أمير المؤمنين عليه السلام ومنبره، وضم أليه مقام النبي نوح والايوان المجاور له، وبعد وفاته اتم ولده الحاج عبود شلاش هذا المشروع في العام ١٣٧٠هـ.

وفي العام ١٣٧٤هـ تم تجديد مدخل المسجد الرئيس وهو مدخل الباب المعروفة بباب الفيل او باب الثعبان، حيث تم توسيعه وتزيينه وأكساؤه بالكاشي الكربلائي وذلك من قبل الحكومة العراقية[٤].

وبعد سنتين من هذا التاريخ تم ازالة المئذنة التاريخية الموجودة في هذا المدخل من قبل وزارة الاوقاف العراقية في العام ١٣٧٦هـ وشيد محلها المئذنة الحالية[٥].

وفي العام ١٣٨٨هـ تم اعمار غرف وجدران واواوين المسجد المتداعية من قبل الحكومة العراقية، مع فتح باب جديد للمسجد بأسم باب (الرحمة) تقع على يسار الداخل من باب الفيل.

---

١ - الجواهري، جواهر الكلام: ٢١/١.

٢ - ن.م:٩٠.

٣ - الجبوري، مساجد الكوفة:٩١.

٤ - ن.م

٥ - ن.م

٤-المسجد اليوم: يدخل الزائر اليوم الى مسجد الكوفة فيلاحظ الكثير من التغيرات التي طرأت على عمارته.. تمثل بمجموعه دورا آخر من الادوار المتعددة ة التي شهدها تاريخ هذا المسجد بكل قدسيته وروحانيته..

يحيط بالمسجد سور مربع عال يصل ارتفاعه إلى (١٠) أمتار مدعوم بابراج نصف دائرية عددها ٢٨ برجا، بواقع خمسة ابراج في الجدار القبلي، وسبعة في المؤخرة، ومثلها في الجدار الجانبي، حيث تلتقي الجدران على شكل البرج الدائري.

تبلغ مساحة المسجد الكلية (١١,١٦٢) متراً مربعاً، قسمت إلى (٥٦٤٢) متراً مربعاً مساحة مكشوفة، فيما سقفت المساحة الباقية وهي (٥٥٢٠) متراً مربعاً، وبلغت عدد الأعمدة الكلية في المسجد(١٨٧) عموداً، وعدد الأقواس الكلية فيه(٥٦) قوساً.

وافردت مساحة من المسجد مقدارها(٧٩٧) متراً مربعاً للاحاطة بمحراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فيما بلغت عدد أعمدته (٤٨) عموداً. ووضعت فيه أحد عشر بابا وقد غلف الجزء المسقف من المسجد بقواطع خشبية من الصاج وغلف الباقي بسيور من الخشب الصاج، كما زينت الواجهات المطلة على ساحة المسجد بزخارف وكتابات خطت بالخط الكوفي المذهب كتبت فيها عبارة لاله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

كما يحتوي سور المسجد على عدة مآذن، منها مئذنة باب الثعبان القديمة التي شيدت في عام ١٩٦٥ بعد ازالة مئذنة المسجد التاريخية والتي يعود انشاؤها الى القرن السادس او السابع الهجري بعدما تصدعت وآلت الى الانهدام[1]، وقد غلفت بالزخارف والنقوش والآيات القرانية الكريمة.

كما يضم المسجد مئذنة قديمة اخرى هي مئذنة باب الساعة المؤدية الى مرقد

---

١ . الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة: ١٩٥.

الشهيد مسلم بن عقيل، زُيّنت بالنقوش الإسلامية ونصبت فيها ساعة كبيرة وقد غُلفت قبة مئذنة الساعة بالذهب وبمقدار أربعة كيلو غرامات، وقد طورت حديثا بحيث أصبحت اول ساعة ناطقة في العتبات المقدسة بالعراق.

واخيرا أستحدثت منارتان مربعتان كبيرتان في ركني المسجد الغربي والشرقي واحدة ترتفع فوق مدخل باب الثعبان والاخرى تقابلها في الجهة الاخرى ويصل ارتفاع كل منهما إلى (٣٠,٨٥م) صممتا على وفق الطراز الفاطمي، كسيت جدرانهما بالاجر المنجور وتطل من جهاتها الاربع شبابيك بيضاء من الرخام الابيض المنحوت فيه زخارف نباتية جميلة وتعلو المئذنة قبة نصف دائرية مغلفة بالنحاس الاصفر.

اما مدخل المسجد الرئيس فيقع في طرف جدار المؤخرة الشمالي الشرقي تعلوه مئذنة اسطوانية ذات شرفة واحدة، مزينة بزخارف الكاشي الكربلائي الجميل ومرصوفة رصفا هندسيا جميلا.

أما ارض المسجد فتشتمل على صحن واسع أكسي ببلاط من مرمر الثاسيوس الابيض يتوسطه نافورة ماء تستخدم للوضوء أحيطت بسياج بشكل مثمن من المرمر المنحوت بالزخارف المميزة، وقد أقيمت هذه النافورة للدلالة على المكان المعروف سابقا بـ(محراب السفينة)، وفي مكان ليس ببعيد عن هذا الموضع يوجد شاخص من أساطين المسجد القديمة ثبت كمزولة بالقرب من مقام نبي الله محمد(صلى الله عليه وآله).

كما تضم ارضية المسجد على عدة شواخص من الرخام الابيض على هيئة قوس اسلامي كتب عليه بلون ذهبي وبخط الثلث أسم المقام او المحل التاريخي المرتبطة به.

ثانيا: مقامات مسجد الكوفة:

تضم أرض المسجد الكثير من المقامات، مثّلت بمجملها قيمة المسجد الدينية والتاريخية والمعنوية.

حدد بعضها الامام أمير المؤمنين عليه السّلام يوم قال: (يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عزّ وجلّ بما لم يَحْبُ به أحداً، ففضّل مُصلّاكم، وهو بيت آدم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومُصلّى إبراهيم الخليل، ومُصلّى أخي الخضر(عليهم السلام)، ومُصلّاي)[1].

ويُقصد بالمقامات المواضع التي اتّخذها الأنبياء أو الأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين مكاناً للعبادة والصلاة.

وجَرَت العادة أن يتمّ تحديد هذه المواضع بِمَدى قربها من أسطوانة(عمود) من أساطين المسجد، وكما سبقت الإشارة فقد كان مسجد الكوفة مُصلّى الكثير من الأنبياء ابتداءً من ابينا آدم وصولا الى خاتم الانبياء المصطفى محمد(صلّى الله عليه وآله)، فضلا عن الكثير من أئمة اهل البيت(عليهم السلام).

ولايزال المسجد وحتى يومنا يضم الكثير من هذه المقامات التي تُعرف بأسماء بعضهم صلوات الله عليهم أجمعين.. تحكي عظمة هذا المكان المقدس وأمتداد تاريخه وارتباطه بأسماء لها شأنها وقدسيتها في نفوس المؤمنين، ومن هذه المقامات:

١- مقام النبي إبراهيم عليه السلام: وهو عند الاصطوانة الخامسة، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (.. وعند الأسطوانة الخامسة صلى إبراهيم

١- الصدوق، الامالي: ٢٩٨.

الخليل(عليه السلام)، وقد صلى فيه الف نبي، والف وصي..)[1]، ويُرجّح أنّه المقام المواجه لباب المسجد الرئيسية (باب الثعبان).

كما روي عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه: (يا فلان إذا دخلت المسجد من الباب الثاني عن ميمنة المسجد فعد خمس أساطين، اثنتين منها في الظلال وثلاثا منها في صحن الحائط وصل هناك فعند الثالثة (مصلى إبراهيم) (عليه السلام) وهي الخامسة)[2].

وينقل صاحب البحار عن الشهيد ومؤلف المزار الكبير رحمهما الله: ثم تصير إلى الرابعة مما يلي الأثماط تسير إلى الأسطوانة بمقدار سبعة أذرع أقل أو أكثر فقد روي عن مولانا الصادق جعفر بن محمد(عليهما السلام) أنه جاء في أيام السفاح حتى دخل من باب الفيل فتياسر قليلا ثم دخل فصلى عند الأسطوانة الرابعة وهي بحذاء الخامسة فقيل له في ذلك فقال: تلك أسطوانة إبراهيم(عليه السلام) تصلي أربع ركعات[3].

٢ ـ مقام الخضر(عليه السلام). وهو مقام يحاذي مقام إبراهيم(عليه السلام) من جانبه الشرقي، وقد روى الشيخ الطوسي في(الأمالي) عن الاصبغ ابن نباتة انه قال:(كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) يصلي عند الأسطوانة السابعة من باب الفيل(الثعبان)، إذ أقبل عليه رجل عليه بردان أخضران وله عقيصتان سوداوان، أبيض اللحية، فلما سلم أمير المؤمنين(عليه السلام) من صلاته أكب عليه، فقبل رأسه، ثم أخذ بيده فأخرجه من باب كندة. قال: فخرجنا مسرعين خلفهما ولم نأمن عليه، فاستقبلنا(عليه السلام) في جازسوج(مربع) كندة، قد أقبل راجعا، فقال: ما لكم ؟ فقلنا: لم نأمن عليك

١- النوري، مستدرك الوسائل: ٣ /٤٠٨.

٢- المشهدي، محمد بن جعفر، فضل الكوفة ومساجدها: ٧٥.

٣- المجلسي، بحار الأنوار: ٩٧ /٤١٠.

هذا الفارس. فقال: هذا أخي الخضر، ألم تروا حيث أكب علي. قلنا بلى. قال: انه قال لي: إنك في مدرة(مدينة) لايريدها جبار بسوء إلا قصمه الله، وأحذر الناس، فخرجت معه لاشيعه لانه اراد الظهر)[1].

٣ ـ مقام النبي محمد(صلى الله عليه وآله) أو مقام المعراج: يقع في وسط المسجد، قريباً من(المِزولة)[2]، ويُرجّح أنّه الموضع الذي نزل وصلّى فيه رسول الله(صلّى الله عليه وآله) في رحلة الإسراء، قال النبي(صلى الله عليه وآله): (لما أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرئيل، فقال لي: يا محمد إنزل فصل في هذا المكان، قال: فنزل فصليت)[3].

وعن هارون بن خارجة عن الصادق(عليه السلام): ان رسول الله(صلى الله عليه وآله) صلى في مسجد الكوفة ليلة الاسراء ركعتين، وان المكتوبة فيه بألف صلاة، والنافلة بخمسمائة، وان الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكرلعبادة[4].

٤ ـ مقام النبي آدم(عليه السلام). وهو مقام يقع بمحاذاة المسقف الجنوبي الذي يضم موضع استشهاد الامام أمير المؤمنين(عليه السلام)، وقد مرّ ان ابينا آدم(سلام الله عليه) قد أختط المسجد، قال الامام الصادق(عليه السلام): (حد مسجد الكوفة آخر السراجين، خطه آدم(عليه السلام) وأنا أكره أن أدخله راكبا..)[5].. كما تفيد الكثير من الروايات ان بيته(سلام الله عليه) كان فيه، قال

---

١ - الطوسي، الأمالي:٥١.

٢ - هي أحد أساطين المسجد القديمة وضعها السيد بحر العلوم لتحديد وقت الزوال، وقد نحت وسطها بسبب أعتقادات بعض العامة .

٣ - الصدوق، من لايحضره الفقيه:٢٣١/١.

٤ - الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ٣ /١٠٨ - ١٠٩.

٥ - الطوسي، تهذيب الاحكام:٢٥٥/٣.

الامام أمير المؤمنين(عليه السّلام): (يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عزّ وجلّ بما لم يَحبُ به أحداً، ففضّل مُصلّاكم، وهو بيت آدم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومُصلّى إبراهيم الخليل، ومُصلّى أخي الخضر عليهم السلام، ومُصلّاي..)[1].

٥ ـ مقام جبرائيل(عليه السلام). قال الامام الصادق(عليه السلام): (الأسطوانة السابعة مما يلي أبواب كندة في الصحن مقام جبرائيل عليه السلام)[2]. ولفضل هذا المكان كان الامام علي(عليه السلام) يصلي فيه، فقد روي عن الأصبغ بن نباتة انه كان يشير الى الأسطوانة السابعة ويقول: (هذا مقام أمير المؤمنين(عليه السلام)، قال: وكان الحسن بن علي(عليهما السلام) يصلي عند الأسطوانة الخامسة وإذا غاب أمير المؤمنين(عليه السلام) صلى فيها الحسن(عليه السلام) وهي من باب كندة)[3].

ويشير أبو حمزة الثمالي إلى صلاة الامام زين العابدين(عليه السلام) فيه حيث قال: (دخلت مسجد الكوفة فإذا أنا برجل عند الأسطوانة السابعة قائما يصلي يحسن ركوعه وسجوده، فجئت لأنظر إليه، فسبقني إلى السجود، فسمعته يقول في سجوده: اللهم إن كنت قد عصيتك، فقد أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو الإيمان بك، منّاً منك به عليّ لا منّاً به مني عليك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك: لم أدع لك ولدا، ولم أتخذ لك شريكا منّاً منك عليّ لا منّاً مني عليك. وعصيتك في أشياء على غير مكاثرة مني ولا مكابرة ولا استكبار عن عبادتك، ولا جحود لربوبيتك، ولكن اتبعت هواي وأزلني الشيطان بعد الحجة والبيان. فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم لي، وإن ترحمني فبجودك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

---

١ - الصدوق، لامالي: ٢٩٨.

٢ - المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها: ٣٧.

٣ - الطوسي، تهذيب الأحكام:٦ / ٣٣.

ثم انفتل، وخرج من باب كندة، فتبعته حتى أتى مناخ الكلبيين، فمر بأسود فأمره بشئ لم أفهمه، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا علي بن الحسين بن علي(عليهم السلام). فقلت: جعلني الله فداك ما أقدمك هذا الموضع؟ فقال:الذي رأيت)[1].

٦ ـ مقام الإمام زين العابدين عليه السلام. وهو على مقربة من محراب الأمير عليه السلام، وقد وردت الكثير من الروايات التي تتحدث عن قدوم الامام زين العابدين(عليه السلام) الى مسجد الكوفة وصلاته فيه، ينقل صاحب كشف الغمة انه روى عن يوسف بن أسباط عن أبيه، قال: دخلت مسجد الكوفة، فإذا شاب يناجي ربه وهو يقول في سجوده: " سجد وجهي متعفرا في التراب لخالقي وحق له " فقمت إليه، فإذا هو علي بن الحسين(عليه السلام) فلما انفجر الفجر، نهضت إليه فقلت له: يا ابن رسول الله تعذب نفسك وقد فضلك الله بما فضلك؟ فبكى ثم قال: حدثني عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): كل عين باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين فقئت في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة ساجدة يباهي بها الله الملائكة ويقول: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي، قد جافى بدنه عن المضاجع، يدعوني خوفا من عذابي وطمعا في رحمتي، اشهدوا أني قد غفرت له[2].

كما نقل العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء ان علي بن الحسين(عليهما السلام) جاء إلى مسجد الكوفة عمدا من المدينة فصلى فيه ركعتين ثم عاد حتى ركب راحلته وأخذ الطريق[3].

١- الإمام زين العابدين(عليه السلام)، الصحيفة السجادية:٥٣٤ - ٥٣٥.

٢- الاربلي، ابن ابي فتح، كشف الغمة:٣١١/٢.

٣- الحلي، تذكرة الفقهاء: ٢ / ٤٢٥.

٧ ـ مقام النبي نوح عليه السلام. يقع مكان هذا المقام بالقرب من موضع استشهاد الامام(عليه السلام)، وقد ذكرنا سابقا الروايات التي تتحدث عن ان المسجد كان فيه بيوت بعض الانبياء ومصلى لهم منهم نبي الله نوح(عليه السلام).

كما لا يخفى على المطلع ان في وسط هذا المسجد بنى نبي الله نوحٌ سفينته، فقد روي عن أمير المؤمنين أنه قال: (... ولقد نجرت سفينة نوح(عليه السلام) في وسطه وفار التنور من زاويته(اليمنى)..)[1]، وعن سلمان الفارسي، عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، في حديث له في فضل مسجد الكوفة: (فيه نجر نوح (عليه السلام) سفينته، وفيه فار التنور، وبه كان بيت نوح (عليه السلام)ومسجده)[2].

كما روي عن الامام الرضا(عليه السلام) اثناء حديثه مع احد أصحابه انه قال: (... ان مسجد الكوفة بيت نوح لو دخله رجل مائة مرة لكتب الله له مائة مغفرة أما إن فيه دعوة نوح(عليه السلام) حيث قال: رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا...)[3].

٨ ـ مقام الامام علي(عليه السلام) ومحل استشهاده: وهو الموضع الذي أستشهد فيه امير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) ويقع في الضلع الجنوبي من المسجد، بجوار باب السدة المؤدية الى داره(عليه السلام)، وهو غير محراب الجامع الرئيسي الذي يكون في العادة متوسطا الجامع، ويعرف اليوم(بمحراب النافلة). ولعل الامام(سلام الله عليه) كان يصلي نافلة الصبح في ذلك الموضع فضربه اللعين ابن ملجم، فأتخذه الناس مقاما طغت شهرته على المحراب الاصلي للجامع.

١- المجلسي، بحار الانوار: ٣٩٥/٩٧.

٢- النوري، مستدرك الوسائل: ٣ / ٤٠٢.

٣- العاملي، وسائل الشيعة: ٣٨١/١٤ - ٣٨٢.

ذكر هذا المحراب الرحالة ابن بطوطة في رحلته فقال:(ومحراب محلق باعواد الساج مرتفع وهو محراب امير المؤمنين(عليه السلام) وهناك ضربه الشقي ابن ملجم، والناس يقصدونه للصلاة به)[1].

وكان مبنيا من الطابوق المزخرف بالقاشاني الأزرق على شكل خطوط بين البناء وبأشكال وزخارف بديعة وهو عبارة عن ايوان واحد على نسق الأواوين المجاورة، وقد كتب في الأعلى الآية (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) آل عمران/٣٧. وعلى المكان المقدس الخاص بالصلاة مشبك مصنوع من البرونز مزخرف فيه طريات مكتوب في الأولى (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وفي الثانية (أنا مدينة العلم وعلي بابها) والمنبر مبني من الموزائيك الأخضر، وفي سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٦م قام بتعميره احد زوار البهرة هو سيد فخر الدين ملا بهائي حيث غلف الواجهة بالحجر القاشاني(٢)، ونظرا لازدحام الزائرين فيه فقد قام الحاج عبد المحسن شلاش في عام ١٩٥٠م بتوسيع المقام وضم اليه مقام النبي نوح(عليه السلام) والإيوان المجاور وكانت واجهته قائمة على شكل اقواس عربية مبنية بالطابوق وقد اكمل العمل من بعده ولده الحاج عبود شلاش، وقد كتب على واجهته سورة الدهر (بسم الله الرحمن الرحيم هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...) الإنسان/١[3].

وكذلك على واجهة الأواوين المجاورة من الجهة القبلية وان هذه الكتابة على القاشاني الأزرق على الأواوين والمحراب قام بالصرف عليها ديوان الأوقاف من قبل لجنة تعمير العتبات المقدسة برئاسة السيد عبد الصاحب الغرباوي قائمقام القضاء في سنة ١٩٦٥[4].

١- الدجيلي، جعفر ، النجف الاشرف في كتب الرحالة والمراجع الغربية:١٧-١٨.

٢- آل طعمة، عبد الرزاق، تاريخ مدينة الكوفة والمراقد المجاورة: ٥٦-٥٧.

٣- ن.م

٤- آل طعمة، تاريخ مدينة الكوفة والمراقد المجاورة: ٥٦-٥٧..

وفي العام ١٩٧٣م تبرع زعيم طائفة البهرة الدكتور محمد برهان الدين بشباك فضي مزخرف ومطلي بالذهب ومزين بالنقوش والايات القرآنية وقد كتب على قطعة دائرية فيه عبارة(فزت ورب الكعبة)، وقد رصفت عبارة اخرى بأحجار كريمة صغيرة جدا اظهرته بمظهر رائع وألواح مستطيلة طول الواحدة حوالي ٢٠سم وعرضها ٣٠سم مطلية بالذهب، كتب على الاول الحديث الشريف(ياعلي أنا وأنت أبوا هذه الامة) والثانية أسم المتبرع الدكتور محمد برهان الدين والثالثة تاريخ هذه التعميرات وقطعة صغيرة عاى شكل قرص دائري كتب عليها(محمد وعلي) كما كتبت عبارات داخل المقام مثل(لافتى الا علي لاسيف الا ذو الفقار)و (انا مدينة العلم وعلي بابها) و(علي مع القرآن والقرآن مع علي) وقد رصفت واجهة المقام الداخلي بالمرمر الابيض والزخارف الذهبية البارزة المغلفة بالزجاج وقد كتبت في اعلاه الاية ٢٣ من سورة الاحزاب: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[1].

وفي بداية القرن الواحد والعشرين استبدلت واجهة محراب الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) من قبل متبرعين من طائفة البهرة، وقد تم تصنيع هذا المحراب في مدينة كراتشي في الباكستان وأستمر العمل لمدة عام كامل، نقش في حواشي الضريح الثلاثة ١١٤بيضة في شكل دمعة اشارة الى عدد سور القرآن ودلالة الى ان امير المؤمنين(عليه السلام) هو القرآن الناطق الذي يجمع في مضمونه سور القرآن،تحيطها سلسلة مذهبة تشير الى الأئمة الاثنى عشر(عليهم السلام)، وفي وسط نقش السلسلة الأفقية ثبتت لوحة ذهبية منقوش عليها كلمة(يا علي) بعرض ٤ سم وطول ١٠سم.

وفي اعلى الضريح نقشت الشهادة (لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي

١- الجبوري، مساجد الكوفة:٩٦.

الله) بالخط الكوفي ورصعت بعشره الاف وثلاثمائة وستة وعشرين ياقوته، وتحت كلمة الشهادة من الجهة اليمنى واليسرى وفوق الآية الكريمة (من المؤمنين رجال...) كتب في لوح ذهبي كلمة (محمد) في الجهة اليمنى، وكلمة (علي) في الجهة اليسرى بالخط الكوفي، ورصعت كلمتا(محمد وعلي) بخمسمائة وخمس وستون ياقوتة حول الكلمتين بنجمة مخمسة مكررة، وقد نقشت حولها نقوش زخرفية تضم سنبلة شعير دلالة على ان قوت امير المؤمنين كان من الشعير.

كما خطت الآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) الأحزاب/٢٣. وفي شكل مقوس بالخط الكوفي ومذهبة وقد أخذ النقش الذي تحت الآية من النقوش التي كانت على رخام محراب امير المؤمنين(عليه السلام) الأول.

وتحت تلك الآية خطت السورة المباركة (بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ◆ اللَّهُ الصَّمَدُ ◆ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ◆ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) صدق الله العلي العظيم.

في وسط الشباك المبارك كتب قول امير المؤمنين(عليه السلام) الذي قاله عند وقوع الضربة (فزت ورب الكعبة) في شكل دائري بالخط الثلث، ومرصع بثمانمائة وخمس وخمسين ياقوتة، وقد اخذت هذه المدورة من الضريح القديم لمحراب امير المؤمنين(عليه السلام).

وكتبت تحت سورة الاخلاص قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (شيعة علي هم الفائزون) بالخط الكوفي المذهب وكتبت من الجانب الأيمن بالخط الكوفي (محمد وعلي خير البشر) وفي الجانب الأيسر(وعترتهما خير العتر) بالذهب.

في وسط شباك الضريح المبارك الذي فيه خمس مدورات افقية واحدى وعشرين مدورة عمودية كتبت اسماء الخمسة الأطهار صلوات الله عليهم بالخط

الكوفي في شكل مدورة، ومرصع بمائتين وتسع وسبعين ياقوتة، وحولها نقش من الذهب مرصع بمائتين وخمس وتسعين ياقوتة.

قفل الضريح من ذهب الإبريز ومرصع باثنين وخمسين يا قوتة والمفتاح مرصع باحدى وعشرين ياقوتة.

وفوق الضريح مكتوب اية التطهير بالخط الكوفي، وفوق الآية البسملة بالذهب ومرصع بألف ومائة وخمس عشرة ياقوتة، وحول الضريح اثنان وتسعون لوحة مكتوب عليها كلمة يا علي.

وقد افردت مساحة من المسجد مقدارها(٧٩٧) متراً مربعاً للاحاطة بذلك المحراب، فيما بلغت عدد أعمدته (٤٨) عموداً، ويدخل أليه من خلال أحد عشرة بابا.

٩- مقام النافلة. يقع هذا المقام في وسط جدار القبلة، ولا اعلم وجها لتسميته اليوم بـ(النافلة)، وهذا المحراب حسب الرواية التي ينقلها صاحب البحار المحراب الاصلي للجامع، إذ لايعقل ان يكون لجامع واحد محرابان، الا ان شهرته تراجعت أمام الموضع الذي أستشهد فيه الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) فأتخذ الاخير محرابا وميز من خلال الزخارف والبناء المميز، وأهمل الاول حتى تداعت معالمه.

يقول صاحب البحار نقلا عن أحد مشايخه وممن أجازه في الحديث وهو الشيخ أمير شرف الدين علي الشولستاني أحد علماء النجف المشهورين في تلك الفترة انه قال:(وكان في وسط الحايط المذكور محراب كبير متروك العبادة عنده غير مشهور بمحراب أمير المؤمنين عليه السلام، ولا بمحراب أحد من الأنبياء والأئمة(عليهم السلام)، ولما صار المسجد خرابا وانهدمت الأسطوانات الكائنة فيه واختفى فرشه الأصلي بالأحجار والتراب، أراد الوزير الكبير ميرزا تقى الدين محمد(ره) تنظيف المسجد من الكثافات الواقعة فيه وعمارة الجانب القبلي

من المسجد ورفع التراب والأحجار المرمية في صحنه إلى الفرش الأصلي ونظف وسوى دكتين في جهتي الشرقي والغربي، ظهر أن المحراب والباب المشهورين بمحرابه، وبابه(عليه السلام) ما كانا متصلين بالفرش الأصلي بل كانا مرتفعين عنه قريبا من ذراعين والمحراب المتروك الذي كان في وسط الحايط القبلي كان متصلا وواصلا إليه وظهر أيضا باب كبير قريب منه واصل إليه، كانت عند الحايط القبلي من أوله إلى آخره أسطوانات وصفات، وبنى الوزير الأمجد عمارته عليها، وعند ذلك المحراب كانت صفة كبيرة قدر صفتين من أطرافها لم يكن بينها اثر أسطوانة، ولما صار هذا المحراب الكبير عتيقا كثيفا أمر الوزير بقلع وجهه ليبيضوه فقلعوا فإذا تحت الكثافة المقلوعة أنه بيضوه ثلاث مرات وحمروه كذلك، وفي كل مرتبة بياض وحمرة أمالوه إلى اليسار فتحير الأمير في ذلك فاحضرني وأرانيه، وكان معه جمع كثير من العلماء والعقلاء الأخيار وكانوا متحيرين متفكرين في الوجه، فخطر ببالي أن ذلك المحراب كان محراب أمير المؤمنين(عليه السلام) وكان يصلي إليه لوصوله إلى الفرش الأصلي، ولوقوعه في صفة كبيرة يجمع فيها العلماء والأخيار خلف الإمام(عليه السلام)، وكذلك كان ذلك الباب بابه(عليه السلام) الذي يجئ من البيت إلى المسجد منه لاتصاله بالفرش، ولما كان الجدار قديما وكان ذلك المحراب فيه ولم يكن موافقا للجهة شرعا تياسر(عليه السلام)، وبعده المسلمون حرفوا وأمالوا البياض والحمرة إلى التياسر ليعلم الناس أنه عليه السلام تياسر فيه وحمروه ليعلموا أنه عليه السلام قتل عنده، وكان تكرار البياض والحمرة لتكرار الاندراس والكثافة، ولما خرب المسجد واندرست الأسطوانات والصفات واختفى الفرش الأصلي وحدث فرش آخر أحدث بعض الناس ذلك المحراب الصغير وفتح بابا صغيرا قريبا منه على السطح الجديد واشتهرا بمحرابه وبابه(عليه السلام)، وعرضت على الوزير والحضار فكلهم صدقوني وقبلوا مني وصلوا الصلاة المقررة المعهودة عند محرابه عليه السلام عنده وقرأوا الدعاء المشهورة قراءته بعد الصلاة عنده وتياسروا في الصلاة

على ما رأوا في المحراب، وأمر الوزير بزينته زائدا على زينة سائر المحاريب وتساهل المعمار فيها، فحدث ما حدث في العراق وبقي على ماكان عليه كساير المحاريب..)[1].

١٠ ـ مقام الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام). وهو على مقرُبة من مدخل مرقد الشهيد مُسلم بن عقيل، وقد تحدثت الروايات عن الامام الصادق(عليه السلام) انه نزل بالكوفة أيام أبي العباس السفاح حيث بقي فيها مدة سنتين، فعمد الإمام إلى نشر علومه بأنشائه مدرسة عظيمة في مسجد الكوفة، وتخرج على يديه الكثير من العلماء، ومانقله الحسن الوشاء في رواية شهيرة تنقل وبشكل واضح معالم تلك المدرسة وأزدهارها في تلك الظروف ويقول: (إني أدركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلٌ يقول حدّثني جعفر بن محمد (عليه السلام))[2].

---

١ - المجلسي، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٣١ - ٤٣٢.

٢ - البراقي، تاريخ الكوفة: ٤٦٧.

المبحث الثالث
الكوفة والحركة العلمية

أولا: نشأة المدينة العلمية:

مثّل تمصير الكوفة عام ١٧ للهجرة، ولادة مدينة عربية خالصة، يوم حط فيها الرحال جيش المسلمين القادم من وقعة القادسية، لتكون دار هجرة ومنزل جهاد، وكوفة الجند، ومحل نزول قبائل الجزيرة العربية مثل كندة ومذحج وطي والأزد وهمدان وقيس وعيلان وربيعة وإياد وقضاعة.. وقبائل سواها، وما تحمله كل هذه الاسماء من بعد فكري عربي وإسلامي أصيل، بعيد عن المؤثرات الدخيلة والاجنبية.

فكانت، رأس أهل الإسلام، أو رأس العرب، و رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب، ومثلت بذلك بداية عهد علمي جديد في العراق والعالم الاسلامي عموما، إذ شهدت الكوفة نشاطاً علمياً كبيراً لا يقل عن النشاط السياسي والديني الذي برز فيها ورافق تاريخها، إذ بدأ شعاعها الفكري من جامعها العظيم الذي خط مع تخطيط المدينة، وكان الجامع والمدرسة التي أسست لنهضة فكرية كبيرة ابتدأت بالصحابة الذين هبطوا أرضها وكان عددهم ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعين من أهل بدر[١].

وكان في مقدمتهم الصحابيان الجليلان عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر اللذان ارسلا إلى الكوفة ليكونا معلمين بالإضافة لمهامهما الادارية الاخرى، وفي هذا يروى ان عمر كتب الى أهل الكوفة فقال: (أني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيرا وآثرتكم به على نفسي فخذواعنه)[٢] وفي رواية أخرى:

١- أبن سعد: الطبقات الكبرى:٦/٩.

٢- أبن سعد: الطبقات الكبرى:٦/١٣-١٤.

(أما بعد فإني بعثت إليكم عمارا أميراً، وعبد الله معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأسمعوا لهما واقتدوا بهما وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي أثرة)[1].

ويمكن قراءة هذين النصين على ان الكوفة تبوأت دورها العلمي منذ اللحظات الاولى لتأسيسها ومثل الصحابيان الجليلان عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر ومعهما مجموعة من خلص الصحابة النواة الاولى لتأسيس هذه المدرسة التي تكاملت على يد أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، حيث أرسى قواعدها في مسجد الكوفة المعظم، وكان ينادي من على منبر ذلك المسجد وأمام ملأ من الناس ويقول: (سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين جنبي علما جما)[2].

وبالفعل كان يسأل وهو على المنبر وامام الالوف من الناس ويجيب بكل طلاقة ودون وجل وخشية من ان يسأله سائل عن مسالة لا يكون عنده جوابها فيخجله فيها. ولا يجرأ على هذا القول إلا من يكون واثقا من نفسه بان عنده جواب كل ما يسال عنه. وهل تنحصر المسألة في علم من العلوم أو ناحية من النواحي حتى يجرؤ أحد على هذا القول ولا يكون مؤيدا بتأييد إلهي وواثقا من نفسه كل الوثوق بأنه لا يغيب عنه جواب مسالة مهما دقت وأشكلت.

من هنا كان خيار الصحابة والتابعين ورواد العلم وحفاظ الحديث، يسعون رجالا وعلى كل ضامر إلى الكوفة للالتحاق بركب باب مدينة العلم علي ابن ابي طالب عليه السلام، والنهل من نميره العذب، من متهذب بخلقه، ومعتبر بعظاته، وآخذ منه معالم دينه، وراو عنه صدق الحديث ومحض الحقيقة، او عامل له في شؤونه الإدارية والعسكرية وواقف معه في صف الحق ضد الباطل، وقد

١- ن.م:٦/١١.

٢- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٤٠٠.

أحصت كتب التاريخ أن الصحابة الذين نزلوا العراق وشاركوا أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه وغزواته ضد معاوية أو ضد الخوارج قد ناهزوا ثلاثة آلاف رجلٍ، ويقول الطبري في ذلك: " وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين و ثمانمائة ".

فمن كل ذلك كان في الكوفة فريق لا يستهان بعدتهم، أسهموا بتأسيس مدرسة لايمكن ان تتكرر في يوم من الايام، وما زالت ثمارها تقطف ليومنا هذا.

ثانيا: أستاذ الكوفة الاول:

لا شك ان الحركة العلمية لمدينة الكوفةبذر بذرتها الاولى، وارسى قواعدها أستاذ الكوفة الاول، الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، أمير وسيد الموحدين، وهو عميد مدرسة اهل البيت عليهم السلام القائل: (وأيم الله، لو أنشط، ويؤذن لي لحدثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً. وأيم الله، عندي لصحف كثيرة، قطائع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وأخرج القندوزي، نقلاً عن الجويني الشافعي بسنده عن الإمام الباقر، عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين (عليهم السلام)، أنه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي! أكتب ما أملي عليك. قلت: يا رسول الله، أتخاف علي النسيان؟ قال: لا، وقد دعوت الله عز وجل أن يُحفظك ولا يُنسيك، ولكن أكتب لشركائك. قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك..)[2].

١- الصفار، محمد بن الحسن ، بصائر الدرجات الكبرى: ١٦٩.

٢- القندوزي، ينابيع المودة: ٧٣/١.

ذلك هو استاذ هذه المدرسة الكبيرة التي برزت في هذه المدينة ومسجدها الاعظم، مدرسة الامام أمير المؤمنين عليه السلام، التي صارت قطبا للموالين، وواحدة من اكبر مراكز تعليم ونشر الثقافة الاسلامية في العالم، وبالتالي فان أصقاع المعمورة جميعا تعقم عن إنجاب بقعة تشابهها شرفا وفضلا وأهمية.

لتمثل مصداقا واضحا لتتاج مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) التي اهتمت اهتماماً واسعاً بالعلم والحثّ على طلبه من منابعه الأصيلة، حتى أصبح هذا الاهتمام من السمات البارزة والمعالم الشاخصة لتلك المدرسة.

فهذا مشرف المدينة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) يتلمذ على يديه في تلك المدرسة ثلة قل نظيرها من الرجال، كمالك الاشتر، ورشيد الهجري، وميثم التمار، وكميل بن زياد وأشباههم.. كانوا مثالا للفضيلة وكرم الاخلاق خزنوا مكنونات علم المرتضى(عليه السلام) وكانوا مصداقا من مصاديق مدرسته، منحهم من غامر علمه، واستأمنهم على غامض أسراره.

يروى عنه (عليه السلام) انه كان يجلس عند ميثم التمار في دكان له في سوق الكوفة ويختصه بنفيس العلوم، حيث يلقي عليه دروسه، وينيره من العلم الالهي، فحمل التلميذ من المعلم علما جما، حتى روي انه قال لابن عباس: (.. يا ابن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن، فاني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله..)[1]، ولما قارب على الرحيل، صار يسأل الناس وهو مصلوب على جذع نخلة: (سلوني، سلوني قبل أن أموت، فوالله لأحدثنكم ببعض ما يكون من الفتن...)[2].

وكذا الحال مع رشيد الهجري الذي قطع عبيد الله بن زياد يده ورجله في حب أستاذه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكان يقول: (إئتوني بصحيفة ودواة

١- الطوسي، اختيار معرفة الرجال:١ / ٢٩٤.

٢- الشريف الرضي، خصائص الأئمة: ٥٥.

أذكر لكم ما يكون مما أعلمنيه مولاي أمير المؤمنين(عليه السلام)، فأتوه بصحيفة ودواة، فجعل يذكر ويملي عليهم أخبار الملاحم والكائنات ويسندها إلى أمير المؤمنين(عليه السلام..)[1].

ولنستمع هنا لواحد من تلك لدروس التي القاها أستاذ الكوفة الاول لاحد تلامذته، وهو كميل بن زياد، الذي روي عنه انه قال: (أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) بيدي فأخرجني إلى ظهر الكوفة فلما أصحر تنفس ثم قال: يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَاد: إنّ هَذه الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ، النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاة وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَاد مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْمُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالِادِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولَئِكَ، أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ

١- الطوسي، الامالي: ١٦٥ – ١٦٦.

قَدْراً يَحفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّناتِه حَتّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ)[1].

وبعد هذا الدرس الرائع لنتأمل معا هذه الوثيقة التي رسمها أمير المؤمنين عليه السلام والتي اسس بها قواعد علم الرجال والدراية والجرح والتعديل، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده حتى قام خطيبا فقال (من كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمداً فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، فهو في يديه، ويرويه، ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يأمر به، ثم إنه نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ

١- نهج البلاغة، تحقيق هاشم الميلاني:٧٤٦-٧٤٨.

المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يهمل، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام والمحكم والمتشابه، فوضع كل شيء موضعه.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام له وجهان: فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به، ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحمله السامع، ويوجهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ، فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم)[1].

بهذا بذر الامام علي(عليه السلام) لسامعيه بتلك الدروس البذرة الاولى لتأسيس جامعته الكبرى، التي تخرج منها كبار الصحابة والحواريين لامير المؤمنين(عليه السلام).

ولذا طالما كان يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا حدثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدثكم، فإن كان حقا فلكم، وإن كان كذباً فعليه)[2].

١- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٣٨/١١.

٢- الكافي، الكليني:٥٢/١.

ثالثا: مدرسة الامام الصادق عليه السلام:

وعلى ذات النهج سار ابناء الامام(عليه السلام) حلقة بعد أخرى في سلسلة ذهبية تستمد من ملهمها الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله) ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام ألقها وعنفوانها، فكانت مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) الفقهية مثالاً حياً لهذه الحقيقة، وكان وريثا حقيقيا لمدرسة ابيه الباقر(عليهما السلام)، تلك التي حدثنا عنها جابر الأنصاري (رضوان الله عليه) الذي عرف عنه انه كان يأتي الباقر - وهو ما زال غلاما -طَرفي النهار للنهل من معينه الثر، حتى قال أهل المدينة: (واعجباه لجابر، يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله)[1]، وكان جابر إذا روى عن الامام الباقر(عليه السلام) يقول: (حدثني وصي الأوصياء وولي الأولياء ووارث علم الأنبياء..)[2].

لذا كانت مدرسة الصادق(عليه السلام) في الكوفة تقف على أسس متينة، وساهمت بشكل كبير في نشر علوم أهل البيت(عليهم السلام)، بل لم تقتصر الاستفادة من فيض مدرسة هذا الإمام العظيم على شيعة أهل البيت(عليهم السلام) خاصة، وإنما تعدى الأمر إلى أن ينهل منه علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، ليرسي من خلال مدرسته الكبرى قواعد الإسلام المحمدي الأصيل في وقت كان الناس فيه بأمس الحاجة لعالم كبير يمكنه التصدي لأفكار وفلسفات غريبة عن الإسلام انتشرت بين صفوف المسلمين ولم يكن حينذاك شخصية افضل من شخصية الإمام(عليه السلام) للقيام بمثل تلك المهمة، لنشر العلوم والمعارف الربانية من خلال دروسه التي كان يلقيها على تلامذته ليرسخ روح

١- المازندراني، شرح اصول الكافي: ٢٤١/٧.

٢- ابن شهر آشوب، مناقب ال ابي طالب: ٣١٥/٣.

الإسلام وفق منهج ورؤية اهل البيت(عليهم السلام) وكان يمثل نقطة التقاء الجميع لما له من العلم الخاص والهيبة والصلة برسول الله(صلى الله عليه وآله).

وكان مسجد الكوفة الذي ضم مدرسته(عليه السلام) يعج بالعلماء والفقهاء حتى تتلمذ على يديه قرابة اربعة الاف من المتعلمين ورواة الحديث ممن كان لهم الفضل الكبير في نقل الحديث وتدوينه.

وقد أقر بذلك فقهاء المذاهب الاسلامية الاخرى، فهذا ابو حنيفة يقول: (لولا السنتان لهلك النعمان)[1] أشارة للسنتين اللتين تتلمذ فيهما على يد الامام الصادق(عليه السلام) في الكوفة.

فضلا عن باقي العلماء الذين تتلمذوا عليه وذكرهم الجاحظ بقوله: (جعفر بن محمد، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب)[2].

واضاف ابن حجر الهيثمي في ذلك ايضا قوله: (جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر، كيحيى ابن سعيد، وابن جريح، ومالك، والسفيانين، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني)[3].

وكان لبزوغ فجر تلك المدرسة أن تحولت الكوفة الى قطب رحى يدور حولها محبو أهل البيت(سلام الله عليهم) وفي مقدمتهم الصحابة والتابعون، والفقهاء وأعيان المسلمين قادمين من كل حدب وصوب زرافات ووحدانا للنهل من أستاذها الاول ابي عبد الله الصادق(عليه السلام) عذب علوم تلك المدرسة، قال محمد بن معروف الهلالي: (مضيت إلى الحيرة إلى(جعفر بن محمد)عليه

١- الموسوي، شرف الدين، المراجعات: ١٦.

٢- اسد حيدر، الامام الصادق: ٥٥/١، نقلا عن رسائل الجاحظ: ١٠٦.

٣- ابن حجر، الصواعق المحرقة: ١٢٠.

السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس..)[1].

ومانقله الحسن الوشاء في رواية شهيرة تنقل وبشكل واضح معالم تلك المدرسة وأزدهارها في تلك الظروف ويقول: (إني أدركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد (عليه السلام))[2].

وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى سنة ٣٣٣ كتابا في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن(الإمام الصادق)عليه السلام فذكر ترجمة (٤٠٠٠) رجل.

رابعا: مدينة الكوفة ونشاط الحركة العلمية:

يمكن من خلال الاحصاءات التي قدمها أرباب التواريخ الوقوف على حجم الحركة العلمية التي شهدتها مدينة الكوفة، ومدى تهافت المسلمين عليها من تابعين وصحابة وعلماء وارباب الفقه، فقد عدّ البراقي في تاريخ الكوفة أكثر من ١٤٠ صحابيا من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها[3]، كما ذكر أبن سعد المئات منهم حتى أفرد جزءا خاصا لهم في طبقاته[4]، هذا فضلا عن نشوء أسر علمية بكاملها أختصت بعلوم أهل البيت ودراسة الفقه الجعفري، بالاضافة للبيوتات الطالبية والعلوية، فضلا عن النحاة واللغويين والشعراء[5].

كل ذلك بالإضافة إلى البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بانتسابها إلى(الإمام الصادق) عليه السلام، واشتهرت بالفقه والحديث كبيت(آل أعين)،

١- ابن طاووس، فرحة الغري:٨٨ .

٢- البراقي، تاريخ الكوفة: ٤٦٧.

٣- ن.م:٤٢٩-٤٤٩.

٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٦/٥-٤١٧.

٥- البراقي، تاريخ الكوفة:٤٦٩ -٤٩٤.

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران ۱۳۷۴

وبيت (آل حيان التغلبي، وبيت (بني عطية)وبيت (بني دراج)، وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بالتشيع، واشتهرت بالفقه والحديث[1].

ولا نغالي إذا قلنا إن معظم الفقهاء كانوا قد تخرجوا على يد أستاذهم ومعلمهم الامام الصادق عليه السلام، فقد تقدم قول الحسن بن علي بن زياد الوشاء، الثقة الجليل، الذي شهد على نفسه بأنه أدرك في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد (عليهما السلام). ولا يبعد أن يكون معظم أصحاب الأصول الأربعمائة من جملة المشايخ الذين أدركهم الوشاء، وسمع عنهم في مسجد الكوفة.

وهذا الشيخ الصدوق يستمع الى مشايخه في مسجد الكوفة، عند وروده رحمه الله الى الكوفة استمع (من مشايخها منهم: محمد بن بكران النقاش، وأحمد بن إبراهيم بن هارون القاضي الفامي في مسجد الكوفة، والحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي، وأبو الحسن علي بن عيسى المجاور في المسجد أيضاً)[2].

وفي هذا دلالة على أن الكوفة ومسجدها الاعظم كان محل ارتياد طلاب الحديث ورواته، منهم الثقة الجليل وفقيهه عصره وعمدة الأئمة عليهم السلام أبان بن تغلب بن رباح،أبو سعيد البكري الجريري الكوفي الذي كان يفتي الناس في مسجد الكوفة، و يروى عن الصادق " عليه السلام (ثلاثين ألف حديث) قال له أبو جعفر (عليه السلام): (اجلس في مسجد الكوفة وافت الناس، إني أحب أن يرى في شيعتي مثلك)[3].

كما شهد هذا المسجد المعظم المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير، حيث أخرج الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه والحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده

١- الشهيد الثاني، شرح اللمعة: ١/ ٣١ - ٣٦.

٢- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة:٨ .

٣- الحلي، ابن داود ، رجال ابن داود،: ٢٩.

والهيثمي في زوائده نقلاً عن أبي يعلى واللفظ للثاني، قال: (حدثنا أبو بكر حدثنا شريك عن أبي يزيد الأودي عن أبيه قال دخل أبو هريرة المسجد- أي الكوفة- فاجتمع إليه الناس فقام إليه شاب فقال أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[1].

كما كان للكوفة دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية بجميع المستويات فقهاً وحديثاً وتفسيراً وأدباً وفلسفةً وغيرها، فالحركة العلمية في هذه المدينة دؤوبة ومستمرة، بحيث نجد أن من ينهل من علوم هذه المدرسة يكون ذا صفة خاصة تميزه عن أقرانه.

يقول أيوب بن المتوكل(ت/٢٠٠ هـ): وهو من علماء البصرة وقرائها:

«من لم يدخل الكوفة ويشرب من ماء الفرات لم يقرأ القرآن)[2] فهو يكني عن أن الكوفة هي المنبع وهي الأصل في إفاضة العلم، لاسيما في علوم القرآن وحفظه فمن أراد هذا العلم وان يتدبره فعليه بالكوفة.

وبهذا تكون مدرسة الكوفة هي الحاضنة الأولى لخريجي طلاب الفقه والحديث انطلاقاً من مسجدها الأعظم، وأسست في حقيقة الامر لتلك المدرسة الفقهية الكبرى التى نشات فيما بعد في النجف.

خامسا: أسر الكوفة العلمية:

يحدثنا التاريخ عن أسر علمية كان لها تاريخها و حضورها في هذه المدينة

١- ابن أبي شيبة، المصنف: ٤٩٩/٧. الموصلي، أبو يعلى ، مسند أبي يعلى: ٣٠٧/١١. الهيثمي، مجمع الزوائد،١٠/٩.

٢- البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٢٠/٨.

المقدسة يذكر البراقي اكثر من عشرين اسرة في " تاريخ الكوفة "[1]، معتمدا على كتاب "الرجال" للسيد محمد مهدي بحر العلوم المتوفي سنة ١٢١٢هـ، ومنهم الاسر التالية:

١- آل أبي الجهم:

بيت علم كبير وجليل بالكوفة، منهم: أبو الحسين سعيد بن أبي الجهم، وابناه الحسين بن سعيد، والمنذر ابن سعيد، ومحمد بن المنذر بن سعيد، والمنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد صاحب كتاب جامع الفقه.

٢- آل أبي رافع:

من البيوت المعروفة بالكوفة، وكان لها شأن علمي بارز، منهم: عبيد الله وعلي، كاتبا الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأبوهما رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد شهد مع علي(عليه السلام) حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة، ومات في أوائل خلافته.

٣- آل أبي سارة:

أهل بيت فضل وأدب، منهم: محمد بن الحسن بن أبي سارة، أبو جعفر الرواسي، روى هو وأبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله(عليهما السلام)، ومحمد بن أبي سارة من رجال الصادق(عليه السلام)، ومعاذ وعمر ابنا مسلم بن أبي سارة.

٤- آل أبي شعبة الحلبيون:

بيت كبير بالكوفة، روى جدهم أبو شعبة عن الحسن والحسين(عليهما السلام)، وابناه: علي وعمر، وبنو علي وهم: عبيد الله ومحمد وعمران وعبد الأعلى كلهم من أصحاب الصادق(عليه السلام)، ويحيى بن عمران بن علي من أصحاب الصادق والكاظم(عليهما السلام)، وأحمد بن عمر بن أبي شعبة،

١- البراقي، تاريخ الكوفة: ٤١١-٤٢٣.

وكان عبيد الله كبيرهم ووجههم، وكان يتجر هو وأبوه وأخوته إلى حلب فغلب عليهم النسبة إليها.

٥- آل أبي صفية:

واسم أبي صفية دينار، وهو أبو ثابت المعروف بأبي حمزة الثمالي، الكوفي، وأولاد أبي حمزة الثلاثة: نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد بن علي(عليه السلام).

٦- آل أعين:

بفتح الهمزة وسكون العين، وهم من البيوت الكبيرة في الكوفة وذات الشأن، أدرك أوائلهم السجاد والباقر والصادق(عليهم السلام)، وبقي أواخرهم إلى أوائل الغيبة الكبرى، وكان فيهم العلماء والفقهاء والقراء والأدباء ورواة الحديث، ومن مشاهيرهم: حمران، وزرارة، وعبد الملك، وبكير بن أعين، وحمزة بن حمران، وعبيد بن زرارة، وضريس بن عبد الملك، وعبد الله بن بكير، ومحمد بن عبد الله بن زرارة، والحسن بن الجهم بن بكير، وسليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير، وأبو طاهر محمد بن سليمان بن الحسن، وأبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان، وكان أبو غالب (رحمه الله) شيخ علماء عصره وبقية آل أعين، وله في بيان أحوالهم ورجالهم رسالة عهد فيها إلى ابن ابنه محمد بن عبد الله بن أحمد، وهو آخر من عرف من هذا البيت، (وقد أجاز له جده في رسالته إليه جميع ما رواه من الكتب، وذكر طريقه إلى أصحابها)، وهي رواية الشيخ الفقيه أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الواسطي الغضائري شيخ النجاشي والشيخ الطوسي، وقد ألحق بها جملة من أحوال آل أعين وبعض ما لم يقع منها لشيخه أبي غالب رضوان الله عليه.

٧- آل حيان التغلبي:

من البيوت العلمية الكبيرة في الكوفة، امتهنوا الصيرفة، ونسبوا إلى تغلب، منهم: إسحق بن عمار بن حيان الصيرفي التغلبي، وأخوته: إسماعيل، وقيس،

ويوسف ويونس، وأولادهم: محمد، ويعقوب ابنا إسحق، وبشر وعلي ابنا إسماعيل، وعبد الرحمن بن بشر، ومحمد بن يعقوب بن إسحاق وعلي بن محمد بن يعقوب، وأبوهم عمار بن حيان من أصحاب الحديث روى عن الصادق(عليه السلام)، وقد عد الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق(عليه السلام): إسحق بن عمار، وإسماعيل بن عمار، ويونس بن عمار، وبشر بن إسماعيل، وأحمد بن بشر بن عمار، وعبد الرحمن بن بشر.

٨- آل نعيم الأزدي الغامدي:

بيت كبير، منهم: عبد الرحمن بن نعيم وأبناؤه: محمد وشديد وعبد السلام، وأولادهم: بكر بن محمد وموسى والمثنى ابنا عبد السلام وجعفر بن المثنى.

٩- بنو رباط:

أهل بيت كبير، من بجيل أو من مواليهم، منهم الرواة والثقات وأصحاب المصنفات، ومن مشاهيرهم: عبد الله، والحسن، وإسحق، ويونس، أولاد رباط، ومحمد بن عبد الله بن رباط، وعلي بن الحسن، وجعفر بن محمد بن إسحاق ابن رباط، ومحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن رباط، وهو من رجال الغيبة وآخر من يعرف من هذا البيت.

وبالاضافة لما تقدم ضمت الكوفة اسر علمية أخرى منهم: آل أبي الجعد، وبنو فرقد، وآل أبي أراكة، وبنو الحر الجعفي، وبنو الياس البجلي، وبنو عبد ربه بن أبي ميمونة بن يسار الأسدي، وبنو أبي سبرة، وبنو نعيم الصحاف وغيرهم.

قد أورد ابن سعد في "الطبقات الكبرى"[1] تراجم ٨٥٠ تابعيا ممن نزل الكوفة، يقول عنهم البراقي: (كان لأكثرهم المكانة العليا الروحية، والمنزلة السامية في الزعامة، وكلهم رواة محدثون تلقوا الحديث من الصحابة، وانتهلوا من المنبع

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/٦.

الفياض باب مدينة العلم الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام))[1].

هذا بالاضافة الى الكثير من الحفاظ والرواة لائمة اهل البيت(عليهم السلام) الذين تلقوا العلم منهم كالامام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق.. لا سيما بعدما دخلوا الكوفة وبثوا العلم فيها، كأبان بن تغلب بن رباح، وأبو سعيد البكري، ومحمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر، وجابر بن يزيد الجعفي[2].

سادسا: الصحابة الذين نزلوا في الكوفة:

ليس غريباً أن نجد أن معظم الصحابة والتابعين قد نزلوا الكوفة؛ لان رأس العلم المتمثل بأمير المؤمنين علي عليه السلام باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك أبناؤه الامام الباقر والصادق (عليهم السلام)، قد نزلوا في هذه المدينة؛ والأحاديث قد أمرت باتباعهم فهم سفن النجاة وباب حطتها؛ لذا تجد كبار الصحابة من القراء وحملة الحديث يسكنون ويهاجرون إلى الكوفة لتكون منزلاً لهم في حياتهم العلمية.

أما الصحابة الذين نزلوا الكوفة فنذكر منهم[3]:

الإمام أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب(عليه السلام)، نزل الكوفة في الرحبة التي يقال لها: رحبة علي في إخصاص كانت فيها، ولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله.

الامام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام، وكان يكنى بالمجتبى، والزكي، والسبط، والنقي. وكانت سيرته كسيرة جده وأبيه، فكان ذا ميزات

١- البراقي، تاريخ الكوفة: ٤٦٥ – ٤٦٨.

٢- ن.م

٣- انظر رجال النجاشي، ورجال الطوسي، وتهذيب الكمال، للمزي، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرهم .

وأخلاق وفضائل إنسانية سامية من حيث التواضع، والصبر، والوقار، والعفو عند المقدرة، والكرم، وغير ذلك من المزايا الحميدة التي تميز بها أئمة أهل البيت "عليهم السلام".

الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، عاش قرابة السبعة والخمسين سنة، منها سبع سنين مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وفي عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) ثلاثين سنة، وفي زمن أخيه الإمام الحسن(عليه السلام) عشر سنين.

ابو قتادة بن ربعي، الأنصاري، شهد أحدا، توفي بالمدينة سنة ٥٤ وهو ابن سبعين سنة.

أبو ليلى، واسمه: بلال بن بليل بن أحيحة، له دار بالكوفة في جهينة شهد أحدا وما بعدها، ثم سكن الكوفة، وكان مع علي(عليه السلام) في حروبه، وقيل: إنه قتل بصفين.

أبو مسعود الأنصاري عقبة بن عمرو.

البراء بن عازب بن الحارث، الأنصاري، أبو عمارة، نزل الكوفة وابتنى بها دارا، توفي بالمدينة في زمن مصعب بن الزبير، أرخ وفاته ابن حبان سنة ٧٢.

الحارث بن حسان، البكري، الذهلي، روى له أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

حبشي بن جنادة بن نصر بن أسامة، شهد مع علي(عليه السلام) مشاهده.

حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله، شهد أحدا وما بعد ذلك من المشاهد، وتوفي بالمدائن سنة ٣٦.

خباب بن الأرت، مولى لأم أنمار ابنة سباع بن عبد العزى، أبو عبد الله، شهد بدرا، وابتنى بالكوفة دارا في جهار سوج خنيس، وتوفي سنة ٣٧، فصلى عليه الامام أمير المؤمنين "عليه السلام" ودفنه بظهر الكوفة، وكان يوم مات ابن ثلاث وسبعين سنة.

خزيمة بن ثابت بن الفاكه، الخطمي، من الأنصار، ويكنى أبا عمارة، وهو ذو الشهادتين، قدم الكوفة مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلم يزل معه حتى قتل بصفين سنة ٣٧.

سلمان الفارسي، أبو عبد الله، أسلم عند قدوم النبي(صلى الله عليه وآله) المدينة، وكان عبدا لقوم من بني قريظة فكاتبهم، فأعتقه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والى آل بيت النبوة وكان محبا لهم، شارك في معركة الخندق مع المصطفى "صلى الله عليه وآله" وآشار للمسلمين بحفر الخندق، توفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ، وقيل غير ذلك.

سليمان بن صرد بن الجون، الخزاعي، أبو مطرف، ابتنى بالكوفة دارا في خزاعة، شهد مع علي صفين، وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي(عليه السلام) يسأله القدوم عليهم الكوفة ولكن لم يشهد معه، كان من الثائرين بعده بدمه مع التوابين، وكان يرأسهم، قتل بعين الوردة في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

سهل بن حنيف، أبو عدي، شهد بدرا، ولاه علي (عليه السلام) المدينة، توفي سنة ٣٨ بالكوفة، وصلى عليه علي(عليه السلام) وكبر عليه ستا.

شكل بن حميد، العبسي، وهو أبو شتير بن شكل، روى عن النبي(صلى الله عليه وآله) وعن الإمام علي(عليه السلام).

طارق بن زياد، الجعفي، توفي بعد سنة ١٠٠.

عامر بن وائلة المشهور بابي الطفيل المتوفى سنة ١١٠.

عبد الله بن مسعود الهذلي، حليف بني زهرة بن كلاب، أبو عبد الرحمن، شهد بدرا، توفي بالمدينة سنة ٣٢ وهو في الستين من عمره.

عبيد بن خالد، السلمي، شهد صفين مع الإمام علي(عليه السلام).

عدي بن حاتم، الطائي، أحد بني ثعل، أبو طريف، ابتنى بالكوفة دارا في طيء ولم يزل مع الامام علي(عليه السلام) وشهد معه الجمل وصفين، وذهبت

عينه يوم الجمل، مات بالكوفة سنة ٦٨ زمن المختار.

عمار بن ياسر، من عنس، من اليمن، أبو اليقظان، شهد مع الامام علي(عليه السلام) مشاهده، وقتل بصفين سنة ٣٧ ودفن هناك، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وقد شهد بدرا.

عمرو بن الحمق بن الكاهن، الخزاعي، شهد مع الامام علي(عليه السلام) مشاهده، قتل سنة ٥١، وقيل: أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق.

قرضة بن كعب، الأنصاري، أحد العشرة من الأنصار الذين وجههم عمر إلى الكوفة، وابتنى بها دارا في الأنصار، ومات بها في خلافة علي(عليه السلام)، وقد صلى عليه.

قيس بن سعد بن عبادة بن دليم، من بني ساعدة، أبو عبد الملك، خدم النبي (صلى الله عليه وآله) عشر سنين، ولحق بعلي(عليه السلام) بالكوفة فلم يزل معه، وكان على شرطة الخميس، وشهد معه صفين، وتوفي بالمدينة سنة ٨٥ في خلافة عبد الملك.

مالك بن عمير، ويكنى أبا صفوان، روى عنه سماك بن حرب.

مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف، الأزدي، وبيت الأزد بيت بالكوفة.

وغيرهم الكثير، اقتصرنا على ذكر بعضهم، مخافة الإطالة والإطناب.

سابعا: الكوفة وعلم النحو:

نبغ في الكوفة الكثير من النحاة وكانوا اعلام هذه الصنعة ليس على مستوى الكوفة حسب او العراق خاصة بل على مستوى العالم العربي والاسلامي عامة، إذ ألفوا في النحو وغيره، وكما هو معروف أنّ اللغة العربية لم تكن مدوّنة ومقّعدة في الجاهلية، وكذلك في صدر الإسلام، وكانت الأشعار والأخبار تُحفظ في الصدور، ولكنها لا تدوّن إلا في حالات قليلة نادرة، وذلك لأنّ العرب قوم أميون أولًا، ويمتازون بقوة الذاكرة ثانيًا.

وكذلك فلم تكن العربية مقّعدة؛ لأن العربي كان ينشأ في بيئة عربية صرفة، فينشأ وهو يتكلم العربية سليقة دون حاجة إلى معرفة قواعد هذه اللغة لتمييز الفصيح من غيره، ولذلك لم تنشأ حاجة ماسة لتدوين اللغة العربية أو وضع قواعد لها.

ولكنّ الأمر بعد الإسلام تغيّر، فقد فتح المسلمون كثيرًا من البلدان التي لا تنطق بالعربية وبدأت هذه الشعوب تتعلم وتتكلم العربية من غير اتقان تام لها، وبدأت الأجيال العربية الجديدة تنشأ في بيئة ليست عربية خالصة، إنما في بيئة يسودها اللحن، وخاصة بعد توطن كثير من المسلمين في هذه البلدان المفتوحة وبعدهم عن المنابع الأصيلة للغة الفصحى، وبدأ اللحن يظهر حتى على ألسنة البلغاء والخطباء المفوهين.

وهنا شعر المسلمون بخطورة ذلك على القرآن الكريم، فقد بدأ بعض الناس يلحنون في قراءته، وكان المسلمون حريصين كل الحرص على أن يقرأ القرآن كما أنزل، وأنْ يفهم القرآن أيضًا فهمًا صحيحًا، والفهم الصحيح مرتبط بالقراءة الصحيحة واللغة الصحيحة، ولعل هذا هو السبب الأول لتدوين العربية ووضع القواعد لها.

ولقد كان العراق أسبق الأقاليم الإسلامية إلى تدوين اللغة وتقعيد النحو ورواية الأشعار والأخبار، كما ان الكوفة كانت الرائدة في هذا المضمار على يد أبي الأسود الدؤلي عندما أسس لعلم النحو، وقد تلقاه من الإمام علي(عليه السلام)، وكان أول من نقط المصحف.

تلاه مجموعة من مشاهير النحويين واللغويين الكوفيين، كأبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء وعلي بن حمزة الكسائي، والفراء، وثعلب، وابن السكيت[1].

١- الزبيدي، محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين:١٩١.

وقد أحصى البراقي قرابة الخمسين نحوي كوفي[1]، منهم التالي:

أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمر بن ظالم، أول من أسس النحو، وقد تلقاه من الإمام علي(عليه السلام)، وكان من سادات التابعين، ومن أصحابه(عليه السلام)، وشهد معه صفين، ولي قضاء البصرة، وهو أول من نقط المصحف، توفي سنة ٦٧هـ بالطاعون.

أبو جعفر الرواسي، اسمه محمد بن الحسن ابن أبي سارة، أستاذ الكوفيين في النحو، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو، وكان أستاذ الكسائي توفي نحو سنة ١٩٠هـ.

معاذ بن مسلم، الهراء، كان يبيع الهروي من الثياب، وكان أستاذ الكسائي توفي سنة ١٨٧هـ.

أبو الحسن، علي بن حمزة، المعروف بالكسائي، مولى بني أسد، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، وسمي الكسائي لأنه أحرم في كساء دخل الكوفة وهو غلام، توفي بالري سنة ١٨٩هـ.

أبو زكريا الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، الباهلي، وكان أبرع الكوفيين في علمهم، توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ.

علي بن المبارك، الأحمر، أدّبَ محمد الأمين ابن هارون العباسي، توفي في طريق الحج سنة ١٩٤هـ.

هشام بن معاوية، الضرير، أبو عبد الله، أحد أعيان أصحاب الكسائي، توفي سنة ٢٠٩هـ.

أبو طالب المكفوف، عبد العزيز بن محمد، أخذ النحو عن الكسائي أيضا.

سلمويه، أخذ عن الكسائي أيضا.

إسحق البغوي، أخذ عن الكسائي أيضا.

١- البراقي، تاريخ الكوفة:٤٣٦-٤٤٢.

أبو مسحل، عبد الله بن خريش، قال أبو بكر الأنباري: كان مسحل يروي عن علي بن المبارك الأحمر أربعين ألف بيت شاهدا في النحو، ذكره ابن النديم في الفهرست وسماه عبد الوهاب.

قتيبة بن مهران، الأزاذاني، أبو عبد الرحمن الأصبهاني، قال في البلغة: أحد نحاة الكوفة أخذ عن الكسائي وصحبه وصار إماما.

سلمة بن عاصم، أبو محمد، والد المفضل بن سلمة، روى عن الفراء كتاب الحدود في النحو.

عبد الله بن أحمد بن عبد الله، الطوال، أبو محمد، حدث عن الأصمعي، توفي سنة ٢٤٣هـ.

محمد بن عبد الله بن قادم، أستاذ ثعلب، توفي سنة ٢٥١ هـ تقريبا في خلافة المعتز.

محمد بن حبيب، أبو جعفر، مولى العباس بن محمد العباسي، وكان من أعلم شيوخ ثعلب، توفي بسامراء في ذي الحجة سنة ٢٤٥هـ.

أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد، المعروف بثعلب، مولى بني شيبان، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٩١هـ.

هارون بن الحائك، الضرير، أحد أعيان أصحاب ثعلب، أصله يهودي من أهل الحيرة.

أحمد بن محمد بن عبد الله، المعبدي، من ولد معبد بن العباس بن عبد المطلب، من أصحاب ثعلب، توفي سنة ٢٩٢ هـ.

نفطويه، وهو أبو عبد الله، إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، العتكي، الأزدي، توفي سنة ٣٢٣هـ.

محمد بن فرج، الغساني، أبو جعفر، أخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء.

محمد بن هبيرة، الأسدي، أبو سعيد، المعروف بصعوداء، من أعيان الكوفة

وعلمائها، اختص بعبد الله بن المعتز.

أحمد بن علي بن أحمد، الهمداني، ثم الكوفي الحنفي، فخر الدين ابن الفصيح، كان له صيت في العراق، توفي في شعبان سنة ٧٥٥ هـ.

محمد بن جعفر بن محمد بن هارون، أبو الحسين، التميمي، يعرف بابن النجار الكوفي، له تاريخ الكوفة ينقل عنه كثيرا، ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة، وتوفي سنة٤٦٠ هـ في جمادي الأولى.

الحسن بن داود بن الحسن بن عون، المعروف بالنقار، صلى بالناس بجامع الكوفة ثلاثا وأربعين سنة، صنف أصول النحو، توفي بالكوفة سنة ٣٥٢ هـ.

داود بن الهيثم بن إسحاق بن البهلول، أبو سعيد، التنوخي، الأنباري، الكوفي، توفي بالأنبار سنة ٣١٦ هـ وله ثمان وثمانون سنة.

ربيع بن محمد، الكوفي، عفيف الدين، له شرح مقصورة ابن دريد.

سعد بن شداد، المعروف بسعد الرابية، موضع كان يعلم فيه النحو، أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وكان مزاحا مضحكا.

صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح، الأسدي، أبو التقي الفقيه، ولد سنة ٦٣٩ هـ وتوفي سنة ٧٢٧ هـ.

عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد، الفقيه، النحوي، جلال الدين، ولد في شوال سنة ٧٠٢ هـ، وتوفي سنة ٧٤٥ هـ.

عبد الله بن محمد بن حرب بن خطاب، الخطابي، أبو محمد، شاعر، نحوي، صنف أربعة كتب في النحو.

علي بن محمد بن عبدوس، مصنف البرهان في علل النحو، ومعاني الشعر وميزان الشعر.

علي بن محمد بن عبيد بن الزبير، الأسدي، أبو الحسن، المعروف بابن الكوفي، من أجل أصحاب ثعلب صاحب الخط المشهور بالصحة والضبط، ولد سنة ٢٥٤ هـ وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٤٨ هـ.

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد، العلوي، الزيدي، من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث، ولد سنة ٤٤٢ هـ، وتوفي سنة ٥٣٩ هـ.

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله، المقري، أبو العباس، أخذ عن الكسائي.

يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف ابن السكيت، كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر، راوية ثقة، وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب زاد فيها على من تقدمه، كان مؤدبا لأولاد المتوكل ومنادما له، وقد أمر المتوكل العباسي فسلوا لسانه من قفاه فمات لقصة ذكرت في البغية، وكان ذلك يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٢٤٤هـ.

ثامنا: خزائن الكتب والمكتبات:

رافقت هذه الحركة العلمية الكبيرة في مدينة الكوفة حركة كبيرة لتداول الكتب ونسخها، وانشاء دور لها تسمى(خزانات الكتب)،فضلا عن نشوء سوق خاص بالوراقين موقعه على ماذكره ماسنيون شمال المسجد الجامع يضم الكتب على اشكالها[1]، ومثّل ذلك السوق مركزاً ثقافيا كبيرا فكان ملتقى للمفكرين الذين كثيرا ما كانت تدور بينهم الأحاديث والمناظرات في شؤون الفكر، وضمّ كل الأعمال التي تسبق حياة الكتاب من رواية ونسخ.

وقد عد الاستاذ محمد سعيد الطريحي قرابة الاربع عشرة خزانة في الكوفة لكبار فقهاء ومفكري مدينة الكوفة عدا خزانات المساجد الإسلامية الأديرة والكنائس المنتشرة في مدينة الكوفة[2].

من بينها خزانة المشهد الطاهر، خزانة أبي بكر الانباري، وخزانة داود بن نصير الطائي، وخزانة محمد بن عبيد الله الفزاري، خزانة علي بن مسهر القرشي،

---

١ - الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة،:١٧١-١٧٢.

٢ - ن.م:١٧١-١٨٧.

وخزانة سفيان الثوري، وخزانة عطاء بن مسلم الخفاف، وخزانة النحوي الشهير بثعلب، وخزانة الفيلسوف المعروف ابو يوسف الكندي..وعلى النحو التالي:

١-خزانة ابي بكر ابن الأنباري المتوفى ٣٢٨هـ ٩٣٩م.

٢-خزانة داود بن نصير الطائي المتوفى ١٦٠هـ ٧٧٦م أو ١٦٥ - ٧٨١م.

٣-خزانة محمد بن عبيد الله الفزاري المتوفى ١٥٥هـ - ٧٦٧م.

٤-خزانة علي بن مسهر القرشي المتوفى ١٨٩ - ٨٠٤م.

٥-خزانة سفيان الثوري ولد ٩٧هـ - ٧١٥م توفي ١٦١ - ٧٧٧م.

٦-خزانة عطاء بن مسلم الخفاف - القرن الثاني للهجرة ..

٧-خزانة ابي كريب الهمداني المتوفى ٢٤٣هـ ٨٥٧هـ أو٢٤٨هـ - ٨٦٢م.

٨-خزانة ابن عقد ولد ٢٤٩هـ - ٨٦٢ توفى ٣٣٢هـ - ٩٤٣م.

٩-خزانة قطب الدين الاقساسي الحسيني المتوفى ٦٤٥هـ.

١٠-خزانة الكوفي ولد ٢٥٤هـ - ٨٦٨م وتوفي ٣٤٨هـ - ٩٦٠م.

١١-خزانة ثعلب ولد ٢٠٠هـ - ٨٥١م توفي ٢٩١هـ - ٩٠٣م

١٢-خزانة الكندي ولد حدود ١٨هـ ت ٨٠٣ توفي حدود ٢٦٠هـ - ٨٧٣م

إذن من خلال ما تقدم نستطيع القول: إن الكوفة هي مدرسة كبيرة وحاضرة للعلم والعلماء، وفيها انتشرت العلوم الاسلامية لاسيما في العصر الذهبي وهو عصر الامام الصادق عليه السلام.

الكوفة، مدينة كبيرة في بلد كبير، وما زال السر مستترا، ذلك الذي جعل من هذه الارض تحوي كل هذه الخصوصية وكل ذلك الشرف، الا ان الثابت الذي لاجدال فيه ان الكوفة مازالت ولن تزول أمّا للمدن وعاصمة للتشيع وقبلة للموالين.

الفصل الثاني
ظهر الكوفة
واتساع المدرسة االكبرى

المبحث الاول
انتظام الدرس الحوزوي

١ـ ظهر الكوفة، والشيخ الطوسي.

بعد ان شاء الله ان يقبض شهيدا من محرابه ويدفن هناك، كانت تلك البذرة- الجامعة- تنمو شيئا فشيئا بعد ان تعاهدها أبناؤه والخواص من أصحابه، الذين ما كان لاحدهم ان يترك أستاذه حتى بعد وفاته، فكانوا يترددون على مرقده وفي احيان اخرى المكث عنده اياما وليالي يتذاكرون القرآن والتفسير والحديث الشريف.. حبا بصاحب القبر، وخشية عليه من الضياع أيضا.

اذ يروى ان أبا حمزة الثمالي(رحمه الله) كانت له حلقة درس في جوار المرقد المطهر عام ١٤٨ هـ عام استشهاد الإمام الصادق(عليه السلام).

فقد روي عن داود بن كثير الرقي، قال: وفد خراسان وافد يكنّى أبا جعفر، واجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة وزار أميرالمؤمنين(عليه السلام)، ورأى في ناحية رجلاً حوله جماعة، فلمّا فرغ من زيارته قصدهم، فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي، قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي فقال: جئت من المدينة وقد مات جعفر بن محمّد (عليهما السلام)[1].

عبقت مدينة الكوفة، بأريج مدرستها العلمية، التي أسست لتلك الجامعة، في حياة مشرفها، وبعد وفاته، على نحو تردد ابنائه ممن ينتسب للبيت العلوي فضلا عن صحبه ومحبيه وبقائهم عنده اياما وليالي يرتلون القرآن ويتذاكرون

١- المجلسي، بحار الانوار:٤٧/٢٥٢.

تفسيره، يتداولون الحديث الشريف ويستقون منه السنة الشريفة، للتزود والتبرك بمجاورته بحلقاتهم البسيطة على النحو الذي كان مناسبا لذلك العصر، بعد ان رفعت الحواجز والعقبات لزيارة القبر ووفود الناس اليه للزيارة والمجاورة.

ويوما بعد يوم نمى ظهر الكوفة وتحول من مدفن ومزار الى جامعة كبرى، ومدرسة مهمة في تاريخ المدارس الدينية الاسلامية ومدينة مقدسة صار لها نقباء من أعلام المدينة ممن ينتسبون الى الدوحة الهاشمية ويتصفون بالعدالة والورع والتقى، ليتولوا نقابة مرقدها المقدس وادارة شؤنها، اذ كانت النقابة مركزا روحيا وعلميا وأدرايا أبتدأ منذ العهد العباسي وحتى حلول ايام العثمانيين، نظم شؤنها وجعلها في مصاف المدن الكبرى..

فكان منهم السيد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة الذي أقام في النجف عام ٣٠٨هـ وتوفي فيه، وكذلك ناصر الدين مطهر بن رضي الدين محمد بن الحسين، وقد تولى نقابة المشهدين العلوي والحسيني.. وغيرهم.

وصفهم ابن بطوطة عند زيارته النجف بالقول: (ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق، ومكانه عنده مكين، ومنزلته رفيعه وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله الأعلام والأطبال، وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً، واليه حكم هذه المدينة، ولا والي بها سواه ولا مغرم للسلطان ولا لغيره، وكان النقيب في عهد دخولي اليها، نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوي....)[1].

كما شهدت بروز مجموعة من الأسر العلمية فيها كآل شهريار[2]، وآل طحال[3] وغيرهما، أسر جمعت بين الفضيلة العلمية وخدمة الروضة الحيدرية وساهمت في حركتها العلمية المباركة.

فمنذ أوائل القرن الثالث للهجرة نسمع عن أسماء علمية بارزة تتواجد في

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٧ /١٧٥.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها،: ٣٩٩/٢.

٣- ن.م: ٤٢٣/٢.

النجف وتمارس دورها العلمي قرب المشهد المقدس للامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، مثل: محمد بن بابويه القمي(الصدوق) الذي كان يسمع الحديث والرواية عن شيخه محمد بن علي بن الفضل الكوفي في عام(٣٥٤هـ) في مشهد أمير المؤمنين(عليه السلام)[١]، وأبي عبد الله الخمري الذي أجاز برواية الحديث للحسن بن أحمد بن المغيرة في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)[٢].

وهذه الاسماء هي بالتأكيد حصيلة دراسات متصلة من عهدٍ لا نستطيع تحديده تحديداً دقيقاً، لقلة ما بأيدي الباحثين من المصادر، وما تناقل عن أخبار تلك الفترة الا النزر اليسير الذي تناثر في بطون الكتب، منها ما نقل عن توزيع عضد الدولة البُوَيهي أموالاً على الفقهاء والقراء وغيرهم يوم زار النجف سنة ٣٧١ هـ. احد الشواهد الواضحة على ذلك[٣]، والتي تتحدث عن وجود فقهاء ومجاورين في النجف.

ولعل هذا التواجد يدل بشكل لا يقبل الشك ان الحركة العلمية في هذه المدينة المقدسة لم تتوقف في يوم من الايام، وكانت امتدادا حقيقيا لمدرسة الكوفة الكبرى، بلغت ذروة تنظيمها على يد الشيخ الطوسي(قدس سره).

حيث أرسى(رضوان الله عليه) دعائم حوزة علمية منظمة فتحت من خلال جهوده العلمية باب التدريس على طريقة (الاجتهاد) والتي مازالت متبعة لهذا اليوم، وكان من ثماره انه أول من جمع بين الحديث والفقه والاصول في مؤلفاته، وأول من اوجد هيئة علمية ذات حلقات ونظم خاصة[٤]، ليتقاطر على النجف الاشرف منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا الالوف من الطلبة من رواد المعرفة، ثم ليعودوا الى حيث أتوا فينشروا هذه الاحكام، ويؤدوا واجبهم الشرعي في

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٢/٧.

٢- ن.م: ١٣/٧.

٣- الميلاني، هاشم ، مكتبة الروضة الحيدرية:٢٢٨ عن مخطوطة فرحة الغري: ١٥٤- ١٥٦.

٤- البهادلي، علي أحمد ، الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٧٠.

الدعوة الى الله.

قدم الشيخ الطوسي الى النجف الاشرف عام (٤٤٨هـ) على أثر فتنة طائفية في بغداد واحراق داره وكتبه فضلا عن احراق أعظم مكتبة اسلامية شيعية هي مكتبة(دار العلم) التي ضمت بين دفتيها وفوق رفوفها أكثر من عشرة الاف مجلد في مختلف العلوم والاداب والفنون، كانت اغلبها بخطوط مؤلفيها، كما ادت تلك الفتنة الطائفية الى أحراق كرسي الكلام الذي تبوّأ مقعده الشيخ الطوسي بل والاكثر من ذلك أحراق مصنفاته الكثيرة بعد احراق مكتبته الخاصة التي تضم جل مؤلفاته.

فكانت تلك الاحداث (ربّ ضارة نافعة)، فالنجف الاشرف كانت على موعد مع اطلالة بدر منير على النجوم المضيئة في السماء العلمي والديني والفكري للنجف، فهذه البلدة لم تكن جديدة عهد بالدرس والدراسة وهي الوريث الشرعي لمدرسة الكوفة بكل شأنها العلمي والدراسي الرفيع، كان فيها نواة درس وأساس جامعة فقهية أتسعت فيما بعد على يديه(قدس سره) بتوافد العلماء والفقهاء والمتعلمين ممن انضووا تحت ظل مرجعيته.

ليمثل قدومه المبارك نهضة جديدة وحركة نشطة في المدينة المقدسة، انتظم فيها الدرس الحوزوي في المدينة المقدسة، مضيفا لها روحا جديدة، ونهضة علمية لم تعهدها من قبل، بما أضافه من معالم علمية وفكرية في هذه الحوزة المباركة، وتكون تلك الرحلة بداية عهد جديد في حياة هذه المدينة التي أخذت منذ ذلك الوقت تتحول من مزار مقدس، يضم بين جنبيته مرقد الامام علي(عليه السلام)، ومن حوله مراقد بعض انبياء الله العظام والعديد من قبور العلماء والمؤمنين، الى جامعة كبرى، ومدرسة مهمة في تاريخ المدارس الدينية الاسلامية، واستمرت بالنمو حتى بلغت اوج قوتها على الرغم من الظروف السياسية والاقتصادية العصيبة التي عصفت بها على مدى عقود طويلة.

ولم يكن قلب الشيخ ليخفق شوقا للنجف أو لييمم عينيه شطرها، وليد

صدفة او دون دراية وهو الأعرف بمكانتها وفضلها، اختارها وكان بامكانه ان يصل غيرها من الآماكن التي تتوفر فيها مقومات العيش الرغيد.

مكث الطوسي في النجف الاشرف اثني عشر عاما أسس فيها لمدرسته وأرسى قواعدها بعدما انتظمت الدراسة على يديه على شكل حلقات للبحث والتدريس، شكلت بواكير حركة جامعية وبداية ناضجة، استطاعت ان تستقطب المئات من رواد العلم والطلبة الناشئين حتى قيل ان هذا الشيخ الجليل خرّج من تحت كرسيه أكثر من ثلثمائة مجتهد[1].

انتقل الشيخ الطوسي الى جوار ربه ليلة الاثنين والعشرين من شهر محرم الحرام عام ٤٦٠هـ - ١٠٣٩ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً، ودفن في داره المجاورة لمرقد الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) من جهته الشمالية، بعد ان سطر يراعه مجموعة من الكتب، كانت محورا لكل الأبحاث والدراسات سواء الفقهية منها او الأصولية والرجالية والحديثية، بل هي العمدة في كل ذلك ومصدر لاغنى عنه للباحثين والمحققين.

فهو صاحب أثنين من أعظم كتب الحديث في تاريخ مذهب أهل البيت(عليهم السلام) هما (التهذيب والاستبصار) فضلا عن كتبه القيمة في الفقه والاصول بل كل فروع الثقافة الإسلامية، كالتبيان في تفسير القران والمبسوط في الفقه ومصباح المتهجد والرسائل العشر والامالي والنهاية والغيبة.. وغيرها.

يقول السيد محمد باقر الصدر(رحمه الله) في ذلك: (لم تكن مساهمة الشيخ الطوسي في الأصول مجرد استمرار للخط، وإنما كانت تعبر عن تطور جديد، كجزء من تطور شامل في التفكير الفقهي والعلمي كله، أتيح لهذا الفقيه الرائد أن يحققه، فكان كتاب العدة تعبيرا عن التطور العظيم في البحث الفقهي على صعيد التطبيق بالشكل الذي يوازي التطور الأصولي على صعيد النظريات. والفارق

١- الفضلي، عبد الهادي، التدريس في النجف:١٠/٣٧٤.

الكيفي بين اتجاهات العلم التي انطلقت من هذا التطور الجديد واتجاهاته قبل ذلك، يسمح لنا باعتبار الشيخ الطوسي حدا فاصلا بين عصرين من عصور العلم: بين العصر العلمي التمهيدي والعصر العلمي الكامل، فقد وضع هذا الشيخ الرائد حدا للعصر التمهيدي وبدأ به عصر العلم الذي أصبح الفقه والأصول فيه علما له دقته وصناعته وذهنيته العلمية الخاصة)[1].

كما كان له(رضوان الله عليه) الفضل بأرسائه دعائم حوزة علمية منظمة، تتلمذ فيها عليه مجموعة من الفقهاء، عدهم الباحثون من كبار علماء النجف الأشرف للنصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأول من القرن السادس، في مقدمتهم ولده الشيخ ابو علي الحسن بن ابي جعفر محمد الطوسي الذي يقول عنه الخليلي انه:(من ابرز تلامذة والده شيخ الطائفة، وأكثر قابلية من سائر تلامذة الشيخ لتحمل أعباء المسؤولية لإدارة شؤون الحوزة، واستمرار الحركة العلمية فيها زمانا ليس بالقصير)[2]، وقد نال الشيخ ابو علي الحسن بن ابي جعفر محمد الطوسي عن والده الإجازة لنقل الحديث عام ٤٥٥ هـ. وقرأ عليه كبار فقهاء مدرسة اهل البيت(عليهم السلام) في ذلك الوقت، منهم[3]:

١- الشيخ أردشير بن ابي الماجد ابي المفاخر الكابلي.
٢- الشيخ بدر بن سيف بن بدر العربي، وهو من مشايخ منتجب الدين.
٣- الشيخ ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن علي الطحال المقدادي.
٤- الشيخ موفق الدين الحسين بن فتح الله الواعظ البكر ابادي الجرجاني.
٥- الشيخ جمال الدين الحسين بن هبة الله بن رطبة السوراوي.
٦- الشيخ اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحلبي او الجبلي.
٧- الشيخ ابو سليمان داود بن محمد بن داود الحاسب.

١- الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول: ٥٦ - ٥٧
٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٤٢/٧ - ٤٣.
٣- الغروي، محمد، الحوزة العلمية في النجف الاشرف:٤٢-٥٢.

٨- السيد ابو النجم الضياء بن ابراهيم بن الرضا العلوي الحسني الشجري.
٩- السيد طاهر بن زيد بن أحمد.
١٠- الشيخ ابو سليمان ظفر بن الداعي بن ظفر الحمداني القزويني.
١١- الشيخ ابو الحسن علي بن الحسين بن احمد بن علي الحاستي.
١٢- السيد لطف الله بن عطاء الله أحمد الحسني الشجري النيسابوري.
١٣- الشيخ عماد الدين محمد بن ابي القاسم بن علي الطبري الأملي الكجي.
١٤- ابو الفتوح احمد بن علي الرازي.
١٥- الشيخ الياس بن هشام الحائري.
١٦- الشيخ التواب بن الحسن بن ابي ربيعة الخشاب البصري.
١٧- الشيخ ابو طالب حمزة بن محمد بن احمد بن شهريار الخازن.
١٨- ابو الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي.
١٩- عبد الجليل عيسى بن عبد الوهاب الرازي.
٢٠- الشيخ موفق الدين عبيد الله بن الحسن بن بابويه.
٢١- علي بن شهر آشوب المازندراني السروي.
٢٢- ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب (مجمع البيان).
٢٣- ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي.
٢٤- محمد بن علي بن عبد الصمد النيسابوري.
٢٥- ابو علي بن محمد بن الفضل الطبرسي.
٢٦- الشيخ محمد بن منصور الحلي الشهير بابن ادريس.
٢٧- الشيخ الأمين العالم ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن طحال المقدادي المجاور لمشهد الامام علي (عليه السلام)..
٢٨- الشيخ مفيد الدين عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقري النيسابوري.

٢٩- الشيخ الامام محيي الدين ابو عبد الله الحسين بن المظفربن علي الحمداني، نزيل قزوين.
٣٠- الشيخ الياس بن هشام الحائري.
٣١- أحمد بن شهريار الخازن المكنى بأبي النصر.
٣٢- الشيخ(السيد) حسن بن مهدي السيلقي.
٣٣- الشيخ ابو عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد المخزومي.
وغيرهم الكثير..

والمتأمل لالقاب هؤلاء الاعلام يجد ان تلك الحوزة التي شكلها الشيخ الطوسي كانت حوزة أممية أجتمع فيها الطلبة من كل حدب وصوب، وذابوا جميعا في بودقتها،ونجد ذلك من خلال الالقاب التي ذيل بها أسم كل واحد من هؤلاء، والتي تدل على البلد الذي جاء منها ذلك العالم، كالكابلي، والجرجاني، والقزويني، والنيسابوري، والطبري، والبصري، والطبرسي، والحلبي، والنيسابوري وغيرها.

لتؤسس هذه الحوزة المباركة لخصيصة كانت ومازالت من أبرز خصائص حوزة النجف، وهي القدرة الاستيعابية لكل الجنسيات والقوميات، ولا يخفى على زائر النجف الاشرف اليوم كيف ان اربعة من كبار مراجع التقليد فيها هم من جنسيات مختلفة ففيها العربي والايراني والافغاني والباكستاني.

وهذه حالة لا يُمكن ان توجد في اي حوزة اخرى من العالم سواء كانت شيعية أو سنية.

وما ان انتقل الشيخ الى جوار ربه حتى تسلم نجله الشيخ محمد بن الحسن بن ابي علي بن ابي جعفر الطوسي فكان في النجف بعد ابيه وجده فاحيا ذكر ابيه وحاز المرجعية والثقة عند الطائفتين فهو امام وابن امام استمر العلم والحديث في بيته عشرات الاعوام روى عن والده وجماعة من معاصريه وقد روى عنه

كثيرون[1]، فكان شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق وحملوا إليه وكان ورعا عالما كثير الزهد اثنى عليه الطبري وقال في حقه: (لو جازت على غير الانبياء صلاة لصليت عليه)[2]، فشهدت النجف وحوزتها بوجوده نشاطا علميا ملحوظا حيث تخرج على يديه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين.

وحين شاء الله ان يرحل عن هذه الدنيا ليلتحق بجده وابيه سنة ٥٤٠ هـ خلف عليها الشيخ عماد الدين الطبري تلميذ ابيه واحرص الفقهاء الثقات على حوزة النجف وأكثرهم قابلية وأكفأهم قدرة على النهوض بمهامها وتحمل مشاق ادارتها[3].

كما برز في الربع الأخير من القرن السادس الهجري الشيخ علي بن حمزة بن شهريار الذي (تفوقت الدراسة فيه، ونشطت حركتها العلمية، وشجع الناس الى العلم ورغبهم فيه، فكان صاحب عهد جديد في تاريخ النجف العلمي)[4].

وفي غضون ذلك بزغ نجم ابن ادريس[5] في الحلة بعد انتقاله اليها من النجف فقد (موج الحركة العلمية في الحلة ونشطت الى حد كبير، وكان عهد هذا المجدد ايذانا بانتقال الحركة العلمية للحلة، وقد تكاملت عناصر هذا الانتقال في أوائل القرن السابع الهجري)[6] إذ اصبح مجلس المحقق الحلي يضم قرابة اربعمائة

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٤٧٤/٢.

٢- الحنبلي، ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب:١٢٦/٤.

٣- الحكيم، عبد الهادي، حوزة النجف الاشرف: ٢٤.

٤- الحكيم، حوزة النجف الاشرف: ٢٦ - ٢٧.

٥- هو محمد بن أحمد بن ادريس الحلي، فاضل فقيه، ومحقق ماهر ونبيه، صاحب كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ومختصر تبيان الشيخ الطوسي، توفي سنة ١٠٩٨هـ ١٢٠١م، ينظر؛ القمي: الكنى والألقاب: ٢١/١.

٦- الخليلي، موسوعة العتبات: ٤٦/٧.

مجتهد[1].

ولم يكن نبوغ ابن ادريس لوحده السبب وراء انتقال الحوزة العلمية من النجف الى الحلة، إنما هناك اسباب مادية وسياسية أدت الى فتور الحركة العلمية في النجف وانتقالها الى مدينة الحلة، منها: الطابع الصحراوي للمدينة وقلة المياه فيها، وتكرار هجوم الاعراب الحجازيين المتكرر على النجف، حيث ذاق النجفيون ـ آنذاك ـ الأمرين من هؤلاء الأعراب، فضلا عن غلاء الأسعار في النجف[2].

ومع ان هذه الأسباب مجتمعة ادت الى انتقال الحوزة من النجف، فإنها لم تشلها، اذ تحدثنا الابحاث ان طائفة من العلماء المشاهير سواء ممن خرجتهم المدينة نفسها او ممن جاوروا فيها حتى جاز لنا ان نطلق عليهم(علماء الفترة)[3].

وبعد ان أحتفظت الحلة بزعامة الحركة العلمية في الحوزة ما يقارب الثلاثة قرون، عادت النجف الى سابق عهدها بعد خلو الحلة من العلماء الكبار بوفاة فخر المحققين[4] مع تزايد اهتمام السلاطين والعلماء بإيصال المياه من الى النجف واتخاذ الاحتياطات كبناء الأسوار، لتقليل أثر الاعراب التخريبي[5]، فضلا عن اسباب سياسية وطائفية دفعت باتجاه تنشيط الحياة الفكرية من جديد في هذه المدينة وجعلها قوة دفاعية للشيعة، ومركزا مهما يقابل بغداد[6].

فدارت في النجف من جديد رحى العلم دورتها الحيوية بالعلم والعمل

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٧/ ٥٣.

٢- البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف:٧٥.

٣- الحكيم، الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٢٥.

٤- ابو طالب، فخر المحققين، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ولد سنة ٦٨٢ ١٣٠٤م، وتوفي سنة ٧٧١هـ ـ ١٣٩٣م، القمي: م. س ١٦/٣.

٥- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٥٧/٧ ـ ٥٩.

٦- ن. م: ٢٨٧.

واتصلت او كادت حلقات عصورها العلمية من أول القرن العاشر ـ أي منذ سنة ٩٠٠ هجرية تقريبا الى الآن ـ فكان أولها عصر الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المحقق المشهور ومعاصره الشيخ ابراهيم القطيفي.. ثم عصر الشيخ الأردبيلي الزاهد وصاحبه الملا عبد الله اليزدي.. ثم عصر الشيخ عبد النبي الجزائري.. ثم عصر الشيح حسام الدين النجفي، فعصر الشيخ فخر الدين الطريحي.. ثم عصر ابي الحسن الشريف ومعاصرية، فعصر الفتوني، فعصر الطباطبائي، فعصر الشيخ جعفر الكبير، فعصر ابن الشيخ، فعصر صاحب الجواهر، فعصر الشيخ مرتضى الأنصاري، فعصر تلامذة الأنصاري.. وغيرهم، فهذه حلقات هذه السلسة من العصور الآخذ بعضها بأطراف بعض، وقد تكونت في اثنائها أشهر الأسر المعروفة بالعلم والأدب، كآل الخمائسي وآل الطريحي وآل الجزائري وآل محيي الدين وآل البلاغي وآل الطباطبائي وآل الشيخ جعفر وآل النحوي وآل الأعسم وآل الجواهر وآل القزويني وآل قفطان، وآل شيخ راضي، وسواهم من البيوتات المعروفة والمندرسة[1].

ويضاف الى هؤلاء العلماء الكبار العديد من العلماء و مراجع الدين منهم: المحقق الشيخ حسين النائيني المتوفي عام(١٣٥٥)هـ، والمحقق الشيخ أغا ضياء العراقي المتوفى عام(١٣٦١) هـ، والمحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفى عام(١٣٦١) هـ، السيد محمد كاظم اليزيدي المتوفى عام(١٣٣٧) هـ، والسيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفى عام(١٣٦٥) هـ، والسيد محسن الحكيم المتوفى عام(١٣٩٠) هـ، والسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي المتوفى عام ١٤١٣ هـ.

ثم اعقب هؤلاء المراجع العظام زعماء لحوزة النجف الاشرف و مراجع دين المتصدين للبحث و التحصيل الحاضرين في عقول و قلوب المؤمنين يحملون همومهم و يدافعون عن حقوقهم و الحريصون على ان ينتشر المذهب الحق في

١- الحكيم، الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٢٦.

ارجاء العالم حفظهم الله تعالى و سدد خطاهم.

لتمثل بركات تلك الحوزة التي أرسى دعائمها ذلك الشيخ،منذ تلك الفترة وحتى يومنا هذا في مسيرة تجاوز عمرها أكثر من ألف عام، فتحت من خلال جهوده العلمية أبواب جامعة قدر الله لها ان تكون خالدة في مسيرة تاريخ هذه المدينة المقدسة.

٢ـ الحوزة العلمية:

جامعة النجف الاشرف الدينية او (الحوزة العلمية) -كما هو متداول بين الأوساط العلمية-كيان ضخم ارتبط بذاكرة مذهب، جُبل اتباعه على حب العلم وتحصيله، وكانوا مصداقا لقول رسول الله(صلى الله عليه وآله): (اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين)[1].

فاحتوت منذ قديم الزمان على العلوم الدينية الاسلامية: من الفقه الاسلامي وتفسير القرآن وأصول الفقه، والعقائد، والدراية، والرجال، والفلسفةالاسلامية.. وذلك على ضوء مذهب أهل البيت(عليهم السلام).

وقد قصد النجف ومنذ أكثر من الف عام طلبة العلم من كل انحاء المعمورة انطلاقا من الاية الكريمة: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة/١٢٢)، حيث يقيمون فيها مدة قصيرة او طويلة، حسب ظروفهم المادية والصحية ويتلقون العلوم الدينية على علمائها ومحققيها.

اذن.. الحوزة العلمية، كلمة يراد بها بالعربية تأدية معنى لغوي يدل على ناحية أو مكان، ومن جهة أخرى ارتبطت الكلمة بمكان خصص لممارسة نشاط أنساني معين، حتى اقتصرت في أدبيات اتباع مدرسة اهل البيت(عليهم السلام)

١- الكليني، الكافي:١/٣٣.

على النشاط المرتبط بتحصيل العلوم.

فبات مفهوماً تلقائياً أن الحوزة لابد أن تكون علمية، يقتفى بها الصدق، ويتبع الحق، وتتلقي فيها الأحكام، ومكانا لطلب العلم، علم لم يبذل لكل طالب ولا تيسر لكل راغب، فقال سبحانه تنبيها وتذكيرا: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) (البقرة/٢٦٩).

الحوزة.. إذا ليست معهداً علمياً واحداً كما يتصور الكثير ولكنها وصف ينصرف الى مدينة بأكملها، الى ساحة يتبارى فيها الطلبة لنهل العلم وتحصيل المعرفة من مضانها الحقيقي.

والحوزة في اللغة من الفعل (حاز: ح، ا، ز) وحاز حوزاً وحيازة واحتيازاً: يراد به الشيء اذا ضمه وجمعه أو إذا حصل عليه، والحوز: موضع يحوزه الرجل ويتخذ حواليه مسناة، والجمع أحواز، والحوزة الناحية[1].

على أننا نسمع اطلاق كلمة الحيْز، والحيِّز، ويراد بهما المكان، فالمعنى هنا مأخوذ من الحوز(الجمع)، يقال هذا في حيز التواتر، أي جهته ومكانه[2].

كما ورد ضمن قوله ـ تقدست أسماؤه ـ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ◆ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (الأنفال:١٥ ـ ١٦).

فـ(متحيزاً) هنا جاءت بمعنى منحازا، وتحديداً تعني: منحازا الى جماعة من المسلمين يستعين بها وإذا ما انحاز الإنسان فإنه انضم[3].

وهكذا فالحوزة بمفهومها اللغوي العام هي: المكان المحدد بتحديد ما، وتطلق(الحويزة) إذا ما اريد تصغير الحوزة، وخلاصة الامر تؤل الى ان المراد

١- ابن منظور، لسان العرب:٥/٣٤٢.

٢- ن. م ، مادة (حوز): ٥/٣٤٢.

٣- البهادلي، الحوزة العلمية في النجف: ٨٥.

بكلمة(الحوزة) هو المكان الذي ينضم الناس فيه الى بعضهم البعض[1].

ومن جهة اخرى تخرج الكلمة من معناها اللغوي الى معنى أشمل وأوسع حين تتخذ كمصطلح له تعريفاته المتعددة في كلمات الباحثين والمحققين تختلف سعة وضيقاً واطراداً وانعكاساً، إلاّ أنها تلتقي في مجملها لتقدم اطاراً عاماً لمفهوم الحوزة العلمية.

من بين هذه التعاريف ماذهب اليه الاستاذ علي أحمد البهادلي في أنها: (كيان علمي وبشري يؤهّل للأجتهاد في علوم الشريعة الاسلامية، ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة، وقيادتها)[2].

معتمدا في ذلك على مهمتين أساسيتين تؤديهما الحوزة العلمية:

الاولى: صياغة الانسان المجتهد في علوم الشريعة الاسلامية، حيث يواصل ـ بموجب بلوغه مرحلة الاجتهاد ـ مسألة تولي استنباط الاحكام الشرعية، وتبليغها لافراد الامة.

والثانية: خط التبليغ؛ فمن ليس لديه القدرة في الوصول الى مرحلة الاجتهاد فان عليه مسؤولية لاتقل اهمية عن السعي لبلوغ مرحلة الاجتهاد، وهي مهمة التبليغ التي قد تكون بواسطة المحاضرات او الندوات، او تأليف الكتب ونشرها وقد تكون من خلال ارتقاء المنبر الحسيني.

من هنا ذهب الدكتور عبد الهادي الحكيم ان الحوزة العلمية هي: (الوسط المنتج والحاضن معا للساعين الى الخروج من عهد التكليف الالهي بالنفر الوارد في قوله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة/١٢٢)

١- ن . م

٢- ن. م:٩٤.

والباذلين جهدهم للتخلق بأخلاق الاسلام وآدابه سواء كانو علماء ومبلغين ام معلمين ومتعلمين ام مفسرين ومؤرخين ام من غيرهم من السالكين الى الله والداعين اليه خطباء كانوا ام وكلاء ام مبلغين من حذا حذوهم واقتدى بسنتهم متفقها بالدين تارة ومنذرا ومبلغا اخرى، متأدبا بآداب الاسلام الكريمة وأخلاقه السامية)[1].

على ان المتأمل لكيان الحوزة العلمية يجدها تتألف من لبنتين أساسيتين هما الطالب والاستاذ يجمع بينهما محور واحد هو الكتاب الذي يتناوله أولئك الدارسون مما خلفه كبار اساتذتها من امهات المصادر والمراجع، وسنحاول هنا تفصيل القول بكل واحد منهما:

أ- طَلَبة العلوم الدينية: طلب، طلبه، طلباً؛ الشيء: حاول وجوده وأخذه. وطلب اليه: رغب، وطلّب الشيء: طلبه في محله.. والطَلّاب: الكثير الطلب، والمطلوب جمعه مطاليب: مايطلب من حق وغيره، والطالِب مفرد جمعه طَلَبة وطُلاب.. وهو التلميذ الساعي لطلب العلم وتحصيل المعرفة..

والطَلَبة انواع، منهم طلبة العلوم الدينية، مصداق من المصاديق الحية والبارزة في مجال كدح الانسان وسعيه الحثيث من اجل تحصيل العلوم الاسلامية الحوزوية بمختلف انواعها..

ومايميزهم عن غيرهم من الطلاب، ان الطالب الحوزوي او كما يصطلح عليه (الطَلَبة) لايكون سعيه ذاك إلا ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى بعيدا عن اي غايات دنيوية، فلا جاه ولا سلطة ولا مال، يتحمل في سبيل تحصيل علوم الشريعة اشد الظروف المعيشية التي يواجهها الانسان في حياته، من غربة عن الاوطان، وقلة ذات اليد، وهجر الراحة والرفاهية، كل ذلك في سبيل غرس بذرة

١- الحكيم، حوزة النجف الاشرف:١٩.

صالحة في كيان الامة الاسلامية، يرجى ان ترفد في المستقبل اجيال المسلمين بعلوم الدين الحنيف، باعتباره منهجا لحياة الانسان منذ ولادته وحتى وفاته.

على ان تقوى الله والورع عن محارمه وتهذيب الأخلاق وتزكية النفس من اهم صفات الطلبة، وبها يكونون من الدعاة الى الله ورسوله ويكون لمواعظهم ونصائحهم وقع في الآخرين، ويكونون كما ارادهم الإمام الصادق(عليه السلام) زينا له و ان لا يكونوا شينا عليه حتى يقولوا: (رحم الله جعفرا ما أحسن ما كان يؤدب به أصحابه)[1].

فكانوا بذلك اللبنة الاساسية التي يقوم عليها كيان الحوزة العلمية المبارك، بل ان هذه الصفة ـ صفة طالب العلم ـ لا تنفك عن اي فرد من افراد الحوزة العلمية مهما بلغ مستواه العلمي ومكانته الدينية في هذا الكيان.

ومما اشتهر عن لسان زعيم الحوزة العلمية الأجَل اية الله العظمى السيد ابي القاسم الخوئي قوله: لا زلت طالب علم.

من هنا نرى طالب العلم في عمل دؤوب في ايام الاشتغال، كما لاينقطع عن ذلك حتى في ساعات الراحة وايام التعطيل، ففي الأولى يقضي الطالب وقته بين درس يتلقاه، ودرس يلقيه، ومطالعة في الليل والنهار، ويكتب دروسه كأنّه يؤلف كتابا في العلم الذي يدرسه وقد يتم مسائل ذلك العلم كله وقد لايتمها، كل حسب موهبته وجلده وصبره، فيرى الطالب استاذه شمعة تنير له الطريق كما ينير هو شمعته لطريق الآخرين بتوليه ذات المهمة في خدمة الاسلام.

لذا تُمنح للمشتغلين منهم ألقاب كثيرة تثمن الجهد الذي بذله الطالب والمرحلة العلمية الّتي بلغها منها: (الفاضل، والعلاّمة، والحجة، وآية الله، وآية الله العظمى..)، على ان هذه الألقاب لا تمنح لأصحابها من قبل جهة في الحوزة العلمية تتولى هذه الأُمور، بل تقدم من قبل أساتذة معروفين حيث يقرون هذه

١- الجواهري، جواهر الكلام: ١٣/٢٠٠.

الألقاب عبر مرور الزمان وفي المجالس المختلفة وفي أحاديثهم ومخاطباتهم ومراسلاتهم.

ولطلبة العلوم الدينية زي خاص مميز متمثل بالعمامة والجبة والعباءة وهي من آداب الملابس في الإسلام، وقد اعتاد اتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) أن العمامة السوداء يعتم بها الطلبة ممن ينتمي بنسبه إلى بني هاشم ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ذرية فاطمة الزهراء(سلام الله عليها)، وان العمامة البيضاء لمن هم دون ذلك، رغم أن كلا منهما يدرسان الدراسات الإسلامية نفسها بدون أدنى تفاوت أو اختلاف، على ان الزي لايمثل عقبة في حضور من يرغب حلقات الدراسات الإسلامية مهما كان مستوى البحث من ناحية المقدمات أو السطوح أو الخارج، ولكن المتعارف عليه في النجف الأشرف أن الطالب المبتدىء عندما يلتحق بالحوزة يحافظ على زيه السابق ويبتدئ بدراسة المقدمات ثم يتعمم بعد أن يقطع شوطاً من دراساته التمهيدية ويتعمم البعض الآخر عندما ينهي مرحلة المقدمات وينتقل إلى مرحلة السطوح وقلما تجد طالباً في مرحلة السطوح لم يكن معمماً ونادراً ما تواجه طالباً في مرحلة الخارج من دون عمامة.

وقد تخرج من الحوزة العلمية في النجف الاشرف الآلاف من طلبة العلوم الدينية فمنهم من بلغ مستوى المرجعية العامة، والقيادة للأمة الإسلامية مثل سماحة اية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره الشريف).

ومنهم من ابدع في التدريس والتحقيق مثل سماحة اية الله العظمى السيد الخوئي(قدس سره الشريف)، والشيخ المحقق ضياء الدين الاراكي رحمه الله الذي لمع اسمه في العقد الرابع والخامس من القرن الرابع عشر الهجري.

ومنهم من انصرف الى التحقيق والتأليف مثل الشيخ اغا بزرك الطهراني صاحب الموسوعة الكبيرة(الذريعة الى تصانيف الشيعة) وكتاب طبقات اعلام الشيعة، والشيخ عبد المحسن الأميني مؤلف كتاب (الغدير) و(شهداء الفضيلة)

والشيخ ميرزا حسين النوري ذي المؤلفات الكثيرة وفي طليعتها(مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل).

ومنهم من يعود الى بلاده وديياره او مكان اخر للتبليغ ونشر الدعوة الاسلامية وتوجيه الناس من خلال المساجد والمجالس والمناسبات الدينية مثل الشيخ حبيب الكاظمي والشيخ علي الكوراني وغيرهما.

او يمارس الخطابة متخذا من المنبر الحسيني وسيلة لنشر فقه اهل البيت(عليهم السلام) وتعليم مدرستهم، وبث أخلاقهم مثل الشيخ الدكتور احمد الوائلي والشيخ عبد الزهراء الكعبي وغيرهما الكثير.

وقد خرّجت الحوزة العلمية في النجف الاشرف الآلاف من طلبة العلوم الدينية، أحصى بعض الباحثين من تواجد منهم في تلك الحوزة المباركة في الفترة الواقعة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف طالب، واحتمل آخرون ان الرقم يفوق التقديرات بكثير استنادا الى ما ذكره الشيخ اغا بزرك الطهراني من انه سمع ممن أحصى تلامذة أحد مراجع تلك الفترة وهو الاخوند الخراساني، من انهم زادوا في بعض الليالي بعد الفراغ من الدرس على الالف والمائتين، فضلا عما ذكره المرجع الشيخ ضياء الدين العراقي وهو من اكابر تلامذة الخراساني بان عدد طلاب البحث الخارج للشيخ تعدى في فترة من الفترات ١٧٠٠ طالب[1]، الا ان هذه الاعداد كانت تتفاوت بين مد وجزر تبعا للظروف السياسية المحيطة بهم.

ب- الاستاذ: تميزت الدراسة الحوزوية في النجف الاشرف بانها تتبع في تدريسها وتلقيها نظام الحلقات، النظام ذا الطابع التقليدي في طريقة الدراسة.. حيث يجلس الاستاذ مفترشا الارض تحلق حوله مجموعة من الطلبة، مبتدءا درسه

١- الحكيم، حوزة النجف الاشرف:٢١٤-٢١٧.

بالبسملة واالصلاة والتسليم على الرسول الاكرم وآله، وربما تلا بعض الاحاديث المباركة للمصطفى(صلى الله عليه وآله) والتي تحث الطلاب فيها على طلب العلم للعلم، وعلى التواضع في طلبه بجلسة جميلة لها هيبتها ووقارها مما لا نرى له مثيلاً في غيرها، ومن ثم يقرأ الاستاذ عبارة معينة ويبدأ بشرحها لمستمعيه وهكذا بقية العبارات في درس يتراوح وقته بين ٤٥ دقيقة الى ساعة كاملة.

من هنا حافظت الحوزة الشريفة المؤلفة من الطالب والاستاذ على كيانها وتواصلها من خلال الايمان ان الواجب الذي يؤديه الاثنان هو واجب ديني مقدس لايمكن التخلف عنه او التقاعس فيه.

فالطالب لايفكر في نيل شهادة، او اجتياز عقبة امتحان رسمي ليحظى بوظيفة، انما من اجل العلم نفسه، كما ا ن الاستاذ لا يتقاضى راتبا او اجرا معينا قبال تدريسه انما عمله خالص لوجه الله.

لذا فان غير المتتبع لطبيعة هذه الدراسة يتخيل انها دراسة جامدة لا تتعدى الفقه والاصول، ولا تتجاوز اللغة العربية وآدابها، الا انها كانت على غير هذا التصور فقد كان لدراسات المنطق والحكمة والفلسفة والتفسير والهيئة الكثير من الاهتمام لدى طلبتها وكان لهم القصب المعلى، والنصيب الاوفر في البحث والتدقيق بهذه العلوم، فكانت مدرسة جامعة، لها منهجها الخاص بها، هو خلاصة القديم الذي عرفت به من عهدها السابق، وخيار الجديد الذي جاء به هذا العصر، فهي لم تزل ولا تزال تواصل الحركة الفكرية والادبية، وتطالع ما تنتجه المطابع في انحاء المعمورة من كتب حديثة، وآراء جديدة، فمكتباتها الكثيرة زاخرة بكل قديم قيّم، وكل جديد جيد.

من كل هذا يتبين ان الدراسة الحوزوية ليست نزهة انما يحفر رجالها الصخر لنيل الغاية المنشودة وهي التفقه بالدين، دراسة معمقة وشاملة للعلوم التي تدرس في الحوزة لان طلبة الحوزة الذين يدرسون كتابا ما من قبيل المنطق او النحو لا تقتصر دراسة ذلك الكتاب على عباراته بل تراجع بعض الشروحات والتعليقات

المتعلقة بمتن ذلك الكتاب وهذا ليس بالامر البسيط بل ياخذ وقتا كبيرا من الطالب فلهذا لا تجد الطلبة يحضرون اكثر من ثلاثة دروس في اليوم وخصوصا طلبة السطوح العالية.

ولصعوبة هذه المهمة ترك للطالب فسحة من الحرية لاختيار الاستاذ المناسب لتأدية هذه المهمة حسب ذوقه ووقته ومقدرته العلمية، بان يشارك غيره من التلاميذ في الحضور على الأُستاذ، أو يطلب من أُستاذ يتعرف عليه لتدريسه لوحده أو لمجموعة من التلاميذ.

كما أنه لا مانع للتلميذ من مغادرة الحلقة الدراسية أو ترك أُستاذه، إذا لم يستفد من الدرس نتيجة انخفاض المستوى العلمي للأُستاذ أو عدم جدوى أُسلوب تفهيمه وتدريسه، لأن الوقت أغلى من كلّ هذه المجاملات والصداقات والبحث عن أُستاذ آخر.

وفي كثير من الأحيان يلتحق الطالب بحلقات درس الأساتذة المعروفين في العلم والإفادة، ويشارك مع الآخرين في الدرس من حيث انتهى إليه الأُستاذ حتّى ينتهي من الكتاب ثم يعود ويقرأ ما فاته من الدروس الأُولى على نفس الأُستاذ أو أُستاذ آخر.

ويبذل الاساتذ في الحوزة العلمية جهدا كبيرا ويتحمل من اجل القاء درس مفيد ومثمر لطلبته الكثير من العمل الجاد، يستغرق جل يومه ومنذ ساعات الصباح الباكرة وحتى ساعات متأخرة من الليل وفي عمل متواصل، وفي هذا الصدد يتحدث سماحة الشيخ باقر الايرواني[1] عن تلك التجربة فيقول: (جرت عادتي على الاستيقاظ مبكرا فترة الصباح وبعد اداء مراسيم العبادة امارس من جديد تحضير الدروس التي اريد القاءها حيث اني امر بمراحل ثلاث في عملية التحضير للدرس.

١- أحد أساتذة البحث الخارج المعروفين في الحوزة العلمية لمدينة النجف الاشرف.

المرحلة الأولى: اقوم بها في فترة التعطيل الصيفي، حيث احاول تحضير جميع المادة التي اريد القاءها خلال السنة الدراسية القادمة ثم اقوم بضبطها في دفتر خاص ذلك ان الفترة في يوم القاء المحاضرة لا تسع لتحضير اربعة دروس ذات مستوى عال، اذا ان تحضير محاضرة واحدة قد يستدعي احيانا يوما كاملاً، بل اياماً، فكيف اذا كانت المحاضرات في كل يوم اربع.

وقد احتاج احيانا في البحث عن حديث واحد من حيث سنده ودلالته الى ساعات اضافة الى ان المسألة ليست مسألة تجميع من هنا وهناك بل مسألة تفكير وتأمل بالموضوع بالكامل لمناقشة الآراء الأخرى في المسألة والتوصل الى رأي فيها.

والمرحلة الثانية: اقوم فيها بالتحضير ليلا أي قبل يوم المحاضرة، والتحضير في كل ليلة يتم بمقدار المحاضرة التي يراد القاؤها في اليوم التالي، وقد يتم التوصل الى اشياء مستجدة لم يتم التوصل اليها في المرحلة السابقة.

وفي صباح اليوم الجديد بعد اداء مراسيم العبادة ابدأ بالمرحلة الثالثة: حيث استحضار كامل للمحاضرة من جديد وترتيب لمنهجيتها وكيفية القائها وسد ثغراتها.

وبعد انتهاء التحضير المذكور وتناول وجبة افطار سريعة اذهب الى مجلس الدرس الأول الذي يبدأ في الساعة السابعة صباحا، والدرس الأول هو (خارج الفقه) ويستغرق عادة فترة اربعين دقيقة ثم في الساعة الثامنة اشرع بتدريس (خارج الأصول) والفترة المتخللة بين الدرسين اتركها للأخوة الطلبة لطرح اسئلتهم واشكالاتهم ونقاط الغموض بمادة المحاضرة التي استمعوا اليها والجواب عنها، ثم في الساعة التاسعة اشرع بدرس (المكاسب) وفي الساعة العاشرة اشرع بدرس (كفاية الاصول) وفي الفترات المتخللة بين كل درس ودرس يطرح الإخوة الحضور اسئلتهم كما كان شأن الذين سبقوه من طلاب البحث الخارج، ثم بعد الانتهاء من الدرس الأخير ابقى لابثا في قاعة المحاضرة لفترة نصف ساعة وربما

تزيد احيانا لاستقبال الأخوة سواء أكانوا من حضّار الدرس ام من الناس الآخرين للجواب عن اسئلتهم أو حل بعض مشاكلهم.

وبعد الرجوع للبيت قبل الظهر اشرع مباشرة بكتابة شرح كتابي(كفاية الأصول) باسم (كفاية الأصول في اسلوبها الثاني) على غرار كتابي السابق (الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني) والدور الذي اقوم به هو كتابة كامل المحاضرة مع المنهجة التامة والتوضيح الكامل، وقد تستغرق كتابة ذلك احيانا ثلاث ساعات او اربع متواصلة اقطعها عادة بعد ان يحل وقت الظهر لأداء مراسيم العبادة حتى اذا انتهيت منها اشتغلت من جديد وبسرعة في مواصلة كتابة شرح الكفاية، وبعد انتهائي من وجبة طعام الظهر اواصل الاستمرار في كتابة شرح الكفاية حتى حلول الساعة الرابعة من بعد الظهر حيث اذهب للإشراف على المحاضرة التي تختص ببعض الفضلاء وقبيل الغروب بنصف ساعة تقريبا ارجع الى البيت بسرعة لأواصل تحضير دروس اليوم التالي وابقى مستمرا في تحضيرها بعد اداء مراسيم صلاتي المغرب والعشاء حتى الساعة الحادية عشرة تقريبا.

وليس من عادتي تناول وجبة عشاء بل اتناول شيئا يسيرا امتثالا للأدب الشرعي، وفي يوم الأربعاء الذي هو آخر الأيام الدراسية في الاسبوع اقوم قبل انتهاء الدرس الأخير بالقاء محاضرة اخلاقية على الأخوة الحضور بهدف حراسة الجانب المعنوي والمحافظة عليه.

وفي يوم الخميس والجمعة استقبل صباحا الى الظهر الإخوة الطلبة وغيرهم للجواب عن اسئلتهم او حل مشاكلهم وقضاء ما يمكن قضاؤه من حوائجهم.

وعصر الخميس اقصد الذهاب الى كربلاء للتشرف بزيارة الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) وفي ليلة الخميس من كل اسبوع اقصد مرقد سيدي الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) للتشرف بزيارته.

والفترة المتبقية من يومي الخميس والجمعة لا اتركها تذهب سدى ـ فليس لي وقت زائد حتى يمكن ان يذهب سدى ـ بل أقوم بالإجابة على الأسئلة التي توجه

الي او بمطالعة بعض الكتب او النشرات التي تهدى الي، وأحاول ايضا مواصلة كتاباتي..)[1].

ج- الدراسة الحوزوية: من المعروف في الاوساط الحوزوية أن الدراسة فيها تقع على ثلاث مراحل: مرحلة المقدمات، ومرحلة السطوح، ومرحلة البحث الخارج، ويعد البعض مرحلتي المقدمات والسطوح مرحلة أولى، ومرحلة البحث الخارج هي الثانية.

وتتشابه مرحلتا المقدمات والسطوح في منهجية التدريس فيهما، حيث توجد مناهج مخصصة للتدريس يجب أن يتقيد بها الطالب الحوزوي، بينما تختلف طريقة تدريس البحث الخارج عنهما بكون المحاضرة تملى من قبل الاستاذ الذي يبتدئ بحثه وينهيه بالاجابة عن الإسئلة المطروحة.

وكما هو الحال في المناهج التي تدرس في كل مرحلة فأن للمراحل تلك طرق تدريس خاصة بها تختلف باختلاف المرحلة الدراسية التي يمر بها الطالب، ففي حين تعتمد مرحلتا المقدمات والسطوح على شرح الأستاذ لعبارة الكتاب المقرر أولا، حيث يقرأ الأستاذ من كتاب مفتوح بين يديه، ثم يقوم بتفكيكها شارحاً ومفسرا ومعلقا وممثلا بمثال أو أكثر لتوضيح مقصده، مستعينا غالبا بصوته في المد والوقف والرفع والخفض، وبلمحات وجهه الموحية وحركات يديه المعبرة لإيصال الفكرة لتلميذه بجلاء.

في حين تكون طريقة تدريس البحث الخارج اعتمادا على محاضرة الاستاذ ـ المجتهد ـ والتي يلقيها من دون كتاب يقرأ فيه معتمدا على تناول آراء الفقهاء والأصوليين السابقين في كل مسألة من المسائل العلمية محل البحث، ثم يناقش أستاذ البحث الخارج الآراء المطروحة وأدلتها التفصيلية بكل ما تحتاج إليه من

١- الحكيم، حوزة النجف الاشرف: ١٦٣-١٦٧.

مناقشة، فإذا انتهى من ذلك كله عرض رأيه الخاص، مستدلاً عليه بما لديه من أدلة وبراهين وحجج داعماً حينا ومفندا حينا وطارحاً رأيا جديداً أحياناً، لتبدأ بعد انتهاء المحاضرة مناقشة الطلاب بما لم يوافقوه عليه من رأي، أو لم يفقهوه من معنى.

ويجري هذا كله والطلاب متحلقون حول الأستاذ جالسين على الأرض يستمعون لدرسه منصتين في حلقة قد تكبر او تصغر نتيجة لأسباب عديدة تدخل فيها المادة الدراسية وشهرة الأستاذ العلمية وحسن بيانه وتوضيحه وسعة صدره لتقبل النقاش والإجابة عن اسئلة طلابه وأمثال ذلك.

فإذا انتهى الأستاذ من درسه وتفرق الطلاب جرت العادة أن يتفق اثنان منهم فصاعداً على وقت ومكان محددين لما يطلقون عليه لفظ (المباحثة) وهي إعادة لشرح درس من دروس مضت على تدريس الأستاذ له فترة غير بعيدة بما يضمن معها ابتعاد الطالب عن أجواء ذلك الدرس الخاص ونسيانه لعبارات استاذه كي يحرز ان الطالب مستوعب للدرس ومتفهم لمطالبه وليس مردداً لألفاظ مدرسه ترديد غير الهاضم لها، حتى إذا حان وقت المباحثة المتفق عليه بين الزملاء هب أحدهم هذه المرة لإلقاء الدرس على زميله أو زملائه، متخذا هيئة أستاذه، شارحاً درسه، مجيبا على اشكالات رفيقه في الدرس أو رفقائه، وهكذا بالتناوب بين الزملاء على الأستاذية يوماً، وعلى إعداد الأسئلة التي قد تتطلب منه أو منهم مراجعة كتب وكتب كي يثبت كل منهم أمام زميله أو زملائه أنه متابع ومستحضر ومجد ومتابع، وهكذا بالتحضير المستمر، والمران على توجيه الأسئلة والإجابة عنها تتطور العلمية والتعليمية باطراد ودربة، وهكذا يعتاد الطالب النظر والتفكير والمناقشة والنقد للدروس والابحاث التي يدرسها.

المبحث الثاني
مدرسة الروضة الحيدرية

١ـ نشأة مدرسة، وتكملة درب:

كنا قد اوردنا في مقدمة هذا الفصل كيف تطورت مدرسة المرقد المقدس وأخذت بالنمو، وصارت على ماهو عليه، منذ ان كان القبر عبارة عن شاهد لا يعرفه الا ابناء الامام(عليهم السلام) والخواص من اصحابه وصولا الى المرحلة التي اعطى بها الامام الصادق(عليه السلام) اموالا الى صفوان الجمّال وأمره ان يصلح القبر ويخبر الناس عنه.. لما سأله الجمّال وقال: (يا سيدي أتأذن لي أن أخبر أصحابنا من أهل الكوفة به فقال: نعم، وأعطاني دراهم فأصلحت القبر)[1].

ليستمر حال المرقد الشريف على هذا الحال بين الظهور والخفاء حتى شاء الله ان يظهر في حادثة مشهورة على يد هارون العباسي سنة ١٧٠هـ وتشييده لاولى العمارات على القبر الشريف، يوم بنى عليه قبة من طين أحمر وطرح على رأسها جرّة خضراء، وكان لتلك القبة أربعة أبواب[2].

وما تلتها من عمارات أخرى تسابق الكثيرون من خلالها لتسجيل ولائهم وحبهم لصاحب المرقد المقدس الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)..

والمتتبع لهذه العمارات يرى ان جلّها كانت قد شيدت بطريقة تكفل تهيأة الاجواء الروحية والدراسية وبما يناسب المكانة المقدسة لصاحب المرقد، من خلال الجمع بين ثلاثة امور أساسية هي ايجاد مكان للدراسة تستوعب حلقات الدرس(مساجد وأروقة واواوين وزوايا)، ومحل لسكنى الطلبة والمجاورين(غرف الطلبة)، ومكتبة تزود الطلبة بكل ما يحتاجونه من كتب ومصادر لمواصلة

١- الثقفي، ابراهيم بن محمد، الغارات: ٨٥٦/٢.

٢- ابن طاووس، فرحة الغري: ١٤٥. الديلمي، إرشاد القلوب: ٢/ ٣٤٢.

دراستهم.. بالاضافة الى المرقد الذي ضمه ذلك المكان وأحاطته بفضاء(حرم) تعلوه قبة شامخة شيدت بطريقة ساهمت بترسيخ الجانب الروحي والمعنوي لدى الداخل الى ذلك المكان.

فكانت عمارة الداعي الصغير السيد محمد بن زيد(٢٧٠- ٢٨٧هـ) اولى تلك العمارات للمرقد العلوي الطاهر والمكونة من قبة وحائط وحصن فيه سبعون طاقا على شكل عقود[١].

شيدت تلك العمارة لتكون مهيّأة لسكنى طلبة العلم والوافدين لزيارة المرقد الشريف مع أزدياد أعدادهم بشكل متواتر، فكانت هذه الزوايا وتلك الاطاقات كالغرف والاواوين الموجودة اليوم في المدارس تصلح لسكنى الطلاب ومركزا لدراستهم.

وبعد عمارة الداعي الصغير التي أصبحت لا تتلاءَم مع أزدياد الوافدين المتواتر من طلبة وزائرين ومجاورين، خصوصا بعد تقهقر الكوفة أمام النجف وتكيلف الاولى الثانية لرعاية مدرستها الدينية وحفظ حوزتها العلمية التي اقامها الامام الصادق(عليه السلام) فيها، فأصبحت اروقة المرقد الطاهر امتدادا طبيعيا لمدرسة الكوفة ومسجدها المعظم يوم كان مزدحما بالاساتذة والدارسين وحلقات الدرس وملتقى العلماء.

وبعد تلك العمارة القديمة ظهرت عمارة عضد الدولة البويهي في سنة ٣٣٨هـ كعمارة فخمة بذلت فيها أموال طائلة في سبيل ذلك وجلب لانشائها النجارون وأهل الصناعات من سائر الأقطار، بعد ان أزيلت عمارة الداعي الصغير القديمة.. وبناء عمارة جليلة حسنة مكانها هيأت لتكون مؤهلة لضم الطلبة والعلماء وتوفير الاجواء الملائمة لهم من بينها انشاء صحن يحيط بالحرم الطاهر لمرقد الامام(عليه السلام) فيه الكثير من الغرف والأواوين، ومكتبة ودار

١- ابن طاووس، فرحة الغري: ١٧.

للضيافة، لتؤسس تلك العمارة لمعالم عمرانية مميزة للمدرسة التي ضمها الصحن الغروي الشريف تلك الفترة، والتي وصفها حرز الدين بانها كانت مقر طلاب العلوم الدينية الذين كانوا يفدون على النجف ومثلت المدرسة التي كانوا يدرسون فيها[1].

وفي هذا الصدد ايضا ينقل ابن طاووس ان عضد الدولة خصص اموالا كثيرة شملت طلبة العلوم الدينية كما شمل بذلك ايضا القراء[2] كمساعدة ودعم وتشجيع لجهودهم في تحمل صعوبة العيش من أجل المجاورة للامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وخلق روح علمية في المدينة حبا بالشخصية الاسلامية الدفينة هناك، خصوصا ان طبيعة النجف الاشرف الصحراوية الجافة لم تكن مغرية للعيش والسكنى للوافدين.

ومن بين أولئك العلماء والطلبة ماذكره الدجيلي في موسوعة النجف الاشرف[3]، ومنهم: أحمد بن عبد الله الغروي الذي كان يروي عن ابان بن عثمان، وهو من اصحاب الإمام الصادق(عليه السلام). وشرف الدين بن علي النجفي الذي وصفه الشيخ الطوسي بقوله: (كان صالحا فاضلاً)، وعبد الله بن احمد بن شهريار ابو طاهر الذي عاصر الشيخ المفيد وروي عنه ابو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، والنجاشي في كتاب الإمامة، وأحمد بن شهريار ابو نصر الخازن للحضرة الغروية، كان من رجال العلم وحملة الحديث ومعاصراً للشيخ الطوسي.

من هنا يحدد الاستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة منذ تلك الفترة تاريخا لنشوء حوزة النجف: ان مدينة النجف الاشرف أصبحت عاصمة التدريس للفقه الجعفري وعلوم الدين منذ عصر آل بويه بعد إعمارهم المرقد العلوي وإجزال

١- حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف: ١/١١٠.

٢- ابن طاووس، فرحة الغري:١١٣-١١٤

٣- الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف: ٦/ ٢٥.

الصلات والرواتب للمقيمين فيه[1].

وقد وصف ابن بطوطة تلك العمارة الجليلة للمرقد الطاهر والمدرسة التي فيه يوم زارها عام ٧٢٦هـ قائلا: (ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية، ومن تلك المدرسة يدخل الى باب القبة وعلى بابها الحجّاب والنقباء فعندما يصل الزائر يقوم اليه احدهم او جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ثم يدخل القبة. وللقبة باب آخر عتبته أيضا من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضي الى مسجد مفروش بالبسط الحسان...)[2].

الا ان تلك العمارة تعرضت إلى الحريق مرتين متتاليتين إحداهما سنة ٧٥٣هـ ولم يبق منها إلا القليل، والثانية في سنة ٧٥٥هـ - بعد سنتين من الحادثة الأولى- وقد عزي الأمر إلى المصابيح الزيتية والشموع التي كانت تستخدم لإضاءة المرقد الطاهر في ذلك الوقت.

وقد أعيد على ضوء ذلك إعادة إعمار المرقد الطاهر سنة ٧٦٠هـ، ولم يعلم مُنشئها، وربما كانت من جماعة لا من شخص واحد[3]، وقد أشار الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها إلى أن هذه العمارة قد تكون عائدة إلى الاليخانيين، ويقرب ذلك ما خلفوه من آثار حسنة في العمران أقاموها في عهدهم كبناء المدارس والمساجد والرباطات وفتح القنوات وغيرها[4]، في حين أن الدكتور حسن الحكيم ذكر بان أويس بن حسن الجلائري هو من أقام هذه العمارة وكسا المرقد الطاهر فيها بالرخام[5]، لتأتي بعدها العمارة القائمة اليوم

١- غنيمة، تاريخ الجامعات،: ٤٩.

٢- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار: ٨٠.

٣- الامين، محسن، اعيان الشيعة: ٥٣٨/١.

٤- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٤٧/١.

٥- الحكيم، حسن، المفصل: ٤٤.

والتي أنشأنها الصفويون، والتي إمتازت بالهندسة الفنية المعمارية الرائعة والسعة والفخامة في المنظر، وهي تعد بحق آية من آيات الفن الإسلامي الأصيل، خاصة مع ما شهدته من إضافات مهمة في عهد نادر شاه الافشاري، التي من أهمها تذهيب القبة العلوية المطهرة والإيوان الشرقي الذي يسمى اليوم بالإيوان الذهبي[1].

من هنا يتبين ان الإعمار لم يفارق المرقد العلوي خلال الحقب المتعاقبة، وقد اشار الى هذا السيد عبد الكريم بن طاووس في كتابه فرحة الغري حيث قال: ولو أخذنا في ذكر من زاره وعمّره وتقرّب الى الله تعالى بذلك من الملوك والعظماء والوزراء والادباء والقضاة والفقهاء والعلماء والمحدثين النبلاء لأطلنا فيه[2].

لتتواصل بذلك مسيرة الدرس وتوافد الطلبة الى هذا المشهد المقدس دون توقف، وتعمّر غرفه بالعدد الغفير من الطلبة والباحثين وبخاصة في فترات الضيق والشدة والعوز المادي، ففي القرن التاسع عشر مثلا كانت الاوضاع الاقتصادية في العراق بشكل عام وفي المدن الشيعية بشكل خاص سيئة للغاية بسبب كون العراق بؤرة صراع في تلك الفترة من ناحية ومن ناحية أخرى أكثر تأثيرا بسبب وجود الحكومة السنية العثمانية، فكانت هذه المناطق من اكثر مناطق الدولة العثمانية ترديا اقتصاديا، ومن اكثرها اهمالا، هذا كله من ناحية، ومن ناحية اخرى فان الحوزة العلمية نفسها كانت تعيش اوضاعا اقتصادية سيئة وبالتالي فلم يكن من اليسير على الحوزة بناء مدارس تقام فيها الدورس فكانت تستخدم هذه الصحون الشاسعة مراكز للتدريس[3]، لتمثل مدرسة الروضة الحيدرية، بما لها من تاريخ عريق ومكانة مقدسة تمثلت بالدرجة الأولى بمجاورتها لمرقد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) أولا، ولاستقرار مقام المرجعية الدينية الشريفة

١- الفرطوسي، صلاح، مرقد وضريح الإمام أمير المؤمنين: ٢٠١-٢٠٢

٢- ابن طاووس، فرحة الغري: ١٥٧.

٣- الحكيم، حوزة النجف الأشرف: ٢٢١.

فيها ثانيا، وللدور الرائد الذي لعبه كبار شخصياتها في المجالات العلمية والسياسية المعاصرة ثالثا؛ أدى إلى تحول هذه المدرسة إلى احد اكبر مراكز تعليم ونشر الثقافة في العالم، وبالتالي فان أصقاع المعمورة جميعا تعقم عن إنجاب بقعة تشابهها شرفا وفضلا وأهمية، ولا بد ان رصيدها الفكري والحضاري والتاريخي الرائد يشكل الوقود الذي لا ينضب في تجديد جذوتها لتبقى مشعة على العالم بنور المعرفة والفكر السديد.

وينقل لنا التاريخ شواهد كثيرة في هذا المضمار تتحدث عن مجاورة العديد من العلماء واصحاب الفضيلة للتذاكر وطلب العلم عند المرقد الطاهر للامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) أحصى بعضها السيد هاشم الميلاني في كتابه مكتبة الروضة الحيدرية[1] فقال:

١. قال النجاشي في رجاله في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: (أبو عبدالله البوشنجي، كان عراقياً مضطرب المذهب، وكان ثقة فيما يرويه، له كتاب عمل السلطان، أجازنا روايته أبو عبدالله بن الخمري الشيخ الصالح في مشهد مولانا أميرالمؤمنين (عليه السلام) سنة أربعمائة).

٢. جاء في سلسلة أسانيد كتاب التازي لمحمّد بن عليّ العلوي الحسني: (أخبرني الشيخ الجليل العفيف أبو العباس أحمد بن الحسين قال: حدّثنا الشيخ الأجل الأمير أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن قال: حدّثنا الشريف النقيب أبو الحسين زيد بن الناصر الحسيني(رحمه الله) في شوال من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة بمشهد مولانا أميرالمؤمنين(عليه السلام)).

٣. ورد في أمالي الشيخ الطوسي(رحمه الله): (حدّثنا الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي(رض) في يوم التروية سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في مشهد مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه).

١- الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية: ٣٠-٣٢.

٤. وما ورد في أسانيد كتاب بشارة المطصفى: (وأخبرني بقراءتي عليه في المحرم سنة ست عشرة وخمسمائة بمشهد مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)).

٥. وورد في أسانيد كتاب سُليم بن قيس الهلالي: (حدّثني الشيخ الأمين العالم أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن طحال المقدادي المجاور، قرأهُ عليه بمشهد مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه سنة عشرين وخمسمائة).

٦. وجاء في كتاب المزار: (أخبرنا الشيخ الفقيه العالم، عماد الدين محمّد ابن أبي القاسم الطبري قرأهُ عليه وأنا أسمع في شهور سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بمشهد مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه).

٧. وورد في سند كتاب صغير: (أخبرنا الشريف الأجل العالم ضياء الدين أبو الفتح محمّد بن محمّد العلوي الحسيني قال: حدّثنا الشيخ العالم أبو المكارم ابن كتيلة العلوي بمشهد مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة).

٨. وقد أجاز الشيخ عليّ بن عبدالعالي، المولى عبد العلي بن أحمد بن سعد الدين بن محمّد الأسترآبادي، وكتبها بالمشهد المقدّس الغروي في سنة تسع وعشرين وتسعمائة.

٩. قال السيّد حسن الصدر: رأيت إجازة المحقق الكركي له ﴿أي لأحمد بن محمّد بن خاتون العاملي﴾ ولولديه تاريخها سنة ١٠٣١ كتبها في المشهد الغروي وغيرهم الكثيرون.

٢ـ المحاور الثقافية لمدرسة الروضة الحيدرية المقدسة:

المتتبع لتاريخ هذه المدرسة يجدها قد ضمت محاور ثقافية ثلاث أسهمت في تشكيل تلك المدرسة الكبرى وساهمت ببناء مكانتها تلك ورفد رصيدها الفكري بما يكفل الازدهار والنشاط، من بينها المدرستان الدينيتان اللتان ضمتهما اروقتها فضلا عن مساجدها وأخيراً مكتبتها.. وسنحاول هنا تفصيل القول في كل واحد منها وعلى النحو التالي:

أولا: المدرستان الدينيتان:

تمثل المدرستان الدينيتان للروضة الحيدرية المطهرة أولى المحاور الثقافية لجامعتها الدينية الكبرى تعرف الاولى بالمدسة الغروية والثانية بمدرسة الصحن الشريف.

وكانت هاتان المدرستان الوريثتين الشرعيتين للمدرسة التي نشأت عند القبر الشريف، تولتا دعم الحركة العلمية في هذا المكان المقدس بعد احتضانهما طلبة العلم واساتذته، أنشأت الاولى على يد الشاه عباس الصفوي الاول والثانية على يد حفيده الشاه صفي يوم أجرى أصلاحات واسعة على عمارة العتبة المقدسة لتشمل المدرسة الغروية وتوسيعها بغرف وأواوين ضمها السور الطابوقي المحيط بالصحن الشريف حتى اصبح من الصعب التفريق بينهما، بل واطلاق البعض اسم واحد لكليهما، والى هذا يذهب الخليلي يوم قال: (مدرسة الصحن الشريف الأولى والمدرسة الغروية يغلب على الظن أنهما اسمان لمدرسة واحدة)[1].

وقد ذكرت المصادر التاريخية اسماء عديدة لهاتين المدرستين كما سيأتي

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢/ ١٣٢.

ذكرها في كتابات بعض من سكن فيها كأسم: (المدرسة الغروية، المدرسةالمرتضوية، المدرسة الرواقية، مدرسة الصحن الشريف، المدرسة الرومية، المدرسة العلوية..) والتي تدل جميعها على المدرسة التي نشات عند المرقد المقدس.

١. المدرسة الغروية:

شهدت هذه المدرسة حركة علمية متميزة يوم اقام فيها كبار العلماء، يصفها حرز الدين بالمتميزة استنادا على ما وجده من كتابات اثناء ترجمته للعديد من العلماء - في كتابه(معارف الرجال)- تحكي تجربتهم في اروقة تلك المدرسة[١].

وفي تأسيس هذه المدرسة حدد الشيخ محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها انها تأسست أوائل القرن الحادي عشر، شيدها الشاه عباس الأوّل مع انشاء الصحن الشريف في الجهة الشمالية منه وبابها في الإيوان الثالث من تلك الجهة قريبا من الجهة الشرقية[٢].

وفي ذات الصدد يقول حرز الدين ان الشاه عباس الصفوي المتوفي سنة ١٠٣٧هـ زار العتبات المقدسة في العراق في أوائل القرن الحادي عشر وأمر بتجديد القبة العلوية المقدسة ووسع الحرم المطهر وجلب من اجل ذلك المهندسين والفعلة ودام العمل ثلاث سنين هدم فيها قسما من رواق عمران بن شاهين والحقه بالصحن الشريف لكي تتم تربيعة العمارة وتحسين هندستها[٣]، ومن بين الأمور التي أضافها في تلك العمارة مدرسة الصحن الشريف (المدرسة الغروية).

ويورد الدكتور عبد الهادي الحكيم في كتابه (حاضرة النجف الاشرف) مايلي: (المدرسة الغروية التي أنشأها السلطان عباس الصفوي المتوفى عام ١٠٣٨

١- حرز الدين، معارف الرجال: ٣٣٤/١.

٢ - محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٢٧/١.

٣- حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف:٢٨٨/٢.

في الزاوية الشرقية من الصحن العلوي الشريف)[1].

وقد كان لهذه المدرسة شأن عظيم في أيام الحكومة التركية بعد إجراء قانون التجنيد الإجباري سنة (١٢٨٦هـ)، حيث عيّنت مدرساً خاصاً لها وانتسب لها الكثير من حملة العلم، إذ سُمح لهم بعد أداء الامتحان بعدم الانخراط في سلك الجندية، فكانت إحدى المدارس الرسمية في النجف، وبقيت المدرسة حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فتهدّمت حجراتها وسُدّ بابها[2].

سكن هذه المدرسة الكثير من العلماء وأهل الفضل وقفنا على بعض منهم استنادا على مادونوه من سطور في بعض الكتب نقلت لنا تجربتهم تلك داخل أروقة هذه المدرسة، ومن هؤلاء:

١- السيّد حيدر الآملي: ورد أسمه في نهاية كتاب استنسخه جاء فيه: (فرغ كاتبها من كتابته يوم الأحد ثالث ذي القعدة سنة ٧٦٢هـ، وهو العبد الفقير المحتاج إلى رحمة ربّه القدير، حيدر بن عليّ بن حيدر العلوي الحسيني الآملي غفر الله ذنوبه، في المدرسة المرتضوية).

٢- يوسف بن عبدالحسين النجفي الشهير بالصلنباوي: ذكره الشيخ جعفر محبوبة: (وقفت على كتاب أُصول الكافي مخطوط، وفي آخره ما نصّه: تمت كتابة أُصول الكافي على يد الفقير إلى الله الغني يوسف بن عبدالحسين النجفي الشهير بالصلنباوي في المدرسة الغروية على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رجب المرجب سنة ١٠٦٩)[3].

٣- فرج الله بن فياض الجزائري النجفي: ذكره الشيخ جعفر محبوبة: (رأيت نسخة من الاستبصار في آخره ما نصه: كتبه فرج الله بن فياض الجزائري النجفي

١- الحكيم، عبد الهادي، حاضرة النجف الاشرف:٩٤.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١ /١٢٧.

٣- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١/١٢٧.

سنة ١٠٤٣ في المدرسة الرواقية بكنف القبة الغروية)[1].

٤- حسن النجفي ابن عبيد بن حسين ابن عليّ: ذكره الشيخ أغا بزرك(رحمه الله) اثناء ترجمته له وقال: (كتب أوان اشتغاله في المدرسة الغروية الاستبصار لشيخ الطائفة بخطه، وفرغ منه ضحوة الأربعاء ١٣ رمضان ١٠٦٩).

٥- الشيخ حسن ﴿محمد حسن﴾ ابن عبدالله بن محمد باقر بن علي أكبر بن رضا المامقاني النجفي (ت١٣٢٣هـ). ذكره السيد محسن الأمين رحمه الله اثناء ترجمته له أنّه لمّا توفّي صاحب الفصول سنة ١٢٥٥هـ خرج من كربلاء ـ وعمره ١٧ سنة ـ إلى النجف، وسكن في الصحن الشريف في الحجرة التي فوق باب مدرسة الصحن، وبقي فيها إلى سنة ١٢٥٨هـ.

٦- المولى محمّد بن فتح بن عبدالله القومشهي: ذكره الشيخ أغا بزرك(رحمه الله) في ترجمته له بقوله: (..العالم الفاضل، الجامع للمعقول والمنقول والرياضيات والعلوم الغريبة، له فيها رسائل، كتب بعضها بقلمه في مدرسة الصحن الغروي فرغ من رسالته فيما يتعلّق بالعلم، السبت ثاني شعبان (١٢٥٢ هـ) ورسالة في أُصول الدين سمّاها كشف الحجاب، فرغ منها في تلك المدرسة في الأحد ثاني شهر رمضان (١٢٥٢ هـ)).

٧- المولى محمّد بن الحسين الخراساني: ذكره الشيخ أغا بزرك(رحمه الله) في ترجمته له بقوله: (هاجر من بلاده لتحصيل العلم إلى أصفهان ثمّ إلى النجف الأشرف في سنة (١٢٦٩ هـ)، وسكن المدرسة الواقعة في الصحن الشريف).

٨- الشيخ زين العابدين بن إسماعيل بن زين العابدين التبريزي المرندي النجفي المولود حدود سنة ١٢٦٦ هـ، ذكره الشيخ محمّد حرز الدين: (هاجر إلى النجف في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، وأقام في مدرسة الصحن الغروي

١- ن . م: ١٢٧/١.

الأقدس، وكان شريكنا في المدرسة يوم أقمنا فيها سنين متطاولة..)[1].

٩- الشيخ محمّد تقي الكلبايكاني النجفي (ت ١٢٩٨ هـ)، ذكره الشيخ محمّد حرز الدين: وقال في ترجمته: (عالم جليل القدر محقق في الحكمة والفلسفة والمعقول والكلام والأُصول وعلم الطب وعلم الكيمياء، وكان لا يملك داراً ولا عقاراً يسكن في حجرة من الصحن الغروي في الطابق الأعلى في الربع الشمالي الغربي ممّا يلي الساباط، فيها مجلس درسه وتقصده في غرفته وجوه أهل العلم والفضل).

مع مرور الزمن وتقادم بناء هذه المدرسة لم يبق من المدرسة(الغروية القديمة) أي اثر فقد تهدمت حجراتها وسُدّ بابها في أوائل القرن الرابع عشر الهجري مما تسبب في طي أمجادها ولم يبق من اخبارها الا النزر اليسير مما تناثر في بطون الكتب عن مدرسة اندرس رسمها ونسي اسمها بعدما كانت الرائد الاول في احتضانها ورعايتها للعلم وطلاب المعرفة.

وليست ظروف الاهمال لوحدها هي التي طالتها، فقد تغير اسمها كما تغير رسمها بسبب اغلاقها سنين طويلة وعدم عائديتها الى جهة معينة فضلا عن قدم بنائها وقلة العناية بها بسبب كثرة المدارس الدينية الحديثة والخدمات التي تقدم فيها لطلابها ما ادى الى اهمالها وعزوف الطلبة عنها والالتحاق فيها، ليتغير الهدف الذي انشئت من أجله بعدما تصدى احد اعيان النجف في ذلك الوقت واعاد بناءها عام (١٣٥٠هـ) كحسينية ودار ضيافة للزائرين فعرفت بحسينية آل زيني او حسينية هاشم زيني، وقد أرخ عمارتها الجديدة الشيخ محمد علي اليعقوبي فقال:

١- حرز الدين، معارف الرجال: ٣٣٤/١.

حُـزْتَ يـا هاشـم زيـني رُتبـة لم يَحُزْها أبداً من قد سلفْ
دارك الخلـد غـداً إذ أرّخـوا (شدْتَ للزوار داراً بالنجفْ)[1]

شيدت هذه الحسينية من طابقين، الطابق الأرضي منهما يتألف من حجرتين كبيرتين مستطيلتي الشكل على شكل قاعة يفصلهما ساحة مكشوفة مربعة الشكل تقريباً، أما الطابق الثاني فيتكون من غرفتين فوق حجرتي الطابق الأول وبالمساحة نفسها كما يتوسط بين الطابقين على ارتفاع منخفض ايوان مستطيل.

واستمرت الحسينية (المدرسة) على هذا الحال الى ان لفها الإهمال مرة أخرى، وبقيت مهجورة يقول عبد المطلب الخرسان في كتابه (مساجد ومعالم):أدركتها وقد استخدمت غرفها الكبيرة مخازن لمواد البناء، والأنقاض، ولا يستفيد منها الزائرون إلا من مغاسلها للوضوء فقط ثم أغلقت هذه الحسينية وبقيت مغلقة لسنوات[2].

بعد سقوط النظام المقبور شرعت إدارة العتبة العلوية المطهرة باعادة بناء هذه المدرسة من جديد بعد ان تم رفع الأنقاض الموجودة وهدم البناية القديمة وجدرانها الآيلة للسقوط والمباشرة بالعمل من خلال تصاميم هندسية غاية في الروعة.

حيث شهد العام ٢٠٠٦م المباشرة بتنفيذ التصاميم المعمارية الجديدة للمدرسة والتي ضمت سردابا كبيرا وطابقين يضم كل واحد منهما صالة كبيرة واحدة لاستقبال الدارسين والزائرين الكرام، على مساحة إجمالية تصل إلى ٥٢٨م٢ وفق تصاميم حديثة ذات روح إسلامية جميلة.

وبتاريخ ٢٠٠٩/١١/٦م المصادف ليوم الغدير الأغر الذي تمت به النعمة

١- حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف: ١/ ١١١ -١١٢.
٢- الخرسان، عبد المطلب، مساجد و معالم: ٣١.

واكتمل فيه الدين بولاية أمير المؤمنين(عليه السلام)، تم افتتاح أبواب المدرسة الغروية في العتبة العلوية المقدسة بإقامة احتفال بهيج حضره شخصيات دينية وجماهيرية للاحتفال بهذا الافتتاح المبارك.

٢. مدرسة الصحن الشريف:

أتخذ المرقد المقدس للامام علي(عليه السلام) كما اوردنا في صفحات سابقة كمكان للدراسة، حيث اتخذه الفقهاء مدرسة لالقاء محاضراتهم في العلوم الدينية وتأليف الكتب الدراسية المختصة بها، وتهذيب رجال أكفّاء تكون لهم القدرة الكافية على تدريس هذه العلوم ونشرها في أوساط المجتمع الإسلامي، وقد استمر الامر حتى انتضمت فيه مدرسة واسعة ضمها التخطيط الجديد لعمارة المرقد الطاهر، لاستيعاب الاعداد المتزايدة من الدارسين الوافدين، انشأها الشاه صفي الصفوي عام ١٠٤٧هـ بعدما أمر بتوسيع العمارة التي اقامها جده الشاه عباس الأول والذي باشر بتشييدها في سنة ١٠٤٠هـ،واجرائه لاصلاحات واسعة فيها منها بناء سور في طابقين فخمين يضمان غرفا كثيرة مزينة بالأواوين في واجهاتها[١].

وزعت غرف هذه المدرسة على السور الطابوقي المحيط بالصحن الشريف بواقع طابقين ارضي وعلوي أمام كل غرفة إيوان يطل على ساحة الصحن الشريف، وخلف كل مجموعة منها ممر يؤدي إلى سلم يرتقي منه إلى هذه الغرف التي بنيت لتكون مسكناً أو مقراً لطلبة العلوم الدينية على غرار المدارس المنتشرة في محلات النجف الاشرف، وهي بمثابة ما يصطلح عليه اليوم بالأقسام الداخلية، بواقع خمس عشرة غرفة في السور الشرقي والشمالي مع إيوان مُزين بالقاشاني يتقدم كل غرفة، اما الضلع الغربي والجنوبي فقد بنى في كل منهما أربع عشرة

١- الحكيم، المفصل: ٤٥.

غرفة، وأمام كل غرفة إيوانا على نفس الطراز من الضلعين الشرقي والشمالي، ثم أقام الطابق الثاني على الطابق الأول بنفس الطراز والنقوش الكاشانية المزينة بالايات القرآنية الكبيرة المكتوبة على طول الجبهة العلوية من السور، حيث كتبت السور المباركة على الترتيب ابتداء من مدخل باب الساعة وانتهاء به من الجانب الآخر مرورا بجدران الحرم: سورة الحجرات، سورة النبأ، سورة المزمل، سورة العصر، سورة القدر، سورة الإنسان، سورة الفجر، سورة الملك.

يقول الشيخ السماوي عن مدرسة الصحن هذه في ارجوزته:

وفي الغـــري لـــذوي العلـــوم	مـــدارس معلومـــة الرســـوم
مـــشيدات في حجـــرات وغـــرف	من أربع الجهات صفاً فوق صف
ومـــن ثـــلاث واثنـــتين وجهـــة	أو حجـــرات افـــردت للـــشرفة
أشـهرها(مدرسـة الـصحن) السني	قـد بنيـت للدارسـين إذ بـني[1]

وبالاضافة الى هذه الغرف أنشئت في مدرسة الصحن الشريف أواوين تطل على باحة الصحن الذي امامها على شكل صفين منتظمين أحدهما في الطابق الأرضي من المدرسة والآخر في الطابق العلوي منها، وغالبية هذه الاواوين متشابهة من ناحية الشكل والحجم، والإيوان مقبب من الأعلى تنحدر من أعلاه أقواس بارزة مزخرفة.

وترتبط غالبية الأواوين بحجرات المدرسة، لذلك نجد أن الإيوان الواحد بشكل عام يحتوي على باب خشبي يعلوه شباك مقوّس مصنوع من الخشب، وهناك بعض الأواوين التي تفضي أبوابها إلى ممرات توصل إلى غرف داخلية أو سلالم توصل إلى الطابق العلوي.

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٥/٢.

وقد وزعت الأواوين على الشكل التالي: في الجهة الشمالية (١٣) إيوانا، وفي الجهة الجنوبية (١٣) إيواناً، وفي الجهة الشرقية (١٣) إيواناً، وفي الجهة الغربية(٨) أواوين، أربعة منها على يمين الصحن الشريف بالنسبة للداخل من باب الساعة، وثلاثة أخرى على يساره، أما أواوين الطابق الثاني ففي الجهة الشمالية ١٣ إيوانا، وفي الجهة الجنوبية ١٣ إيوانا وفي الشرقية ١٤ إيوانا وفي الغربية ٨ أواوين، أربعة منها جهة باب الفرج، وأربعة منها جهة مضيف العتبة.

على ان هذه الاواوين والغرف والحجر كانت قد شهدت حركة تأليف ونسخ عملاقة رفدت مكتبة مدرسة اهل البيت(عليهم السلام) بأمهات الكتب التي حفظت الدين وصانت المذهب.

فقد كان المؤلّفون يقصدون المرقد المقدس للابتداء بالتأليف أو الانتهاء منه، رجاء للثواب ورغبة للقبول والشفاعة، سيما لو كان الكتاب يتحدّث عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) وعن فضائله ومناقبه.

وقد أحصى السيد هاشم الميلاني في كتابه مكتبة الروضة الحيدرية[1] الكثير من امثال هذه الكتب التي تم تأليفها أو نسخها أو قراءتها في الروضة المطهرة، هذا بعض منها:

١ ـ تفسير التبيان: للشيخ الطوسي(رحمه الله) (ت ٤٦٠ هـ)، استنسخه هبة الدين عليّ بن محمّد الموصوف بالمالكي، وقد فرغ منه في العشرة الأخيرة من رجب ٤٧٦هـ في مشهد الغري.

٢ ـ النهاية: للشيخ الطوسي، ذكر ابن الحاجب الحلبي انّه قرأ كتاب النهاية للشيخ الطوسي على أبي عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي سهل الزينوبادي بمشهد أميرالمؤمنين (عليه السلام).

٣ ـ بناء المقالة الفاطمية: للسيّد أحمد بن طاووس (ت ٦٧٣ هـ)، وهو بعد

١- الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية:٣٣ ـ٤٠.

ما ألّف كتابه جاء به إلى النجف ليعرضه على أميرالمؤمنين(عليه السلام)، كما جاء في آخر النسخة.

٤ ـ نهج البلاغة: ذكر محمّد أبو الفضل إبراهيم في مقدّمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، انّه اعتمد في تحقيق نص كتاب نهج البلاغة على نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٤٠ أدب، وهي نسخة خزائنية نفيسة، جاء في آخرها: (تم الكتاب بالحضرة الشريفة المقدّسة النجفية بمشهد مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب أخي رسول الله، وكتبه وذهّبه الحسين بن محمّد الحسني في شهور سنة اثنتين وثمانين وستمائة).

٥ ـ شرح شافية ابن الحاجب: تأليف رضي الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي، جاء في آخر النسخة: (وفق الله لإتمام تصنيفه في ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالحضرة الشريفة المقدّسة الغروية على مشرّفها أفضل التحية والسلام).

٦ ـ الأبحاث في تقويم الأحداث: في رد الزيدية وإثبات إمامة الأئمّة الاثني عشر(عليهم السلام)، واثبات الغيبة وردّ شبهاتها للمولى ركن الدين محمّد بن عليّ الجرجاني الغروي، ألّفه بالغري وفرغ منه بالحضرة العلوية في يوم الجمعة الثالث من جمادى الثانية سنة ٧٢٨.

٧ ـ تحصيل النجاة: في أصول الدين لفخر المحققين ابن العلاّمة الحلّي (ت ٧٧١ هـ) ألّفه باسم تلميذه ناصر الدين حمزة بن حمزة بن محمّد العلوي الحسيني، وفرغ منه في الحضرة الغروية في آخر نهار السبت ٢٤ رجب ٧٣٦.

٨ ـ منية اللبيب في شرح التهذيب: التهذيب للعلاّمة الحلّي والشرح لعبدالله بن محمّد بن عليّ بن الأعرج الحسيني، فرغ من تأليفه ١٥ رجب سنة ٧٤٠هـ بالحضرة الشريفة الغروية.

٩ ـ خلاصة الأقوال: تأليف العلاّمة الحلّي، كتب منه نسخة عليّ بن محمّد بن عليّ الحافظ الطبري في المشهد المقدّس الغروي، وفرغ منها أوائل ذي القعدة سنة

٧٤٧هـ.

١٠ ـ كتاب الألفين: تأليف العلاّمة الحلّي، استنسخه فخر الدين محمّد ابن المؤلّف، وفرغ منه ١٧ ربيع الأوّل سنة ٧٥٤ هـ بالحضرة الشريفة الغروية، عن نسخة أبيه المصنف.

١١ـ مؤلفات المولى ركن الدين: كتب السيّد حيدر الآملي بخطه بعض تصانيف المولى ركن الدين محمّد بن عليّ بن محمّد الجرجاني الذي فرغ من تصنيفه ٧٢٠هـ، وفرغ السيّد حيدر الآملي من استنساخها ٧٦٢ في الغري في المدرسة المرتضوية.

١٢ ـ التصريح في شرح التلويح إلى أسرار التنقيح: تأليف ابن العتائقي الحلّي، ذكر انّه فرغ منه في المشهد الغروي سرار شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

١٣ ـ معالم الدين في فقه آل ياسين: تأليف شمس الدين محمّد بن شجاع القطان الأنصاري الحلّي، نسخة منه بخط أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن عليّ بن متوج، كتبها عن خط المؤلّف في حياته وفرغ منه ١٠ شعبان ٨٣٢هـ في الحضرة الغروية.

١٤ ـ المجلي مرآة المنجي: وهو شرح مسالك الأفهام في علم الكلام لمحمّد بن عليّ بن أبي جمهور الاحسائي، شرح فيه رسالته المسالك، وذكر حاشيتها النور المنجي، وفرغ من تسويده في أواخر شهر جمادى الاخرى سنة خمس وتسعين وثمانمائة بالمشهد العلوي الغروي.

١٥ ـ حاشية الكركي على القواعد: قال الشيخ أغا بزرك (رحمه الله) في ترجمة محمّد الأسترآبادي تلميذ المحقق الكركي: وقد كتبه بخطه مجدداً من حاشية الكركي على القواعد للحلّي في الحرم المقدّس المرتضوي، وفرغ منه أواسط شوال ٩٣٠هـ، وقد كتبها عن نسخة خط المصنف نسخة الأصل.

١٦ ـ الاثنا عشرية: في فضائل أميرالمؤمنين(عليه السلام) للسيّد فضل الله بن محمّد الحسيني، ألّفه باسم الملك نظام الدين وقال في آخره: (وقد رسم أحقر عباد الله الغني فضل الله بن محمّد الحسيني، هذه الأحاديث العظام في أواسط شهر

رجب الحرام بمشهد مولانا عليّ(عليه السلام) لسنة خمس وأربعين وتسعمائة).

١٧ـ جامع الفوائد ودافع المعاند: للشيخ علم بن سيف بن منصور النجفي الحلي، جاء في آخر النسخة: «فرغ من تنميقه منتخبه العبد الفقير إلى الله الغفور علم بن سيف بن منصور غفر الله له ولوالديه بالمشهد الشريف الغروي في ٩٣٧ سبع وثلاثين وتسعمائة).

١٨ ـ منية اللبيب: تأليف السيّد ضياء الدين عبدالله بن الأعرج، استنسخه الشيخ أحمد بن عليّ بن الحسن الدقيق العاملي، وأتمّه بالنجف الأشرف في الحضرة المقدسة في يوم الجمعة آخر شهر شعبان سنة ٩٧٠هـ.

١٩ ـ فرحة الغري: للسيّد عبدالكريم بن طاووس، ورد في نهايته: (نجز الكتاب بعون الملك الوهاب يوم الرابع عشر من شهر صفر ختم بالخير والظفر سنة سبع وأربعين وتسعمائة هجرية، وذلك في المشهد الشريف المقدس الغري على مشرّفه أفضل الصلوات وأكمل التحيات آمين، والحمد لله ربّ العالمين).

٢٠ ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق: قال الشيخ أغا بزرك (رحمه الله)في ترجمة محمود الساوجي: انّه كتب في آخر ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، انّه حين كان في الروضة الغروية في النجف قابله وصحّحه في نهار الاثنين من رمضان ٩٧٤ هـ، وكذا كتب بخطه نقايص عقاب الأعمال في التاريخ.

٢١ ـ الرسالة الرضاعية: للشيخ أبي الحسن بن محمّد طاهر بن عبدالحميد بن موسى الفتوني النباطي الأصفهاني (ت ١١٣٨ هـ) ذكر فيها انّه ألّفها بعد استخارات عديدة عند رأس الأمير(عليه السلام، وفرغ منها في مشهد الغري أواخر محرم ١١٠٩هـ.

٢٢ ـ اليقين: للسيّد ابن طاووس، استنسخه المحدّث النوري لنفسه، جاء في الصفحة الأولى من الكتاب: (وأنا المذنب المسيئ حسين بن محمّد تقي ابن عليّ محمّد بن تقي النوري الطبرسي في مشهد مولانا أميرالمؤمنين(عليه السلام) سنة ١٢٨١ قمري).

الا ان تلك المدرسة لم تسلم أيضا من الاعتداءات التي حاولت النيل من المرقد المقدس والمدرسة الفقهية الكبرى(الحوزة العلمية) التي كانت تستمد عزمها منه، أبتدأت على يد الوهابية من خلال محاولات، فقد ذكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أن الوهابيين ارجفوا النجف خمس أو ست دفعات[1]، في حين وجد الدكتور حسن الحكيم أن الوهابية أغاروا ثلاث عشرة مرة على النجف الاشرف، وكان لسور النجف ومناعة أبراجه وشجاعة أهلها الدور الأكبر في منع اقتحامها في مرات عديدة[2].

وفي فترة قريبة مورست شتى اعمال المطاردة والتضييق من قبل الانظمة الاستبداية على طلبة العلوم الدينة حيث أخليت هذه الغرف من طلبتها بعد انتفاضة صفر الموافق لعام ١٩٧٧م، ضمن خطتها لتصفية الحوزات العملية في النجف الاشرف ومدينتي كربلاء والكاظمية المقدستين، ومن ذلك التاريخ بقيت غرف هذه المدرسة فارغة[3].

١- كاشف الغطاء، العبقات العنبرية: ١١٢.

٢- الحكيم، المفصل: ٣٩٨/١.

٣ - الخرسان، مساجد ومعالم:٤١.

ثانيا: مكتبة الروضة الحيدرية:

رافقت الحركة العلمية التي نشطت داخل أروقة العتبة العلوية المقدسة وجود مكتبة كبيرة حفظت النتاج الفكري البشري بمختلف فنونه وعلومه ووفرت لطلبة العلوم الدينية ما يحتاجونه من كتب ضمت مختلف العناوين في علوم القرآن والحديث فضلا عن الفقه والاصول.

أطلق على هذه المكتبة اسم الخزانة الغروية أو الخزانة العلوية، خزانة الصحن، خزانة أمير المؤمنين(عليه السلام)، مكتبة الصحن العلوي، المخزن العلوي، المكتبة العلوية، المكتبة الحيدرية، وأخيراً مكتبة الروضة الحيدرية، ولكن أقدم هذه الأسماء وأكثرها شيوعاً وتداولاً هو الخزانة الغروية[1].

أسست هذه المكتبة على مايراه بعض المتأخرين أثناء تأسيس عضد الدولة البويهي لعمارته للمرقد الشريف للامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في القرن الرابع الهجري، وكانت من بين المنشآت التي اقامها هناك[2]، الا ان هذا الرأي لم يستند الى نص متقدم يشير الى هذا، انما جاء استنادا لماعرف عن عضد الدولة من حب للعلم والعلماء اوردها المؤرخون عنه في كتبهم، فضلا عن امتلاكه لخزانة كتب كبيرة في شيراز وصفها معاصره البشاري المقدسي بقوله: (وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنّف إلى وقته من أنواع العلوم كلّها إلّا وحصّله فيها، وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق، عليها أبواب تنحدر من فوق، والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها

١- الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية:٦٤.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢٢٤/٧.

أسامي الكتب، لا يدخلها إلّا وجيه)[1].

ومما تقدم يمكن الجزم ان مدينة النجف الاشرف هي الوريث الشرعي للمدرسة التي نشأت في الكوفة على يد الامام الصادق عليه السلام، وكما نعلم ان المكتبات ارتبطت أرتباطا مباشرا بالمدارس الدينية والعلماء والمتعلمين، فقد نقل الاستاذ الطريحي[2] في كتابه العتبات المقدسة في الكوفة، عن وجود خزانات عامة للكتب كانت ملحقة بالمدارس والمساجد والربط والمراستانات وكانت تعير الكتب للطلاب واصبح لهذه الخزانات نظم تسيّر عملية الإدارة والإعارة والاستنساخ، اسهمت اسهاما كبيرا في تطوير الحركة الفكرية فيها ورفد نهضتها بالعقليات الفذة من رجال العلم والدين الذين كان لهم اعمق الأثر في التاريخ العربي والإسلامي.

ويورد الطريحي مجموعة من الخزانات الكوفية العامرة بالكتب أولها خزانة المشهد الطاهر، وخزانة ابي بكر ابن الأنباري المتوفى ٣٢٨هـ، وخزانة داود بن نصير الطائي المتوفى ١٦٠هـ، خزانة محمد بن عبيد الله الفزاري المتوفى ١٥٥هـ، وخزانة علي بن مسهر القرشي المتوفى ١٨٩هـ، وخزانة سفيان الثوري المتوفى ١٦١ هـ، وخزانة عطاء بن مسلم الخفاف ـ القرن الثاني للهجرة ـ، وخزانة ابي كريب الهمداني المتوفى ٢٤٣هـ، خزانة ابن عقد المتوفى ٣٣٢هـ، خزانة قطب الدين الاقساسي الحسيني المتوفى ٦٤٥هـ، خزانة الكوفي المتوفى ٣٤٨هـ.

كما ذكر الكثير من الخزانات التي انشأها اعلام الكوفة في مختلف العلوم وشتى الفنون والآداب وواكبت بعض هؤلاء الأعلام ظروف خاصة من ابرزها رغبتهم في الاستزادة من المعارف والعلوم والاطلاع على الكتب النادرة او الاتصال باساتذة اكفاء ليرضوا بذلك طموحهم ومن أجل ذلك كانوا يتنقلون في

---

١ - الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية: ٦٥.

٢ - الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة: ١٧١ ـ ١٨٧.

الأمصار والحواضر الإسلامية وبديهي ان لأغلب هؤلاء كانت خزانة كتب حافلة بالأسفار القيمة، بل لو لم تكن لديهم سوى مصنفاتهم لكونت خزانات كتب قيمة، ولما كنت قد دونت اخبار خزانات الكتب المتواتر على وجودها بالكوفة اضفت لها خزانتي الكندي الفيلسوف وثعلب النحوي وهما ممن انجبتهم الكوفة وانتقلوا بعد حين الى بغداد فأقاموا بها بقية حياتهم وقد اثرت ذكرها توخيا للفائدة، منها خزانة ثعلب توفي ٢٩١هـ، خزانة الكندي توفي حدود ٢٦٠هـ.

من كل الذي سبق يمكن القول ان مكتبة الروضة الحيدرية هي الوريث الشرعي لكل تلك الكتب خصوصا بعد انحسار الدور الثقافي لمدرسة الكوفة وبزوغ فجر جامعة النجف الدينية وانشاء تلك الخزانة فيها وأحتوائها على امهات الكتب التي حملت توقيع مؤلفيها، الا انه يمكن القول ان أغلب هذه الكتب قد أحترقت في الحريق الذي شب في العتبة العلوية المقدسة سنة ٧٥٥ واتى على الكثير من الكتب الموجودة هناك من بينها مصحف في ثلاثة مجلدات بخط أميرالمؤمنين(عليه السلام)[1]، حيث قام السيّد صدر الدين بن شرف الدين بن محمود بن الحسن بن خليفة الكفي المعروف بالآوي مستعيناً بفخر المحققين أبي طالب محمّد بن الحسن الحلي باعادة تأسيس هذه المكتبة وسميت بالخزانة العلوية وذلك سنة(٧٦٠ هـ)[2].

تقع مكتبة الروضة الحيدرية اليوم في جنب مسجد عمران بن شاهين من جهة باب الطوسي في طابقين، يحتوي الطابق الأول من المكتبة على قاعة ضخمة لمطالعة الرجال، وهي في نفس الوقت تحتوي على رفوف كثيرة لحفظ الكتب الجاهزة للمطالعة ضمن أرشيف منظم ودقيق، وقد خصص جانب من هذه القاعة أيضا لخدمة استنساخ صفحات المصادر حسب طلب روّاد المكتبة ضمن

١- ابن عنبة، عمدة الطالب: ٢٢.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٧/ ٢٢٦.

ضوابط محددة ومدروسة.

والى جانب هذه القاعة تقع غرفة الفهرسة المخصصة لفهرسة الكتب على نوعيه العام والموضوعي، ويلحق بهذه الغرفة المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين(عليه السلام) التي تضم كتبا مفهرسة وفق نظام عالمي معقد، كما يشمل الطابق الأول غرفتي إدارة المكتبة والمشرف عليها.

أما الطابق الثاني فيتكون من قاعتين أحداهما تشكل المكتبة الصوتية التي تضم أرشيفا كبيرا من الأقراص الليزرية تشمل محاضرات ودروس حوزوية ومناظرات وبرامج حاسوبية وغيرها -بالإضافة إلى الرسائل الجامعية التي بلغ عددها في نهاية سنة ١٤٢٩هـ حوالي(٨٠٠٠) رسالة والعدد في تزايد مستمر- كما أن هذه القاعة تضم إدارة موقع شبكة المعلومات(الانترنيت) الخاص بالمكتبة وغرفة تنضيد الكتب التي تصدر عن مكتبة الروضة الحيدرية، أما القاعة الملاصقة لها فقد خصصت لمطالعة النساء وهي على غرار نظام القاعة المخصصة للرجال، كما يضم الطابق الثاني للمكتبة غرفة خاصة يتم فيها تجليد الكتب وإدامتها.

وليس هذا المكان موقعها الاصلي اذ لم يتم تحديد مكانها بالضبط بسبب توالي عمليات البناء والتطوير الذي رافق العتبة المقدسة على فترات مختلفة من التاريخ.

وقد وردت اشارات في هذا المضمار صرحت بمكانها القديم منها ما ذكره بعض العلماء والباحثين ممن كتب عن النجف والعتبة العلوية المقدسة على انها تقع على يمين الداخل من باب القبلة وبالقرب من مقبرة المحدث النوري(قدس سره)، وفي ذلك يقول العلاّمة أغا بزرك الطهراني في ترجمته للنوري: (ودفن بوصية منه بين العترة[1] والكتاب يعني في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى

١- أعتقد ان كلمة عترة قد شابها تصحيف، فلا معنى لكلمة عترة هنا واعتقد ان الطهراني كان يريد عتبة، وهي كلمة أقرب للواقع، ليكون المراد من العبارة بين العتبة والكتاب، اي بين باب القبلة والمكتبة.

الصحن الشريف من باب القبلة)[1]، كما نقل آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي(رحمه الله) في الاجازة الكبيرة، انّ المحدّث النوري دفن قرب مخزن مكتبة الإمام عليّ(عليه السلام))[2].

والمتتبع لتاريخ هذه المكتبة يرى ان المكتبة تكاملت شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت ذروتها، بعدما حضيت باهتمام العلماء والامراء وعملوا على تطويرها منذ تأسيسها وإلى يومنا هذا، (حيث قام الكثير من العلماء بإهداء كتبهم- التي أغلبها بخطوطهم- إلى هذه المكتبة المباركة، وكذلك قام بعض الأمراء بشراء كميات كبيرة من الكتب ووقفها عليها)[3].

كما ساهم وجود الحوزة العلمية في النجف الاشرف وأستقطابها للعديد من الطلبة الوافدين من شرق الدنيا وغربها الى رفدها بأمهات الكتب المخطوطة ولمختلف العلوم وبهذا يقول الشيخ الشرقي: (انّ الجاليات والرواد الهابطين على المدرسة النجفية من بلاد ايران والهند وآذربيجان وما وراء النهر والقوقاز وعاملة والخليج وبعض نواحي اليمن، كانوا يفدون على النجف بثرواتهم المادية والأدبية، وأهمها أُمهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والتاريخ والمسالك والممالك، وقد كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الأغلب المدرسة العلوية الكبرى ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة، وكانت في المدرسة العلوية خزانة كتب نفيسة تجمعت ممّا يحمله المهاجرون، وكانوا بعدما يتزودون بزاد العلم ويعتزمون العودة إلى أوطانهم يتركون ما حملوه من نفائس الكتب، وما ألّفوه من رسائل واطروحات في خزانة المدرسة العلوية محبسة على طلابها)[4].

١- النوري، مستدرك الوسائل، ١: ٤٧.

٢- المرعشي النجفي، الاجازة الكبيرة: ٤١١ .

٣- الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية،:٨٥-٩٠.

٤- الشرقي، علي، الأحلام: ٥٨، الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة: ٢٢٦/٧ .

ساهمت هذه المكتبة بدور ثقافي متميز لما كان لها من شهرة فضلا عما تحتويه من كتب، فقد وردت أشارات كثيرة تدل على ذلك جاءت على لسان الكثير من العلماء وأهل الفضل ممن زارها واستفاد من كتبها كما صرح بذلك السيّد ابن طاووس واصفا أحد كتبها وهو(الطرائف) قائلا: (وفي خزانة مشهد عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) بالغري من هذا الكتاب نسخة موقوفة، من أراد الوقوف عليها فليطلبها من خزانته المعروفة)[1]، حيث تدل عبارته(المعروفة) انها كانت تمتلك من الشهرة بحيث تقصد من اقصى النقاط للنهل من معينها.

كما وصفها ايضا الشيخ محمّد عليّ حزين اللاهيجي (ت١١٨٠هـ) عندما جاء إلى النجف، ومكث فيها ما يقارب ثلاث سنوات حيث قال واصفا نفاسة كتبها وكثرتها: (قد اجتمع في مكتبته ﴿(عليه السلام)﴾ من كتب الأوائل والأواخر في كلّ فن ما لا أتمكن من عدّه)[2].

وبهذا الصدد يقول عبد اللطيف الشوشتري(ت١٢٢٠هـ) أيضا، عندما زارها بقوله: (انّ فيها من نفائس العلوم المختلفة التي لم توجد في خزائن السلاطين)[3].

وقد أورد السيد هاشم الميلاني في كتابه (مكتبة الروضة الحيدرية) الكثير من الاعلام ممن زاروا واستفادو من كتب هذه الخزانة[4] منهم:

١. يحيى بن عليان الخازن كما ورد في فرحة الغري، انّه رأى على ظهر كتاب في مشهد الغري بخطّ الشيخ أبي عبدالله بن محمّد بن السري المعروف بابن البرسي، زيارة عضد الدولة للمشهدين الغروي والحائري.

٢. السيّد ابن طاووس(ت ٦٦٤ هـ) حيث روى في كتابه الطرائف وسعد

١- الامين، أعيان الشيعة: ٥/ ٤٢٢.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١/ ١٥٠.

٣- تحفة العالم: ١٩١.

٤- مكتبة الروضة الحيدرية، الميلاني:٧٧-٨٠

السعود والإقبال بعض الروايات نقلاً عن كتب كانت موجودة في الخزانة.

٣. الشيخ خضر الرازي الحبلرودي مؤلّف كتاب التوضيح الأنور، حيث كان ملازماً للخزانة يستفيد منها في تحقيقاته وتأليفاته، قال(رحمه الله) في مقدّمة كتابه المذكور: (أمّا بعد فيقول العبد الفقير إلى الله الغني المتمسّك بالكتاب المبين والعترة الطاهرين بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله)، خضر بن محمّد بن عليّ الرازي الحبلرودي الملازم لخزانة المشهد الشريف الغروي).

٤. الشيخ إبراهيم الكفعمي، قال صاحب رياض العلماء في ترجمته: (وسماعي انّه ورد المشهد الغروي، وأقام به وطالع في كتب خزانة الحضرة الغروية، ومن تلك الكتب ألّف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم.

٥. الشيخ حسن الثاني صاحب المعالم (ت١١٠١هـ)، نقل عنه الميرزا عبدالله الأفندي في رياض العلماء انّه رأى المجلد الأوّل من كتاب (الأنوار الإلهية في الحكمة الشرعية) في الخزانة الغروية، ووصفه وصفاً دقيقاً.

٦. العلاّمة الشيخ المجلسي (ت١١١١هـ)، كان يتردّد أيضاً على الخزانة، قال في مقدّمة البحار عند وصفه للنسخ المعتمدة في تأليف كتابه: (وكتاب دلائل الإمامة من الكتب المعتبرة المشهورة، أخذ منه جلّ من تأخّر عنه كالسيّد ابن طاووس وغيره، ووجدنا منه نسخة قديمة مصحّحة في خزانة كتب مولانا أميرالمؤمنين(عليه السلام).

٧. الميرزا عبدالله الأفندي صاحب رياض العلماء، وقد وصف كتاب الرجال للشيخ عناية الله القهبائي، وذكر انّه رآه في خزانة كتب حضرة مشهد أميرالمؤمنين(عليه السلام)).

٨. الشيخ محمّد بن يونس الشويهي استعار كتاب (شرح تهذيب الوصول) من الخزانة، وكتب ذلك بخطّه على ظهر الكتاب، ممّا يدلّل على تردّده واستفادته من الخزانة.

٩. الشيخ عباس القمي(رحمه الله)، حيث رأى نسخة من (الشيرازيات)

وقال: (رأيتها في مشهد مولانا أميرالمؤمنين).

١٠. المحدّث النوري(رحمه الله)، كان يتردّد على الخزانة واستنسخ من كتبها كتاب تفسير (مرآة الأنوار).

ويظهر مما سبق ان المكتبة كانت تظم نفائس الكتب التي بلغت اعدادها الالوف، اذ ينقل الشيخ عليّ الشرقي(رحمه الله) أعدادها تلك بالقول: (وقد ذكر الواعون من النجفيين انّه كان على رفوف المكتبة العلوية عشرات الألوف من الكتب ممّا فيها من نسخ القرآن الأثرية وكتب الأدعية والأوراد)[١].

ولاهمية هذه المكتبة وكثرة كتبها نظمت منذ امد بعيد عملية استعارة كتبها ومن ثم أرجاعها، وفي ذلك يذكر الشيخ جعفر محبوبه: (وكان في أوائل القرن العاشر والحادي عشر رجال العلم يترددون إلى هذا المخزن للمطالعة والاستنساخ، فرأيت بعض الكتب المستعارة من هذا المخزن وعليها اسم المستعير والمعير، ويظهر من بعضها انّ هناك غرفتين احداهما صغيرة والأخرى كبيرة فيهما الكتب وعليها قيّم معلوم وفي يده اعارتها واصلاحها)[٢].

كما وضع الواقف شروطا معينة حفاظا على كتب الخزانة وحدد طريقة الاستعارة من الخزانة والاستفادة من كتبها كانت سائدة آنذاك، كما ورد على ظهر نسخة شرح مقصورة ابن دريد: (هذا ما وقفه السيّد المعظم صدر الدين بن محمّد بن السيّد شرف الدين محمود بن الحسن بن خليفة الآوي، وهو وقف عن عمّه السيّد السعيد أحمد بن الحسن بن عليّ بن خليفة بموجب وصية صدرت عنه على الحضرة الشريفة الغروية وأن لا يخرج منها إلّا برهن يحفظ القيمة، وكتب في رجب سنة ٧٧٥)[٣].

شاءت الاقدار أنْ تمر المكتبة بفترات من الاهمال بسبب الظروف السياسية

١- الشرقي، الأحلام: ٥٨ ـ ٥٩.

٢- ن.م: ١/ ١٥١.

٣- الامين، أعيان الشيعة: ٥/ ٤٢٢.

تارة والاجتماعية تارة اخرى الى ان آل مصيرها الى النسيان والتلاشي شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها إلّا القليل، بعد ان كانت عامرة بالكتب ونفائس المخطوطات في مختلف العلوم حتى القرن الثالث عشر الهجري.

إلى أن أُعيد تأسيسها من جديد في الـ ٢٠ من جمادى الآخرة عام ١٤٢٦هـ على يد المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف، وتبنيها لمشروع أحياء المكتبات في المراقد المقدسة في العراق، لتكون مشروعاً دينياً علميا يغمر نوره رواد العلم والفضيلة[1].

ومن الجدير بالذكر أن رصيد مكتبة الروضة الحيدرية من الكتب -مضافا إلى ما تضمه من نفائس الكتب مسبقا- يعتمد على شرائها من المعارض المقامة في مختلف دول العالم، وقد بلغ عدد المتاح منها في قاعة المطالعة قرابة ٧٠ الف كتاب.

هذا مضافا الى المكتبات الخاصة التي تهدى إلى المكتبة، والتي يصل عددها ستة عشر مكتبة لحد الآن، من أهمها مكتبة الشيخ الدكتور أحمد الوائلي ومكتبة الشهيد عز الدين بحر العلوم ومكتبة الشهيد مهدي العطار وغيرها.

١- الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية: ٩٠.

المبحث الثالث
مساجد الروضة الحيدرية المقدسة

مثل مرقد الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) تلك المكانة الخاصة التي جمعت بين كونه مرقدا مقدسا ومسجدا و مدرسة حمل بين ثناياه ارتباطا عقائديا ومكانيا وروحيا وثيقا بين صاحب القبر ومحبيه، علاقة اسس لها رسول الله(صلى الله عليه وآله).. يوم قال محدثا أخاه ووصيه الإمام علي(عليه السلام): (يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون من زيارتها تقربا منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فابشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[1].

ليتجاوز المكان المقدس بكل ذلك قيمة الاحجار التي عليه ويؤسس لمفهوم معاكس عن الموت فما بعد الموت حياة اخرى والموتى لاتنقطع علاقتهم مع الاحياء بمجرد الوفاة.

والمتأمل لعبارات الاستئذان الوارة في آداب الزيارة للقبر الشريف للامام علي (عليه السلام)، يجد ذلك جليا، كيف ان الزائر يخاطب صاحب المرقد كأنه يراه ويسمعه، حيث يقف على باب القبة ويقول: (أشهد ان لا إله ألا الله وحده

١- العاملي، وسائل الشيعة: ٣٨٣/١٤.

لا شريك له وأشهد ان محمد عبده ورسوله...حتى يقول أأدخل يامولاي، أأدخل ياأمير المؤمنين ... الى نهاية الاستئذان)[1].

لذا كان تذاكر القرآن والتفسير والحديث الشريف وعلوم أهل البيت(عليهم السلام)..عند القبر المقدس يجمع شعبتين مهمتين الاولى الالتقاء عند قبر الاستاذ الاول ومؤسس مدرسة أهل البيت الكبرى يستمدون منه العزم، والثانية استجابة لما ورد من استحباب التذاكر وطلب العلم في المساجد فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من غدا إلى مسجد لا يريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه فله أجر حاج تام الحجة)[2].

من هنا لاغرابة اذا ما عرفنا ان عمارة المرقد المقدس ضمت مساجد عديدة كمسجد عمران بن شاهين، مسجد الخضراء، مسجد الرأس اضافة الى عمارته ككل كونها مسجدا كبيرا، تأكيد لهذا المضمون وزيادة في أهمية المسجد وما له من خصوصية.

وسنحاول هنا ان نفصل الحديث في كل واحد من هذه المساجد وذكر ما وقع بأيدينا من معلومات عن حركة الدرس وطلب العلم في هذه المساجد.

١ـ مسجد عمران بن شاهين:

ما يطلق عليه اليوم مسجد عمران هو الجزء المتبقي من الرواق الذي بناه عمران بن شاهين، الواقع شمال عمارة المشهد العلوي المقدس، ملاصقا لجدار الصحن الشريف من الداخل وجداره من الخارج، وبابه في مدخل باب الشيخ الطوسي(قدس سره) على يمين الداخل منه إلى الصحن الشريف، وله باب

١- المجلسي، بحار الانوار:٢٨٤/٩٧.

٢- الشهيد الثاني، منية المريد: ٣٥١.

أخرى تقع قبال إيوان العلماء في الإيوان الكبير، وقد أندرست هذه الباب وازيل عنها شعار المسجدية واصبحت مقبرة للامام السيد محمد كاظم اليزدي[1]، وفصل بينها وبين المسجد من الداخل بشباك.

وبالإضافة إلى قدسية هذا المعلم ـ الذي يعتبر أقدم مسجد في النجف الأشرف ـ باعتباره مسجدا، يقع ضمن عمارة الروضة الحيدرية المقدسة، فهو مكان تراثي باعتبار قدم بنائه.. اذ يعود تاريخ تشييده الى الف سنة مضت.

والمتأمل للمسجد اليوم يتيقن بما لا يقبل الشك ان مراحل كثيرة من الإعمار والتطوير شملت هذا المعلم الشريف فأزيل منه ما أزيل وأضيف له ما أضيف حتى أصبح بالشكل الذي هو عليه اليوم.

شيد هذا المسجد(الرواق) في القرن الرابع الهجري وقد شمل هذا المكان وعلى مدى سنوات طويلة ومراحل مختلفة من التاريخ أصلاحات واسعة كان من بينها أعادة بنائه من قبل المغول أثناء احتلالهم العراق عام ٦٥٦هـ، حيث قام عطا ملك جويني باعادة بنائه[2]، فضلا عن الاصلاحات التي ادخلها عليه الشاه عباس الصفوي الاول اثناء عمارته للصحن الشريف والروضة المطهرة وهدمه قسما كبيرا منه واداخله في الصحن الشريف وتوسيعه من الجهة الشمالية[3]، فضلا عن تغيير آخر في مساحته وشكله يوم أخذ منه جزء آخر في عام ١٣٦٩هـ لتوسيع مدخل باب الشيخ الطوسي[4].

وقد ادت هذه الاصلاحات الى تغيير الكثير من معالمه، بل وغيّر حتى الهدف الذي أنشئ من اجله في كونه رواقا، ليتحول الى مسجد مستفيدين من سعته لاقامة الصلاة والقاء الدروس، وحتى وقت قريب كان المرجع الديني آية الله

١- الجواهري، آثار الشيعة الامامية: ١٢٨/٣.

٢- النقدي، الغزوات والفضائل:٢٠٤.

٣- حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف:٣٩٤/١.

٤- الخرسان، مساجد ومعالم: ٢٠

العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره) يقيم الجماعة فيه لصلاة المغرب والعشاء في فصل الشتاء[1].

كما يقيم اليوم سماحة السيد محمد صادق الخرسان الجماعة ويلقي دروسه فيه بعد اعماره واعادة افتتاحه.

ويرى محبوبة ان هذا الرواق تحول الى مسجد ورتبت عليه آثار المسجدية بعد ان تم فصله عن الحرم العلوي الشريف وادخل بالصحن الشريف الذي شيده عباس الصفوي[2]، وأستنادا لفحصها جدران المسجد تحدد سعاد ماهر العصر الصفوي كأقل تقدير لتحول الرواق الى مسجد لِما وجدته ان بناء المسجد هو من نفس وقت بناء الايوانات والجدران الجانبية التي أنشئت في القرن العاشر الهجري[3].

أهمل هذا المعلم الاثري بما يمتلكه من أرث تاريخي كبير ولم تصل اليه يد الترميم والصيانة لعقود طويلة، حيث استخدم كمخزن مهمل ومتروك وغير نظامي في فترة السنين العجاف التي حكم فيها النظام البعثي المقبور متناسين العمر الطويل لهذا المرفق المهم.

تبلغ مساحة المسجد اليوم قرابة ٣٠٠م٢ وقد باشر العاملون في العتبة بترميمه وتأهيله بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٢٧م، حيث بوشر بمهمة تدعيم أسس المسجد ما دعا إلى إسنادها برباطات كونكريتية موضوعة في أبعاد متساوية وإقامة جدران ساندة لها، كما شملت أعمال الصيانة هذه ترميم وتدعيم الأقواس الإسلامية التي تزين السقوف، وإعادة بناء بعض السقوف المتصدعة على ضوء شكلها التراثي الأصلي.

ويوما بعد يوم تواصلت الاعمال في اعمار المسجد حتى وصلت إلى مراحل

١- ن. م: ١٩.

٢- محبوبة، ما ضي النجف وحاضرها: ١٠٣/١.

٣- سعاد ماهر، مشهد الامام علي: ١٥١.

متقدمة من العمل، وافتتح المسجد امام المصلين وطلبة العلوم الدينية فضلا عن الزائرين الكرام بتاريخ ٢٠١٠/٨/٢٦م، بعد ان استغرق العمل في الجامع قرابة الثلاث سنوات، مع الاخذ بنظر الاعتبار في اعماره وتأهيله عمره التاريخي وقيمته المعنوية في كونه يمثل احدى العمارات المسجلة على مرقد الإمام علي ليكون مساحة مضافة لأماكن الدرس والزيارة والعبادة لاستيعاب اعداد الطلبة الراغبين بإقامة حلقات درسهم جوار المرقد الشريف اضافة الى اعداد الزائرين المتزايد لتجديد ولائهم لصاحب المرقد الطاهر (عليه السلام).

٢ـ مسجد الرأس:

يقع مسجد الرأس قبل ازالته والحاقه بمشروع توسعة الحرم(رواق ابي طالب)، غربي العتبة العلوية المقدسة، وبابه من الصحن الشريف في الإيوان الكبير الواقع تحت(الساباط) مقابل الرواق من جهة رأس الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، كما كان له باب آخر مطل على دورة الصحن قرب باب الفرج.

كان مسجد الرأس مسجدا واسعا ويكاد يكون من اكبر المساجد الموجودة بالسور الخارجي للمشهد ويطل على الصحن، وهو يقابل رواق الرأس الشريف، والمسجد مستطيل الشكل، يتوسطه صحن كبير واسع، ضخم الدعائم، كثير الأسطوانات، متقن البناء، كما يوجد على جانبي الصحن من الجهتين الشمالية والجنوبية إيوانان بهما كثير من الأعمدة المصنوعة من المرمر[1].

يرجع بعض المؤرخين تأسيس هذا المسجد الى الشاه عباس الاول، شيده مع بناء الحرم الحيدري الشريف[2]، الا ان تاريخ تشييده يبدوا أقدم من ذلك، اذ

١- سعاد ماهر ، مشهد الإمام علي: ١٣٤.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/١٣١.

يحتمل الباحثون انه يعود الى عصر الاليخانيين(المغول) اللذين كانوا يحكمون العراق وانه شيد في النصف الثاني واوائل القرن الثامن الهجري وفي الفترة التي اقيمت بها العمارة الجديدة على المرقد الشريف بعد احتراقه، استنادا لبعض الشواهد التاريخية الموجودة في مقتنيات العتبة المقدسة والتي تعود الى عصر الاليخانيين، منها القاشاني ذي البريق المعدني(حجر الحديد الصيني) الذي عثر عليه في محراب المسجد، والذي تقول سعاد ماهر فيه انه ظهر وانتشر على نطاق واسع في جميع ارجاء العالم الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثاني عشر الهجري[1].

وينقل الشيخ محمد حرز الدين عن الميرزا هادي الخراساني في ذلك ما اورده اثناء ترجمته له ووصفه بانه كان متتبعا للتاريخ والاثار بالقول: (ان هذا المسجد عرف بمسجد الرأس بناه غازان بن هولاكو خان(المتوفي سنة ٧٠٣هـ)، أقام لبنائه سنة كاملة، ضاربا خيامه بين النجف ومسجد الحنانة في الثوية حتى أكمله)[2].

ومن جانب آخر تذهب سعاد ماهر الى ابعد من ذلك وتؤكد ان الحجارة التي بني بها المسجد والتي كشفت من جدرانه كانت تدل دلالة واضحة انها بنيت من نفس نوع والحجم الذي بني به جدران المشهد الخارجية كما ان الاجزاء الملاصقة لسور المشهد تدل دلالة واضحة على انها بنيت مع الحرم العلوي، وعلى انها ترجع الى اواخر عهد الاليخانيين[3].

من هنا لايستبعد السيد عبد المطلب الخرسان ان يكون الشاه عباس الصفوي الاول المتوفي عام(١٠٣٨هـ) قد أجرى ترميمات واصلاحات على المسجد، كما أجرى مثلها على العمارة السابقة للروضة الحيدرية المقدسة في اوائل القرن

١- سعاد ماهر، مشهد الإمام علي: ١٣٤.

٢- حرز الدين، معارف الرجال:٣/ ٢٤٢.

٣- ن.م: ١٣٥.

الحادي عشر[1].

لتكون تلك الاصلاحات واحدة من سلسلة أصلاحات وترميمات شملت المسجد بين فترة وأخرى لقدم بنائه، من ذلك مانقله الشيخ جعفر محبوبة عن كتاب(تاريخ نادري) الفارسي ما ترجمته: (بذلت رضية سلطان بيكم بنت الخاقان المبرور شاه حسين (وهي زوجة نادر شاه) عشرين ألف نادري لعمارة مسجد الجامع الذي في جانب الرأس الشريف)[2]، وكانت متزامنة مع تذهيب القبة الشريفة لمرقد الامام(عليه السلام) عام ١١٥٦م.

كما اورد محبوبة أصلاحات أخرى لهذا المسجد منها قوله: (ويقال انه شيد ثانيا في ايام العلامة السيد بحر العلوم(المتوفي١٢١٢هـ) وبأمره، وفي أيام السلطان عبد الحميد العثماني طليت جدرانه بأنواع الأصباغ ونصب فيه منبر من رخام أبيض صقيل واختص به اهل السنة زمنا وكانوا يقيمون الجماعة في الجمعة والعيدين فقط، ووضع على بابه بيتان وفيهما تاريخ إصلاحه ذلك، جاء فيه: حرر في يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٦هـ.

وعند زوال الحكم العثماني من العراق بقي هذا المسجد معطلا مسدودا بابه مدة غير يسيرة ثم فتح بابه وصلى فيه العلامة الكبير النائيني (ره) المتوفي عام(١٣٥٥هـ). وبسبب قدم بناء المسجد سقطت بعض اسطواناته فقامت الحكومة العراقية بعمارته واصلاح اساسه، وعند تنفيذ شارع دورة الصحن في عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م ازيل من هذا المسجد ما مقداره خمسة امتار تقريبا[3].

كما هدم هذا المسجد في ثمانينات القرن الماضي وتم إعادة بنائه.

كما جددت واجهة المسجد المطلة على دورة الصحن الخارجية عام ١٩٩١م وزخرفت على نسق جدران الصحن الخارجية، وقد ازيل أخيرا هذا المسجد

١- الخرسان، مساجد ومعالم:٢٤.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/ ١٠٣.

٣- ن. م:١/١٠٣-١٠٤.

وبعض المباني المجاورة له والحق بالحضرة الحيدرية الشريفة لغرض توسيعها.

استمرت مسيرة هذا المسجد منذ قرون طويلة كانت حافلة بالدرس والتدريس واقامة الصلاة، الا ان المؤسف له عدم حصولنا على اشارة تدل على تلك الحلقات الا ما اتحفتنا به بعض الكتب المتقدمة ولعلها تكون امتداداً لتلك الحركة البحثية، منها ما ذكر مؤرخ النجف الشيخ جعفر محبوبة وذكره لواحد من اعلام الحوزة العلمية في النجف الاشرف وهو آية الله العظمى الميرزا محمد حسين النائيني(قدس سره) وانه كان يؤم الجماعة فيه[1]، فضلا عن السيد عبد المطلب الخرسان وذكره للبعض الآخر من الأعلام ممن تولوا الصلاة فيه او القاء دروسهم بقوله: (ادركت آية الله العظمى السيد جمال الدين الهاشمي الكلبايكاني (قدس سره) يؤم الجماعة فيه، ثم ابنه اية الله السيد محمد جمال الهاشمي (قدس سره) ثم ابنه فضيلة العلامة السيد هاشم الهاشمي الذي اعتقلته السلطة ايام الحكم البائد ثم سفرته، فبقي المسجد مغلقا مهجوراً عدة اعوام.

مضيفا: أن المرجع الديني الكبير اية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره) كان يلقي دروسه على طلاب البحث الخارج في هذا المسجد.

كما اتخذه اية الله العظمى الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر(قدس سره) مقرا لإلقاء بحوثه فكان يدرس فيه صباحا ومساءً[2].

٣ـ مسجد الخضراء:

أرتبط أسم مسجد الخضرة بذاكرة طلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف، فضلا عن أبنائها، فما زال صدى صوت زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/١٠٤

٢- ن. م:١/ ٢٥-٢٦.

السيد أبي القاسم الخوئي عالقاً بين أروقته وهو يلقي دروس البحث الخارج على العشرات من تلامذته المستمعين اليه بأهتمام.

كما لم ينس هؤلاء صلاة الجماعة التي كان يؤمها هو او تلميذه من بعده أية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني.. وما رافقته بعدها من احداث أدت الى أغلاقه وإهماله قرابة الخمس عشرة سنة، ليبقى لهذا المسجد مكانة كبيرة في نفوس الكثيرين، ويظل ذكرى جميلة لا يمكن ان تمحوها الايام.

يعد مسجد الخضرة من المساجد المهمة والتاريخية في النجف الاشرف ومن المباني الملحقة بسور الصحن الشريف للعتبة العلوية، ويقع في منطقة التقاء الضلع الشمالي بالشرقي من السور الطابوقي الخارجي، حيث يطل بابه الرئيسي من الجهة الشرقية للسور، مقابلا للسوق الذي يعرف عند اهالي النجف بسوق(العبايجية). وله باب ثان داخل الصحن الشريف يقع في الإيوان الثالث على يمين الداخل من باب مسلم بن عقيل.

استخدم مسجد الخضرة لإقامة صلاة الجماعة وتدريس طلاب الحوزة العلمية وإقامة الفواتح والمآتم الحسينية، وأقام العلامة الشيخ جعفر بن محمد علي التستري مجلس وعظ في هذا المسجد، وكان يحضره خلق كثير بحيث يمتلئ على سعته[1]. وأقام فيه الشيخ احمد بن الشيخ محمد حسن الشرقي صلاة الجماعة [2].

كما أمّ أستاذ الفقهاء آية الله العظمى السيد الخوئي الجماعة في هذا المسجد لسنين طويلة، كما اتخذه مقراً لإلقاء دروس البحث الخارج، حيث تزاحم حول كرسيه العشرات من أصحاب الفضيلة، الذين انتشروا في مختلف البلدان، وكان الكثير منهم مراجع تقليد كبار.

وبعد تعذر مقدرة سماحة السيد الخوئي(قدس سره) من حضور المسجد

١- حرز الدين ، معارف الرجال: ١/١٦٤-١٦٥.

٢- محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها: ٢/٣٩٣.

بسبب تدهور صحته وتركه للتدريس وأمامة الصلاة، أقام مكانه صهره آية الله العظمى السيد نصر الله المستنبط (قدس سره) مدة من الزمن حتى وفاته، ليخلفه من بعده سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) بتكليف من أستاذه الخوئي للتدريس وإمامة الجماعة واستمر على ذلك عدة سنوات.

الفصل الثالث

النجف الاشرف .. المدرسة والجامعة

المبحث الاول
مدارس النجف الاشرف الدينية

كما اوردنا في الباب الاول ان المدرسة التي نشأت عند القبر الشريف للامام علي بن ابي طالب"عليه السلام" تمثلت بثلاثة محاور ثقافية مهمة هي المدارس والمساجد والمكتبة، ويوم نمت حركة الدرس في هذه المدينة المقدسة وأخذت تنشط وتتطور بفضل الجهود التي بذلها الشيخ الطوسي في تنسيق العلوم الدينية، وتأليف الكتب الدراسية المختصة بها، وتهذيب رجال اكفّاء تكون لهم القدرة الكافية على تدريس هذه العلوم ونشرها في أوساط المجتمع الاسلامي.

ظهرت الحاجة الى التوسع بمحاورها الثلاث تلك يوم صارت النجف كلها عبارة عن جامعة واحدة ومدرسة كبرى يتوافد عليها طلبة العلوم الدينية من كل حدب وصوب للنهل من معين هذه المدينة المقدسة التي تشرفت بضم تربتها لجسد باب علم مدينة رسول الله الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، وخاصة في علوم الفقه، والاصول، والفلسفة الاسلامية، وتفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكل ما يتعلق بقضايا العقيدة الاسلامية، وشؤون الفكر الاسلامي.

فكانت الحاجة ماسة لايجاد أماكن لايواء هذه الاعداد المتزايدة من الطلبة، فانبرى علماء الدين وأهل الفضل لإنشاء مدارس دينية هي أشبه ما يكون اليوم بالأقسام الداخلية لسكن الطلبة وتوفير أجواء مناسبة للدرس والتحصيل والتباحث، فضلا عن تزويدهم بما يحتاجونه من في شؤونهم الحياتية من رواتب وطعام.

فضلا عن إنشاء الكثير من المساجد في هذه المدينة المقدسة لتكون منابر لالقاء الدروس ونهل العلوم الدينية ولاتمام الفائدة أنشئت مكتبات عامرة وزودت

بأمهات الكتب والبحوث والدراسات تنوعت بين الكتب المطبوعة والمخطوطة والتي جمعت عصارة جهد علمائنا الافذاذ وقدمت للدارسين والباحثين موروثا علميا ضخما.

وكم حفظت هذه المدينة وعبر مسيرتها العلمية الطويلة من أسماء لعلماء ومفكرين عظام كان لهم الدور الأكبر في بث الوعي الاسلامي وإثراء المكتبة الاسلامية بجلائل الكتب والمؤلفات، فضلا عن مساهمتهم الفاعلة في حفظ المذهب وصون علوم أهل البيت عليهم السلام.

وسنقدم في هذا الفصل أحصاءً بسيطا لأهم هذه المدارس الدينية والمساجد والمكتبات، على اننا أغفلنا بعضا منها فنحن لسنا بصد إعداد بلوغرافيا عن كل ما موجود في هذه المدينة المقدسة، بل هي محاولة لتحقيق تصور كافٍ عن الحركة العلمية التي نشطت بهذه المدينة المقدسة والتي أنطلقت من مدرسة الصحن العلوي الشريف وأصبحت مدرسة وجامعة كبرى.

واتسعت مع اتساع المدينة وازدياد الطلبة الوافدين عليها من البلدان النائية كالهند وباكستان ولبنان وايران والخليج وافريقيا واوروبا والشرق الأقصى وغيرها يتركون بلدانهم وافدين على مدينة النجف الأشرف ويريدون السكن فيها لمدة طويلة ولسنوات عديدة، فيحتاجون الى مسكن يتخذونه مأوى ومستقراً لهم.

خاصة ان معظم الوافدين لدراسة العلوم الدينية يكونون في الغالب من العوائل الفقيرة والمحتاجة، ومع هذا الازدياد المضطرد، لم تعد غرف الصحن العلوي وإيواناته، تستوعب هذه الاعداد الكبيرة، لذا باتت الحاجة ملحة الى بناء المدارس الدينية والمعاهد العلمية، وكانت بمثابة - الأقسام الداخلية - لطلاب العلوم الدينية في عصرنا الحديث فضلا عن كونها مقرات وحوزات، ساهمت بازدهار الجامعة العلمية النجفية.

يقول عنها الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: (ان مدارس النجف الدينية - وهي تقرب من أربعين مدرسة - لم تكن (مدارس) بالمعنى الذي نعرفه، بقدر ما

هي (أقسام داخليه) للجامعة الدينية فالدروس والمحاضرات التي يتلقاها الطلبة عادة تكون في الجوامع والمساجد العامة مثل: (جامع الهندي) و(مسجد الترك) و(جامع الطوسي)، و(مسجد الخضراء) و(الصحن الشريف) أما هذه المدارس فتحتوي غرفا لسكنى الطلبة الوافدين، وتتكون المدرسة من عشرين الى اربعين غرفة في كل غرفة طالب او طالبان حسب كثافة عدد الوافدين، وهي مدارس بناها مراجع الدين في مختلف عصورهم وسميت بأسمائهم، كمدرسة اليزدي ومدارس الآخوند، ومدرسة الشربياني، ومدرسة الخليلي، ومدرسة كاشف الغطاء، وغير ذلك، وقد تبني الأقطار الإسلامية مدارس لجالياتها التي توفدها الى النجف كالمدرسة الهندية والمدرسة الأفغانية، والمدارس اللبنانية، ومدرسة البادكوبا ـ وهي عاصمة (آذربيجان) احدى دول (الاتحاد السوفيني) في الثورة الشيوعية، ثم استقلت بعد تفتته، وهذه المدارس تضم اجيالا من الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية)[1].

من هنا حفل تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف بالكثير من هذه المدارس التي شيدها العلماء والمحسنون منذ الأيام القديمة، اندثر بعضها وبقي بعضها الآخر.

وقبل الخوض في ذكر المدارس في النجف الأشرف وجدولتها، يهمني في هذا المقام أن أذكر شروط السكن في المدارس، بحسب وقفية الواقف، والتي تعطي تصورا ولو بسيطا عن الحياة التي كان يعيشها الطلبة في هذه المارس، وعلى النحو التالي:

اولا: شروط السكن، ووقفية الواقف:

شيدت أغلب هذه المدارس الدينية في مدينة النجف الاشرف من اموال

١- جمال الدين، مصطفى، ديوان مصطفى جمال الدين: المقدمة.

الموقوفات التي أوقفها العلماء، والمحسنون على طلاب الدين، وكان لكل واقف منهم شروطا خاصة لتلك المدرسة يقبل بموجبها اسكان الطلبة فيها.

وعادة ما تكون الشروط سهلة وبسيطة، لان الغرض الاساس من وضعها هو امور تنظيمية لشؤن الساكنين فيها -من طلبة العلوم الدينية الملتزمين بالأحكام الشرعية والمواظبين عليها-من قبيل الدخول والخروج، وتهيئة خدمتها العامة من ماء وإنارة وتنظيف.

ومن بين هذه الشروط التي تضعها المدارس ما نصت عليه ادارة المدرسة الشبرية، وحددت واجبات الطالب الديني المنتمي للدراسة فيها، وهي على النحو التالي[1]:

من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الثالثة للراحة الفكرية والجسدية، لذلك تمنع الادارة الدخول للمدرسة والخروج منها (إلاّ لضرورة) ورفع الصوت فيها.

المحافظة على النظافة داخل الغرفة وخارجها فقد قال نبينا الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله): (النظافة من الإيمان).

الطالب مسؤول عن سلامة الكتب والأثاث التي تزوده الادارة بها.

لا يجوز حجز الغرفة وغلقها أكثر من ثلاثة أيام إلا بإذن من المتولي.

لا يجوز للطالب أن يسافر أكثر من خمسة أيام إلا بإذن من المتولي.

لا يجوز للطالب التَغيُب عن المدرسة أكثر من عشرة أيام في السنة إلا مرة واحدة وذلك بإذن من المتولي مع دفع المفتاح للإدارة.

متى إتضحَ للمتولي أن بقاء الطالب في المدرسة غير صالح فله الحق في إخراجه وذلك بدون مطالبة بدليل أو مرافعة أو مماطلة.

على الطالب تنفيذ أوامر الإدارة وتلقي التعليمات منها بالقبول.

١- شبر، محمد امين، المدرسة الشبرية: ١٦-١٨.

إذا أرتأت إدارة المدرسة اشتراك طالبين في غرفة واحدة معاً فلها الحق وليس للطالب مضايقة زميله.

إذا تغيّب الطالب عن المدرسة أكثر من ثلاثة أيام بدون إذن المتولي فالادارة لها الحق بفتح الغرفة بحضور شاهدين وإيداع الأثاث الراجع له عند الادارة لمدة ستة أشهر فإن لم يتسلمّه يُعطى للمرجع الديني من علماء الإمامية.

من حق إدارة المدرسة إمتحان الطالب كل أربعة اشهر.

لا يجوز للطالب وضع المسامير في الجدران بأي نوع كان.

متى تزوج الطالب يجب أن يغادر المدرسة ليفسح المجال لغيره.

لا يجوز للطالب قبول ضيوف في المدرسة أو عقد إجتماعات إلا بإذن المتولي.

كما يكون السكن في هذه المدارس مجانياً فضلا عن صرف بعض المستحقات البسيطة وأغلب سكان هذه المدارس هم من الغرباء الذين يؤمون النجف من مختلف الأصقاع، كالهند، والتبت، والأفغان، وبلوجستان، وتركمانستان، وقفقاسية، وإيران وافريقيا الشرقية، ولبنان بالاضافة للقادمين من المدن العراقية، بقصد الدراسة ووصول مرتبة الاجتهاد وقد يقضون فيها عشرات السنين حتى يبلغوا المرام ويعودوا الى بلدانهم ومدنهم مزودين بالإجازات التي يمنحها لهم استاذتهم من مراجع الدين.

وعن هذه الظاهرة المميزة يقول الشيخ ممد تقي الفقيه: (لمدينة النجف طابع مميز، يلمس ذلك من يعيش فيها، فهي تفترق عن باقي البلدان بمضمونها الفريد، حيث تمتد فيها حضارات وحضارات، يبدو ذلك جليا في مدارسها الدينية وحواضرها العمرانية القديمة منها والحديثة وفي ساكنيها من طلاب العلوم الدينية والوافدين اليها من الزوار والسياح، ففيها الهندي والتركي والفارسي والروسي والعربي والأفغاني و يجمعهم في الغالب الزي الواحد ـ زي طلاب العلوم الدينية

ـ مع فارق في لباس الرأس، حيث العمامة اما سوداء، واما بيضاء..)[1].

واتماما للفائدة نورد نموذجا من نماذج وقفية إحدى المدارس الدينية في النجف الاشرف هي مدرسة جامعة النجف الدينية (مدرسة كلانتر)، وكما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الوقف ذريعة الى تنمية الخيرات، ووسيلة لإدامة المبرات، عبر السنين والأعوام، والصلاة والسلام على محمد رسول الإسلام ومبين الحكام، وعلى آله الطيبين الطاهرين، والمحافظين على الشريعة والداعين الى الهداية، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وبعد: فمن منن الله ـ تبارك وتعالى ـ على العبد الصالح، الموقف المؤيد، الورع التقي، الأخ في الله (الحاج محمد تقي اتفاق) ـ أكرمه الله بلطفه ـ نجل المرحوم المغفور له(الحاج كريم اتفاق) ـ طاب ثراه ـ ان قيضه لتأسيس مشروع ديني ضخم، هي (جامع النجف الدينية) من خالص ماله وصميم عزمه، على مساعي الراجي عفو ربه الكريم، والمؤمل لشفاعة اجداده الطاهرين(محمد ابن السيد سلطان السيد مصطفى الموسوي كلانتر) ـ عفا الله عن ذنوبه، وجعل مستقبل أمره خيرا من ماضيه، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد تم ـ بحمد الله تبارك وتعالى ـ بناء (جامعة النجف الدينية) وكملت العمارة الخالدة مدى الدهر ـ إن شاء الله ـ حتى ظهور من تحيى البلاد بظهوره ـ عجل الله فرجه الشريف ـ خلال تسعة أعوام (من سنة ١٣٧٣ الى ١٣٨٢هـ).

وافتتحت ـ بحمد الله تعالى ـ ليل مبعث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) (السابع والعشرين من شهر رجب الأصب سنة ١٣٨٢هـ).. فازدهرت، منذ الافتتاح، برواد العلم والفضيلة، وله الحمد والشكر.

١- الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف: ٦٩/٤.

وهي لا تزال ـ ولن تزول ان شاء الله، عامرة بوفرة من طلبة العلوم الدينية ومكتسبي الفضائل الإنسانية المنبعثة من إشعاعات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة المأثورة عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

وبناء على الوكالة العامة المخولة الي من قبل صاحبها ومؤسسها المحسن الكبير، الوجيه النبيل، الأخ في الله الحاج (محمد تقي اتفاق) حفظه الله تعالى، في اصل الوقفية وكيفيتها وتربيتها وشرائطها، والمتولين عليها.

فقد وقفت وحبست وأبّدتُ حسبة وقربة الى الله تعالى وطلبا لمرضاته: تمام الملك تسلسل ٣١٨٨/٧٤ الواقع في محلة حي السعد بالنجف الأشرف، المسجل باسمي لدى دائر الطابو بعدد ١٢ بتاريخ اب ١٩٦٤، والمشيد عليه بناية (جامعة النجف الدينية) الواقعة على الطريق العام(نجف ـ كوفة) والمحتوية حاليا على اربع طوابق كما يلي:

١. الطابق الأرضي: وفيه سردابان كبيران يقعان تحت بناية المسجد والمكتبة، وثلاثة سراديب أخرى تقع تحت الصالون الشرقي والجنوبي والغربي من الجامعة، ومرافق لغسل الأواني والملابس في الجنوب، ومطابخ عامة للمناسبات في الجهة الشرقية.

٢. الطابق الأول: وفيه مدخل نصف دائري للجامعة، تقع على يمين المدخل الى الجامعة مكتبة عامة بمساحة ٢٢٥م٢ ذات طابقين، تابعة للجامعة، وفيها حاليا ستة آلاف وسبعمائة وأحد عشر كتابا في مختلف العلوم واللغات.

والمكتبة بما تشمل عليه من الكتب والمخطوطات والآثار والأثاث وقف خاص على طلاب الجامعة، وعلى يسار الداخل يقع مسجد الجامعة بمساحة ٢٢٥م٢، ويستفاد منه لأداء الصلاة والدراسة والبحث واقامة مجالس العزاء والمواليد، وبجانب المكتبة غرفة لإدارة الجامعة.

وبجانب المسجد غرفة لقلم الجامعة، تقع تحتها مقبرة خاصة للمؤسس وعائلته

وقبر لي.

وبعد باب القسم الداخلي للجامعة، تقع مساحة كبيرة في الوسط، في الجانب الشرقي منها رديفان من غرفة السكنى يفصل بينهما صالون كبير، وكذلك في الجانب الغربي.

وفي الجانب الشمالي والجنوبي، تقع غرف للسكنى أمامها طارمتان كبيرتان مسقفتان على ارتفاع طابقين.

ومجموع غرف السكنى في الطابق الأول اثنان وستون غرفة، وفي هذا الطابق ثمانية حمامات واثنا عشر مرحاضا واثنتا عشرة مغسلة.

٣. الطبق الثاني: ويشتمل على اربع وخمسين غرفة سكنية وثلاث قاعات للتدريس تقع في الجهة الغربية، وفي الجهة الشرقية والغربية من هذا الطابق صالونان كبيران يفصلان بين رديفين من الغرف كالطابق الأول، وفيه ايضا ثمانية حمامات واثنا عشر مرحاضا واثنتا عشرة مغسلة.

٤. الطابق الثالث: وفيه اثنتان وتسعون غرفة للسكنى، وثمانية حمامات واثنا عشر مرحاضا واثنتا عشرة مغسلة، وفيه صالونان كبيران في الشرق والغرب يفصلان بين رديفين من الغرف كالطابق السابق وطارمتان واسعتان في الجهة الشمالية والجنوبية، وطارمة دائرية مسقفة في جهة الشمال تقع على طارمة المدخل الرئيسي الدائري للجامعة.

وعلى المساحة جملون لحفظ الجامعة من الأمطار والغبار، وعلى السطح قبة قاشانية تقع على مدخل القسم الداخلي للجامعة.

وقفت جميع مرافق هذه الجامعة وتوابعها، وما سيحدث عليها من بناء بعد هذا التاريخ وما فيها من الأثاث والكتب وغيرها، وقفاً صحيحا شرعياً وحبسا مؤبدا مرعيا ـ الى ان يرث الأرض ومن عليها ـ على طلاب العلوم الدينية الأمامية الاثنى عشرية الأصولية، الساكنين في هذه الجامعة، الملتزمين بالأحكام الشرعية والمواظبين عليها، والعاملين بما جاء به الرسول الأعظم (صلى الله عليه

وآله) من الحلال والحرام.

ويجوز، فيما اذا اقتضت المصلحة، ان تبنى بها غرف أخرى لسكنى الطلاب، أو قاعات للدراسة، او مرافق اخرى لتسهيل راحة الطلاب وتيسير جو الدراسة والاستقرار في هذه الجامعة.

وقد جعلت التولية على هذه الجامعة لي ولحضرة المؤسس الوجيه الحاج (محمد تقي اتفاق) (حفظه الله) وما دمنا في قيد الحياة، وخصصت عمادة الجامعة لنفسي ومن بعدي تنتقل التولية والعمادة الى الأرشد من أولادي الذكور، ومن هذا للأكبر الأرشد من ولد ولدي الذكور، وهكذا.

فإذا لم يكن منهم أحد ـ لا سمح الله ـ فتكون التولية والعمادة بيد الأرشد الأقرب مني من جهة باقي أولادي الذكور.

وإذا لم يكن أحد منهم فتكون بيد الأصلح الأقرب مني من جده أبي، وإذا لم يكن أحد منهم فبيد الأصلح الأقرب مني من جهة أمي.

وعند انقراضهم ـ والعياذ بالله ـ تعود التولية والعمادة من جانبي بيد الفقيه الزعيم الديني والمرجع الأعلى للطائفة الإمامية الاثني عشرية الأصولية المقيم في النجف الأشرف.

فإن لم يكن فبيد الفقيه الزعيم الديني والمرجع الأعلى للطائفة الإمامية الاثني عشرية الأصولية الساكن في احدى المدن الإسلامية.

وكذلك جعلت التولية ـ بعد حضرة المؤسس الوجيه الحاج(محمد تقي اتفاق) محصورة في ولديه(ناصر آقا) اتفاق وعلي آقا اتفاق، حفظهما الله تعالى، ومن بعدهما تكون التولية للولد الأكبر الأرشد لكل منهما، وهكذا.. شريطة ان يعملوا جميعا وفق الوقفية والنظام الأساسي المنظمة لـ(جامعة النجف الدينية) والموقعة من قبل علماء العصر (أدام الله تعالى اعمارهم).

وقد أجريت الصيغة الصحيحة الشرعية في صباح يوم الخميس الرابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثمانين هجرية ـ على

مهاجرها آلاف الثناء والتحية - ضمن شروط وقوانين مشروحة في (النظام الأسري) كما يلي: (فمن بدله بعدما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه، ان الله سميع عليم). اللهم العن من بدل حرفا من هذه الوقفية. اللهم العنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليماً. اللهم ادخل عليه الفقر والذل والسقم والخزي والمرض والعاهة. اللهم خذه اخذ عزيز مقتدر، بجاه حبيبك محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، الذين اذهبت عنهم الرجس اهل البيت وطهرتهم تطهيرا.

النجف الأشرف ١٣٨٥/١/٢٨هـ

السيد محمد كلانتر / عميد ومتولي (جامعة النجف الدينية)

وقد تفضل حضرات العلماء الأعلام أدام الله تعالى اعمارهم بتصديق الوقفية.

ثانيا: مدارس متعددة الجنسيات:

توفر هذه المدارس لطلبتها أجواء خاصة ينصرفون فيها الى الدرس حين لا يتسنى لهم محل آخر يضمن مثل هذا السكن الهادئ المعد للبحث والمراجعة والتتبع، ومعظم طلاب هذه المدارس هم من الذين لم يتزوجوا بعد، ولم تخل هذه المدارس من طلاب نجفيين الى جانب الطلاب الغرباء ممن لا طاقة له على توفير مثل هذا الجو في بيته سواء كان متزوجاً أو غير متزوج، لأن معظم المدارس لا تفرق بين الطالب الغريب وغير الغريب، على ان هنالك مدارس خاصة ببلدان معينة كما أسلفنا.

أما الدروس فيتلقاها الطالب في خارج المدرسة في اكثر الأحيان وفي الأماكن التي يتخذ منها الأستاذ محلا للدرس كالصحن الشريف، أو الجوامع، أو المساجد، فالطالب حر في اختيار استاذه وأخذ الدروس داخل المدرسة أو خارجها، لأن الدراسة في هذه المدارس ليست على مستوى واحد لتتألف منها صفوف، فالمدرسة ذات الغرف الستين مثلا يسكنها ستون طالبا وكل منهم في مراحل مختلفة ومستويات متباينة من الدرس والتتبع.

وقد ساهم هذا الخليط الذي ضمته هذه المدارس بانفتاح الفكر في المجتمع المجتمع النجفي المحافظ، من خلال أختلاط الوافدين بأهالي المدينة من زملائهم في الدراسة وما تنشأ بينهم ـ في العادة ـ من صداقات تكون منهم مجموعات متجانسة داخل كل مدرسة.. وعن هذه الجماعات التي يشكلها طلبة المدارس يتحدث السيد مصطفى جمال الدين عنها بالقول: (الغالب في هذه الجماعات(الشُلل) ان يألف الطلاب العرب، او الهنود، او الفرس، او الأتراك، ابناء لغتهم فيجتمعون في عطلهم الاسبوعية ـ الخميس والجمعة ـ او العطل الرسمية الأخرى على (اكلة) مفضلة كانوا يحبونها في بلدانهم، او يتشاركون في رحلة الى كربلاء، أو الكوفة، او سامراء، او رحلة صغيرة الى البساتين المحيطة

بجدول الأمير غازي القريب من النجف، والغالب ان هذا التجانس لا يقع إلا في عدد معين يتراوح بين خمسة وعشرة اشخاص.

وهذه المجموعات المتجانسة قد يبرز فيها شخص أو أكثر كان له قبل هجرته الى النجف نوع من الثقافة، او الفكر، او الهم الاجتماعي، مما يكون له الأثر في طبع المتجانسين معه بطابعه، فيؤثر في ثقافتهم العامة ـ خارج مقرراتهم الدراسية ـ شيئا فشيئاً يتمحورون الى ميوله وثقافته، فإذا كان هذا (المحور) مولعا بالفلسفة او السياسة، او الأدب، أو الشعر، او القصة، كان الطابع العام لزملائه كذلك.

وقد كنت استمع ـ وأنا طالب صغير ـ عن محور تتجمع حوله طلاب عرب منهم اللبناني، كالسيد صدر الدين شرف الدين، أو محمد شرارة، ومنهم العراقي كالشيخ مهدي الحجار، ومنهم القطيفي (كالشيخ) سلمان الصفواني، والأهوازي كالشيح محمد الكرمي، والشيخ محمد رضا العامري، وامثال هؤلاء ممن كان له الأثر البارز في (شلته).

وعلى سبيل المثال اذكر ان المرحوم الدكتور حسن مروة... كان طالبا في مدرسة الخليلي، تجمع حوله طلاب اعرف بعضهم، فيهم العراقي، والاحسائي، والبحراني، وقد طبع اكثرهم بطابع (الشيخ) حسين مرزة، وفكره السياسي، حتى بعد تفرقهم وعودتهم الى بلدانهم.

وفي أكثر الأحيان تتحكم (الصدفة) في اختيار الطالب النجفي لنوع او اتجاه المجموعة التي ينتمي اليها، فإذا كان هم افرادها الأكل، والشرب، (والفرفشة) كمايقولون، لم يخرج الطالب من النجف مزودا بأكثر من ذلك، وإذا كان همهم العلم، والأدب أو الشعر، او السياسة، وضع نفسه في الطريق الصحيح، وشق دربه في حياته مزودا بالعلم الديني الذي هاجر الى النجف من اجله، مضافا اليه ما اكتسبه من صحبة جماعته ـ فكراً أو أدباً ـ وعلى نشاطه وقابليته الذاتية، يتوقف

نبوغه ـ بعد ذلك ـ وتأثيره في مجتمعه الجديد)[1].

وقد أهتمت الكثير من الصحف والمجلات بالحديث عن هذه المدارس الدينية وكتبت عنها مقالات قيمة وأفردت لها أبواب خاصة في الكثير من الكتب تحدثت عن تلك الحركة العلمية فيها وسنذكر بعض ما أطلعنا عليه في هذا المضمار:

مجلة لغة العرب للأب انستانس الكرملي (الحالة العلمية والحركة الفكرية في النجف)، ج٤، ص٣٢٧ وما بعدها سنة ١٩٢٦.

مجلة العرفان للشيخ عارف الزين (سير العلم في النجف) بقلم الشيخ جعفر محبوبة، ج٢١ ص٥٠ وما بعدها سنة ١٩٣١.

مجلة العرفان (حياة الطالب في النجف) بقلم الشيخ محمد حسن الصوري، ج٢٥، ص٢٣٥ وما بعدها سنة ١٩٣٦.

مجلة العرفان (بوادر الاصلاح في جامعة النجف ونهضة كاشف الغطاء) بقلم باحث، ص٢٩، ص١٨٠ ـ ١٨٣ سنة ١٩٣٨.

مجلة العرفان (نظرة في المدارس الدينية حياة الطالب) بقلم الشيخ محمد حسن الصوري، ج٣٠ ص٥٨ ـ ٥٩٠ سنة ١٩٣٩.

مجلة العرفان (اوضاع المدارس في النجف)، بقلم أحمد عارف الزين، ج٣١، ص٦٠٨ ـ ٦٠٩ سنة ١٩٤٠.

مجلة الاعتدال صاحبها محمد علي البلاغي (الدراسة في النجف) ج٥، ص٣٢٣ ـ ٣٣٤ سنة ١٩٤٦.

مجلة العرفان (الدراسة الدينية في النجف) بقلم باحث، ج٣٨ ص٧٨٢ ـ ٧٨٥ سنة ١٩٥١.

مجلة العرفان (أوضاع المدارس الدينية في النجف) ج٥٧، ص١٠٠ سنة ١٩٧٠.

ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر محبوبه، ج١، ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

١- جمال الدين، ديوان السيد مصطفى جمال الدين: المقدمة

مدارس النجف، بقلم الشيخ محمد مهدي الآصفي.

مجلة لغة العرب (كتب القراءة والتدريس عند الشيعة في العراق)، بقلم عبد الحميد الدجليلي، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩ سنة ١٩١٣.

من ذو وذاك (طلاب الدراسة الدينية اولاً) بقلم محمد جواد مغنية، بيروت ١٩٧٩، ص١٢٨ - ١٢٩.

مجلة العرفان (جامعة قم والسيد البروجردي) بقلم عيسى عبد الحميد الخاقاني، ج٥، ص ٦٦٠ - ٦٦٤ سنة ١٩٦٣.١

موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الاشرف

تاريخ النجف الاشرف، محمد حرز الدين.

المفصل، الدكتور حسن الحكيم.

مدارس النجف الدينية، حسين جهاد الحساني.

١- الطريحي، محمد كاظم، النجف الأشرف مدينة العلم والعمران: ١٧١ - ١٧٢.

المبحث الثاني:
إطلالة على مدارس النجف الدينية:

بعد هذه المقدمة في المبحث الاول عن المدارس الدينية الموجودة في مدينة النجف الاشرف وما أسهمت به من أسهامات جليلة في خدمة طلبة العلم، سنحاول هنا الحديث عن بعض هذه المدارس حسب التسلسل التاريخي لبنائها، وعلى النحو التالي:

١- مدرسة السيد مرتضى (القرن الثامن الهجري):

هي من المدارس القديمة في مدينة النجف الاشرف التي وصلنا ذكرها، ولعلها من أقدمها ساهمت مع قريناتها من المدارس وباقي المحاور الثقافية في هذه المدينة المقدسة بكتابة تاريخ مدينة النجف الأشرف العلمي، على انه من المتيقن ان الظروف القاسية التي أحاطت بهذه المدينة المقدسة ضيّعت كلّ شيء عنها سوى اليسير الذي لا يروي من ظمأ، ولا يُسمن ولا يُغني من جوع.

تقع هذه المدرسة بالقرب من حرم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولقدم هذه المدرسة لم ترد الاشارة عنها في كتب الباحثين والمتتبعين لتاريخ مدينة النجف الاشرف بعامة او تاريخ مدارس النجف الاشرف العلمية بخاصة، سوى ما اورده الشيخ أحمد مجيد الحلي في مقالة كتبها في مجلة النجف الاشرف الغراء[1]، وذكر انه وجد الاشارة لهذه المدرسة من خلال عثوره على نسخة نادرة كتبت في سنة (٧٩١هـ) هي كتاب (مصباح السالكين) تأليف: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) وهو شرح فلسفي عرفاني مشهور على كتاب (نهج البلاغة)، كتبه أيام أقامته في بغداد باسم الوزير الخواجه علاء الدين

١- الحلي، أحمد مجيد، مجلة النجف الاشرف، العدد ٨٢ في عام ٢٠١١م.

عطاء الملك الجويني (٦٨٠هـ)، وصدّر الكتاب باسمه واسم أخيه وشقيقه الشهير بصاحب الديوان الخواجة شمس الدين محمّد بن محمّد الجويني وزير هولاكو خان وولده بعده باقر أرغون خان، وهما من أجلاء وزراء الشيعة، وقدم له مقدمة بلاغية طويلة ذات قواعد ثلاث نافعة كل منها ذات مباحث عديدة، فرغ منه سنة (٦٧٧ هـ).

وتشير هذه المخطوطة النادرة الى تلك المدرسة التاريخية، التي اسماها الناسخ بمدرسة السيد مرتضى.. ولا يعلم منشيء هذه المدرسة سوى ترحم الناسخ بهذه المخطوطة على منشئها، ومع عدم وجود دليل على ذلك، يشير الحلي في مقاله الى أحتمالية كون المدرسة من منشآت السيد علم الهدى السيد المرتضى الموسوي البغدادي(ت ٤٣٦هـ) علماً أن بين المرتضى وتاريخ النسخة نحو أربعة قرون.

وجاء في إنهاء الناسخ لها ما نصّه: (ووافق الفراغ من كتابته على يد العبد الضعيف عملاً الجسيم أملاً الكثير زللاً حسين بن محمّد بن الحسن الجويني العاملي عفى الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين والمؤمنات وذلك بالمدرسة المعروفة بمدرسة السيد مرتضى رحم الله منشئها المجاورة لحرم مولانا وسيدنا الإمام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه من الصلوات أتمها وأكملها ومن التحيات أكرمها وأفضلها وذلك يوم السبت قبيل العصر الحادي عشر من شهر جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده محمّد وآله وسلم ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى).

والنسخة هذه موجودة في مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي قدس سره العامة في قم المقدسة برقم (٩٣٨٨)، كتبها المذكور أعلاه وتاريخ النسخ: يوم السبت عصر ١١ جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ، كُتبت في مدرسة السيد مرتضى، عدد أوراقها: (٣١١)، وعدد أسطرها (٢٧)، وقياسها (٢٦ × ١٨ سم)، تملكها

محمّد بن إبراهيم بن أبي الحسن بن زين العابدين بن حسن بن حسين بن علوان الحسيني، ثم تملكها السيد عبد الله بن محمّد رضا شبر الموسوي (ت ١٢٤٢ هـ)، ذكرت في فهرس المكتبة ج ٢٤ ص ١٦٩ رقم ٩٣٨٨.

ومن المؤسف أن أخبار تلك المدرسة وأثرها قد ضاع علينا كما ضاع الكثير من تاريخ مدينتنا النجف الأشرف على المدفون فيها أفضل الصلاة والسلام.

٢- مدرسة المقداد السيوري (القرن التاسع الهجري)

بذر الشيخ الطوسي(قده) بذور العلم والعرفان في مدينة النجف الأشرف، بعد أن حط رحاله فيها قادما من بغداد، فأينعت تلك البذور من حينها وقطف ثمارها الفضلاء وأهل العلم ورجال الدين، فتقاطر صوبها كل صاحب حاجة في علم ورغبة في دين بعدما راجت أسواق العلم فيها وصارت على مر السنين والأيام مركزا من مراكز العلم الشهيرة.

ومن بين أهم مفاصل هذه المدينة العلمية مدارسها التي توزعت بين محلاتها وداخل أزقتها.. ومن بين هذه المدارس، مدرسة المقداد السيوري، بنى هذه المدرسة الشيخ جمال الدين أبو عبدالله المقداد بن عبدالله بن محمّد بن الحسين بن محمّد السيوري الأسدي الحلي النجفي في مدينة النجف الأشرف، وقد فرغ من بنائها سنة ٨٢٨هـ[١]، وهي من المدارس القديمة في النجف بل من أقدمها بعد مدرسة الصحن العلوي الشريف[٢].

أسست هذه المدرسة في وقت عاشت فيه النجف الاشرف ظروفا سياسية واقتصادية صعبة تمثلت بالهجمات الوهابية المتكررة من قبل الاعراب الحجازيين والتي نشرت الخوف وزرعت الرعب بين ابناء مدينة النجف الاشرف، فضلا عن

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٠/٢.

٢- حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف:١١٠/١.

غلاء الاسعار وقلة المياه.

وكانت تلك الظروف من بين الامور التي ساهمت بتراجع دور النجف الاشرف العلمي وبروز مدينة الحلة كمقر جديد لزعامة الحوزة العلمية قرابة الثلاثة قرون أمتدت من اوائل القرن السابع حتى النصف الاخير من القرن العاشر الهجري[1].

ورغم كل هذه الظروف سعى الشيخ السيوري بفضل شجاعته وتحمله لكل تلك الصعاب بفتح تلك المدرسة واستقطاب الطلبة وتهيأة الظروف الملائمة لمواصلة طلب العلم وتحصيله لسكنهم.

تقع هذه المدرسة في محلة المشراق وبابها في الزقاق المؤدي الى شارع الامام زين العابدين(عليه السلام) مقابل مسجد السقاية المعروف. وقد جددت هذه المدرسة بعد ان انهدمت عدة مرات، كان أولهم سليم خان الشيرازي لما اشتراها وجدد بناءَها على نفقته عام ١٢٥٠ هـ فنسبت إليه وعرفت بـ (المدرسة السليمية) منذ ذلك الحين[2].

وينقل الخليلي في موسوعته:(انه دخل المدرسة فوجدها مدرسة صغيرة لا تتجاوز مساحتها الـ(١٠٠) متر مربع كتب على بابها الخارجي بالقاشاني انها عمرت بهمة السيد ابي القاسم في سنة ١٣٤٠هـ، وفيها ستة حوانيت قد أقتطعت منها ليصرف ريعها على ماتحتاجه من كهرباء وماء وأجور خادم وأصلاحات اخرى[3].

كما يوجد فيها عشر غرف وعدد طلابها إثنا عشر طالبا وكلهم من المهاجرين الواردين من الخارج[4].

١- البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٧٥.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣١

٣- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٢٩/٢.

٤- ن. م

وللوقوف على المدرسة اليوم، زرنا المدرسة فوجدناها أطلالا وقد تهدمت اركانها وعفي رسمها ولم يبق منها غير بابها والمدخل وقد تحول إلى حانوت لبيع السبح والاحجار الكريمة والخواتم !

سكن هذه المدرسة اهل العلم من طلبة العلوم الدينية وقد ذكرت الكتب التاريخية بعض من سكنوا في هذه المدرسة ومن بينهم الشيخ عبد الوهاب السيوري الأسدي الذي ذكره صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها بقوله: (وكان من حسن الصدف إني وقفت على كتاب مصباح المتهجد للشيخ الطوسي(رحمه الله) مخطوط، عند الشيخ الإمام العلاّمة الميرزا محمّد حسين النائيني(رحمه الله) وفي آخره ما نصه: (كان الفراغ من نسخه يوم السبت ثاني عشر من جمادى الأُولى سنة ٨٣٢ هـ ١٤١١م على يد الفقير إلى رحمة ربّه وشفاعته عبد الوهاب بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن السيوري الأسدي عفى عنه بالمشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام وذلك في مدرسة المقداد السيوري)[1]، وتوجد هذه المخطوطة اليوم في مكتبة الامام الحكيم العامة برقم(٣٥٠٢).

ويذكر محبوبة أيضا إن العلامة الشيخ الأنصاري(قده) تولى هذه المدرسة وقد اسكنها أخاه الشيخ صادق فبقي بها مدة من الزمن غير يسيرة وبعد وفاته تولاها ابنه الشيخ محمد طاهر، وفي ايام اية الله الخراساني (قده)، انتزعت يده من التولية، وجعلت بيد السيد أبي القاسم احد المقربين من آية الله الخراساني ومن بعده بعض من ينتمي اليه بالقرابة[2].

وفي عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني انعم على الشيخ محمد جعفر بن الشيخ علي مانع المتوفي عام ١٣٦١هـ بلقب"مدرس"، واخذ في تدريس العلوم

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/ ١٢٤

٢- ن. م

الدينية في المدرسة السليمية[1].

كما ذكر الخليلي مجموعة من الطلبة المهاجرين الواردين من الخارج ممن سكن في هذه المدرسة وهم الشيخ غلام عباس الزنكباري من طلاب افريقيا الشرقية، والشيخ احمد محمود طراد من جبل عامل في لبنان، والشيخ علي أيوب العارفي من الطلاب الافغان[2].

٣- مدرسة الشيخ عبد الله (القرن العاشر الهجري)

يعود تاريخ مدرسة الشيخ عبدالله إلى منتصف القرن العاشر الهجري وقد عرفت بكونها أشهر مدرسة علمية عرفت في زمانها وكانت معهداً مهماً يقصده طلاب العلم من كل مكان ويتلقون فيه علومهم[3]، ومقصدا لأهل العلم يوم كانت الهجرة للمقدس الأردبيلي(قدس سره) ومن كان بعده من العلماء.

وهذه المدرسة وغيرها هي واحدة من بين المدارس التي ساهمت بعودة النجف الى سابق عهدها وتنشيط الحياة الفكرية من جديد في هذه المدينة، بعد خلو الحلة من العلماء الكبار بوفاة فخر المحققين[4].

وتشير الكثير من الابحاث الى تزايد اهتمام السلاطين والعلماء بإيصال المياه الى النجف واتخاذ الاحتياطات لصد هجمات الاعراب كبناء الأسوار، دفعت باتجاه تزايد الحركة العلمية من جديد.

لتدور في النجف من جديد رحى العلم والعمل من أول القرن العاشر - أي منذ سنة ٩٠٠ هجرية تقريبا الى الآن - فكان أولها عصر الشيخ علي بن عبد العالي

١- ن. م:٢٧١/٣.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٢٨- ١٢٩.

٣- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٠/٢.

٤ - ابو طالب، فخر المحققين، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ولد سنة ٦٨٢ هـ - ١٣٠٤م، وتوفي سنة ٧٧١هـ - ١٣٩٣م، القمي: م. س ١٦/٣.

الكركي المحقق المشهور ومعاصره الشيخ ابراهيم القطيفي، ثم عصر الشيخ الأردبيلي الزاهد وصاحبه الملا عبد الله اليزدي، ثم عصر الشيخ عبد النبي الجزائري، ثم عصر الشيخ حسام الدين النجفي، فعصر الشيخ فخر الدين الطريحي، ثم عصر ابي الحسن الشريف ومعاصرية، فعصر الفتوني، فعصر الطباطبائي، فعصر الشيخ جعفر الكبير، فعصر ابن الشيخ، فعصر صاحب الجواهر، فعصر الشيخ مرتضى الأنصاري، فعصر تلامذة الأنصاري، وغيرهم، فهذه حلقات هذه السلسة من العصور الآخذ بعضها بأطراف بعض[1].

بنى الشاه عباس الأول هذه المدرسة للمولى الشيخ عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي النجفي بعد أن أتى به من إيران إلى العراق ليتولى نقابة الحرم المقدس وسلمه مفاتيحه والخزانة الكبيرة، وقد سماها بمدرسة (الآخوند)، تقع في محلة المشراق حوالي دور السادة آل كمونة[2].

يقول الشيخ جعفر محبوبة عن هذه المدرسة إن بعض المتتبعين للآثار من النجفيين قد عينوا موقعها من هذه المحلة، بعد أن اندرست وعفي أثرها وأصبحت دارا لبعض السادة الأشراف وقد وقفت- والقول مازال لمحبوبة- على صك مؤرخ سنة ١٢٧٣ هـ فيه بيع دار من دور الملالي والمشتري من آل معلة ويحد الدار بالخربة المعروفة بالمدرسة القديمة، وهذه الخربة اليوم هي دار لبعض السادة الاشراف[3]. ويذكر حرز الدين في معارف الرجال اندراس هذه المدرسة وتحولها الى خربة بقوله:المدرسة اليوم اعني سنة ١٢٩٥هـ اندرست اثارها[4].

ومن المميزات التي انفردت بها هذه المدرسة هو أختلاف بناء هذه المدرسة والمدارس التي استحدثت من بعدها، بعد ان تاثرت المدينة بالهندسة الجديدة

١- الحكيم، عبد الهادي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٢٦.

٢- حرز الدين، معارف الرجال: ٤/٢

٣- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٢٦.

٤- حرز الدين، معارف الرجال:٤/٢

والريازة الخاصة التي جاء بها الصفويون، واحدثوها بعمارة العتبة العلوية المقدسة، وما طرأ بها من أضافات مميزة.

لأن أغلب البيوت كانت تتألف من طابق واحد قبل القرن العاشر الهجري وإن أكثر سقوفها كانت عبارة عن طبقات معقودة تملأ أعالي زواياها من السطح بالتراب، وتفتح في وسط سطح الغرفة فتحة صغيرة لينزل النور منها وذلك لقلة الشبابيك والكوى.

وحين جاء الصفويون ووسعوا بناء الصحن الشريف وأقاموا أول مدرسة حديثة في الصحن تغيرت هندسة المدارس منذ ذلك الحين كما بدأت تتغير هندسة البيوت تبعاً لذلك التغيير[1].

واصبحت هذه البيوت تحتوي على مجموعة من العناصر المعمارية الاساسية صارت سمات مميزة للعمارة النجفية، من اهمها: الساحة الداخلية المكشوفة (الحوش)؛ فالبيوت التراثية في النجف شأنها شأن البيوت في المدن العراقية الاخرى، تتميز بخصائص تخطيطية وانشائية ذات طابع معماري واحد يتمثل في احلال الساحة الداخلية المكشوفة التي يُطلق عليها بالعامية(الحوش) المكان الاول في التخطيط، وتأتي الغرف السكنية وبقية المرافق والمداخل والممرات لتأخذ مكانها حول تلك الساحة.

ومن الخصائص المميزة الاخرى وجود المدخل المنكسر المعروف بـ(المجاز) الذي يوصل المدخل أو (الباب) بالساحة الداخلية المكشوفة (الحوش).

كما يوجد عنصر آخر يعد من العناصر المعمارية المهمة هو توفير ما يسمى بالايوان او (الطارمة). وهو بناء له ثلاثة جدران وسقف ويكون مكشوفاً من واجهته الامامية المطلة على الصحن (الفناء المكشوف).

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣١/٢.

كما تمثل المساند الخشبية (الدكك)؛ ميزة أخرى، تستعمل لاسناد الممرات في الطابق الأول، وفي بعض الاحيان تسند الطارمات والغرف في الطابق الأول ايضاً وتنتهي هذه الاعمدة بتاج مقرنص متدرج يساعد في تقليل مقطع الجسر الخشبي الذي يعلو عدداً من هذه الاعمدة.

وأخير الشناشيل(المشربيات) وهي شرفات بارزة عن مستوى البناء في غرف الطابق الاول، إذ يكون بناء هذه الشرفة من الخشب وتكون ذات زخارف رائعة بدلاً من الآجر والحديد للتغلب على مشاكل الثقل في توسعة البناء، وكذلك مساعدة الخشب في تحقيق برودة الجو الداخلي للغرفة، وتوفير مظلة طويلة يحتمي بها المشاة من شمس الصيف وامطار الشتاء.

٤- مدرسة الصدر الأعظم ١٢٢٦هـ

هي من بين أقدم المدارس الحاضرة اليوم وأوسعها اسسها الحاج محمد حسين خان الأصفهاني المتوفي سنة ١٢٣٩هـ، سميت المدرسة بمدرسة الصدر الاعظم نسبة الى المنصب الذي كان يشغله مؤسسها وهو "الصدارة" للسلطان فتح علي شاه القاجاري، وهو لقب إداري يعني(رئيس الوزراء) في الدولة القاجارية، كما سميت هذه المدرسة بمدرسة" الامام موسى الكاظم(عليه السلام) الدينية" في الفترة الاخيرة، وعادت الى تسميتها السابقة بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣م.

تقع هذه المدرسة في السوق الكبير - وهو السوق الطويل المستقيم الذي يوصل الميدان القديم بالصحن الشريف - وتطل على شارع الامام زين العابدين(عليه السلام) وفيها ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد مع سقاية ماء تقع على السوق الكبير. ومساحتها مع ملحقاتها من مساجدها ومقبرة مؤسسها ومطبخها الواسع المعد للطبخ في بعض المناسبات العامة تربو على (٩٠٠)

متر مربع[1].

وهذه المدرسة منذ ذلك اليوم حتى هذه الساعة مزدحمة بطلاب العلوم الدينية والفضلاء، وكان قد أوقف لها مؤسسها موقوفات تقوم ببعض مقتضيات سكانها، وخصص للطلاب طعاماً مستمراً في ليالٍ معينة من الأسبوع والشهر والسنة.

كما أوقف الخان الكبير المعروف بسيف بلال من قبل ابن المؤسس أمين الدولة عبد الله خان بن الحاج محمد حسين خان الصدر المتوفي عام ١٢٦٣هـ، وجعله لاطعام الطعام في ليالي الجمعة وسقي الماء في المسقى المعروف بالسقخانة[2].

شيدت المدرسة بعد الفراغ من بناء سور مدينة النجف(السادس) وهو الأخير وذلك في سنة ١٢٢٦هـ وقد أحصيت مصاريف بنائها مع بناء السور في ذلك العصر فكانت(٩٤) ألف تومان اشرفي، والأشرفي يساوي يومذاك وزن الليرة الذهبية العثمانية.

وقد آل بعض جوانب هذه المدرسة إلى الانهدام فتبرع لإصلاحها بعض ذوي الخير على يد العلامة الشيخ نصر الله، الذي وقد شرع باصلاح المدرسة وتشييد بعض جوانبها من جديد.

وفي عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م أقتطعت بلدية النجف الاشرف من مساحتها بدأ من السقاية حتى حدود المدرسة من جهة الميدان وأضيفت الى حوانيت الاوقاف، وقد هدمت عددا من المقابر في هذه المنطقة أيضا[3].

ولمدرسة الصدر الاعظم حضور ثقافي كبير في مدينة النجف الاشرف فقد كانت منبرا لاقامة الاحتفالات الدينية والتأبينية لاعلام مدينة النجف الاشرف،

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٣٦. الحكيم، المفصل:٢٣/١٦.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٢٨/١.

٣- الحكيم، المفصل:٢٤/١٦.

منها ضم ساحتها للاحتفال التأبيني الكبير الذي أقيم بمناسبة أربعينية الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء(قدس سره) وألقى فيه العلماء والشعراء الكلمات البليغة والقصائد الرائعة[1]. كما أصدر طلابها منشورات توجيهية في المناسبات الدينية[2].

كان لمدرسة الصدر الاعظم مكتبة عامرة بالكتب من مصادر ومراجع سواء منها المطبوع والمخطوط وقد بذل مؤسسها من المال لشراء تلك الكتب ليستعين بها طلاب المدرسة الدينية، وعلى الرغم من تخصيص المبالغ الكافية للانفاق على هذه المدرسة ومكتبتها، وطلابها ووقف عدد من الحوانيت لانفاق ريعها على كل ما ينقصها فقد بدات هذه الكتب بالضياع من المكتبة يوما بعد يوم حتى لم يبق اليوم ما يعتد به وخصوصا المخطوطات والكتب الأثرية، التي كان عددها في هذه المدرسة كبيرا حتى الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري.. وقد افاد كثير من العلماء والطلاب من هذه المكتبة في حينها[3].

٥- مدرسة المعتمد

مدرسة الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء ١٢٣٠هـ

تقع هذه المدرسة في محلة العمارة بجانبها من جهة القبلة المسجد المعروف بمسجد الشيخ موسى، وفي جهة الشرق مقبرة الشيخ جعفر كاشف الغطاء[4].

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٨٩/٣.

٢- ن . م

٣- كاشف الغطاء، ضياء ، علي بن ابي طالب والنجف الاشرف:١٢٧.

٤- هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر المالكي الجناجي. المعروف بـ(كاشف الغطاء)، بعد أن ألف كتابه (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء)، ولدَ سنة (١١٥٦هـ)(ينظر: الطهراني، الذريعة: ٢٤٩/٢) في وسط أسرة علمية عرفت بالعلم والفقاهة فوالده الشيخ خضر كان من الفقهاء المعروفين، فتتلمذ عليه فضلا عن كبارعلماء عصره. كان له مكانة كبيرة وسط

يدخل الزائر اليوم إلى هذه المدرسة من خلال باب خشبي قديم ولا يوجد فوقه أي كتابة تشير إلى إن خلف هذا الباب مدرسة لها تاريخ كبير بما حملته من ذاكرة مثقلة بالأحداث ارتبطت بتأريخ العراق السياسي فضلا عن التأريخ الديني.

كما كانت لها مكانة كبيرة في نفوس المؤمنين خصوصا وقد ارتبطت بذاكرة الكثير من أهل الفضل والعلماء ممن سكن فيها وكانت أروقتها وغرفها نقطة البداية لهم في عالم العلم والمعرفة.

وبعد اجتياز هذه الباب تطالعك معالم المدرسة التي أصبح الكثير منها آيل للانهيار بما ناءت به جدرانها من سنين طويلة يبلغ عمر البعض منها أكثر من ١٥٠ عام.

ثم تدخل إلى باحة المدرسة التي توسطتها سدرة مدت اذرعها بعيدا لتظلل حجرها الأرضية وغرفها العلوية و أواوينها المتهالكة.

فمن جهة القبلة تتكون المدرسة من طابقين في كل طابق خمس غرف وأمام كل غرفة إيوان في الطابق الأرضي وممر عريض أمام غرف الطابق الثاني، أما عكس القبلة فغرفتان كبيرتان وفوقهما السطح، وفي الغرب على الأرض غرفتان وأربع غرف فوقهما فيكون المجموع (٢٦) غرفة. فضلا عن غرفة لادارة المدرسة واخرى كبيرة كانت تستخدم سابقا للمطالعة وفي داخلها المكتبة.

الحوزة العلمية وقد أطراه العلماء من المعاصرين له والمتأخرين عنه بأحاديث جمة لا يمكن حصرها، وفي هذا الصدد قال السيد الخوانساري: (كان رحمة الله عليه من أساتذة الفقه والكلام، وجهابذة المعرفة بالأحكام، معروفاً بالنبالة والإحكام، منقّحاً لدروس شرائع الإسلام، مفرّعاً لرؤوس مسائل الحلال والحرام، مروّجاً للمذهب الحق الاثني عشري كما هو حقه، ومفرّجاً عن كل ما أشكل في الإدراك البشري، وبيده رتقه وفتقه، مقدّماً عند الخاص والعام، معظماً في عيون الأعاظم والحكّام))(ينظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٢/٢٠٠).

تحدث لنا متولي المدرسة الشيخ شريف كاشف الغطاء(٧٣ عام) نجل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء عن بناء هذه المدرسة فقال: بنى هذه المدرسة الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير[١] على مساحة من الأرض تربو على ٨٠٠متر مربع، وهي من موقوفات أحد الأمراء الإيرانيين المعروف بـ(أمان الله خان)، أوقفها للشيخ جعفر الكبير بحدود عام ١٢٢٨هـ، وقد بنا الشيخ موسى هذه المدرسة بأموال معتمد الدولة(عباس قلي خان) وأشادها بعمارة جليلة لطلبة العلم بعد عام ١٢٣٠هـ كما ذكره الشيخ محمد الحسين في الطبقات العنبرية. لذلك كانت تسمى هذه المدرسة بمدرسة(المعتمد).

ويروي الشيخ شريف غير ما ذهب اليه محبوبة في(ماضي النجف وحاضرها) وما رواه عن المعمر السيد عبد الحسن الدزفولي عن العلامة السيد حسين ال بحر العلوم(قده): ان معتمد الدولة وهو المحسن الكبير(عباس قلي خان) وزير محمّد شاه القاجاري المتوفى في ايران سنة ١٢٤٩ هـ بعث بأموال كثيرة على يد العلاّمة الشيخ مهدي بن الشيخ عليّ آل كاشف الغطاء ليعمل صندوقاً فضياً على قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعمله وزاد من المال شيء فبنى به هذه المدرسة" [٢]، ورأى انه وقع في خلط فالمدرسة التي يقصدها الدزفولي هي أقرب الى المدرسة المهدية.

وعن تعمير المدرسة يضيف الشيخ شريف بالقول: كانت هذه المدرسة عامرة بالطلبة حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ثم تهدمت لقلة العناية بها

١- هو الشيخ موسى بن الشيخ الاكبر جعفر بن خضر النجفي، المتوفي سنة ١٢٤٣هـ، يقول عنه الطهراني: انه من اساطين الامة، والمرجع العام في الدنيا والدين، قرأ على الشيخ أسد الله صاحب المقابيس، وعلى والده كاشف الغطاء، حتى صار لسان العلماء وترجمان الفقهاء،انتهت اليه الرئاسة العامة بعد وفاة والده. ينظر: الطهراني، طبقات اعلام الشيعة، القسم الثالث: ٥٢٥.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/ ١٢٨- ١٢٩ الهامش.

وسقطت سقوف غرفها، وسد بابها وأصبحت غير صالحة للسكن حتى أعاد الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء بناء القسم المنهدم منها وترميم القسم القديم من جهة القبلة لتصبح آهلة بالسكان بعد ان أسكنها طلبة العلم، وكتب على بابها:

إذا ما بناءٌ شاده الدين والتقى تهدمت الدنيا ولم يتهدم[1]

وصارت تسمى بمدرسة(الإمام كاشف الغطاء)[2].

وبقيت هذه المدرسة تحت رعاية أسرة آل كاشف الغطاء، وكانت تتعرض من وقت لاخر للخراب ولكن تعاد اليها الحياة من جديد، وكان طلبة هذه المدرسة يعفون من اداء الخدمة العسكرية إذا نجحوا في أداء الأمتحان، الذي يعده مدرسون مختصون[3]، وفي عام ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م تولى الشيخ حليم بن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ادارة المدرسة، واصدرت المدرسة مجلة(التوجيه)، وتولى ادارتها بعد ذلك الشيخ شريف بن الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء[4].

اتخذ الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء جانباً من هذه المدرسة ديواناً يجلس فيه للناس صباحاً ومساءً وفي أيام الصيف كان صحن المدرسة يفرش بالسجاد ويجلس الشيخ فيجلس رواد مجلسه وزواره في صف على طول أضلاع الساحة ومن جهاتها الأربع.

ومن هذه المدرسة صدرت كل الفتاوى السياسية، والشرعية، والرسائل الأدبية التي كتبها الشيخ، ولذلك كان لهذه المدرسة تأريخ حافل في صفحات

١- الخاقاني، علي، شعراء الغري: ١٢٥/٨.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٣٧.

٣- مجلة التوجيه، العدد الثاني: ٣٥.

٤- الحكيم، المفصل: ٢٧/١٦.

تأريخ العراق السياسي فضلا عن التأريخ الديني، وقد اعتاد الإمام كاشف الغطاء أن يشير إلى هذه المدرسة في كل ما كان يصدر منه من فتاوى ورسائل فيقول: صدر من مدرستنا العلمية بتأريخ كذا[1].

ويضيف الشيخ شريف بالقول: ان المدرسة سكنها الكثير من الفضلاء واتذكر منهم: الشيخ محمد جواد الجزائري، الشيخ قاسم محي الدين، الشيخ محمد علي الحوماني(وهو كاتب لبناني معروف)، الشهيد محمد باقر الصدر، الشيخ محمد اسحاق الفياض، الشيخ باقر شريف القرشي، الشيخ هادي القرشي، الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي وغيرهم الكثير.

٦- المدرسة المهدية ١٢٨٤هـ

تُعد المدرسة المهدية من المراكز المهمة في الحوزة العلمية الشريفة، وهي اليوم من بين المدارس الدينية التي يشار لها بالبنان من حيث الإدارة والطلبة والدروس والخدمات.

اسست هذه المدرسة في عام(١٢٨٤هـ) على يد الفقيه المجتهد الشيخ مهدي كاشف الغطاء(قدس سره) واطلق عليها اسم المهدية توافقا مع اسم المؤسس[2].

وقد جاءت فكرة انشاء هذه المدرسة عند مؤسسها بعد ان شهدت النجف الاشرف اتساعا في حركتها العلمية، مما ادى الى اتساع المدينة وازدياد الطلاب الوافدين اليها وظهور الحاجة الملحة لبناء مدارس دينية ومعاهد علمية لاستيعاب هذه الاعداد الكبيرة من الطلبة.

تقع هذه المدرسة في طرف المشراق في قبال مسجد الشيخ الطوسي من الخلف وتجاور مدرسة القوام، وقد عدت من المدارس الدينية التي لا نظير لها في

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٩.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٩/٢.

وقتها[1].

ومن ذلك الحين وإلى يومنا هذا وهي تعجُ بطلبة العلم من كل مكان من العالم الإسلامي،كالسعودية والبحرين واليمن وإيران وافغنستان والباكستان وغيرهم، إضافة الى الطلبة العراقيين، تخرج منها الكثير من جهابذة العلم وفطاحل العلماء الأعلام وأساتذة الحوزة العلمية الشريفة.

أنشئت هذه المدرسة على أرض مساحتها تقارب(٧٠٠)متر مربع وكانت في السابق مركزا(سرايا) لكليدار النجف حاكمها يومذاك وهو الملا يوسف، ولما توفي باعها ورثته للشيخ محمد بن الشيخ علي كاشف الغطاء فبناها دارين، وبعد وفاته بيعتا على الشيخ عبد الحسين الطهراني، ثم أشتراها منه الشيخ مهدي كاشف الغطاء سنة ١٢٨٤هـ، وفي نفس السنة بناها مدرسة ذات طابقين وعدد غرفها ٢٢ يسكنها نحو ٣٠ طالبا[2].

وبمرور الزمن اشرفت هذه المدرسة على الانهيار لتهالك بنائها بسب طول زمن تشييدها، فقلت رغبة أهل العلم فيها وهجرها روادها، وفي عام١٣٦٥هـ تصدى الشيخ محمد علي ابن الشيخ عبد الكريم آل كاشف الغطاء -المتوفي سنة١٣٦٧هـ-باعادة بنائها بمساعدة الحجة السيد أبي الحسن الاصفهاني، لتعود عامرة مأهولة بأهل العلم حتى اليوم[3].

وأخذت المدرسة المهدية في العهد العثماني صفة رسمية فاعترفت بها الحكومة وأعفت كل من انتمى اليها من الخدمة العسكرية[4].

وبمساعي الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء عام(١٤١٦هـ)، عادت اليوم المدرسة المهدية مدرسة متكاملة فيها جميع الخدمات الأساسية ووسائل الراحة

١- كاشف الغطاء، العبقات العنبيرية:٤٤٥.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/١٣٠. الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٢/١٣٩.

٣- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١/١٢٩.

٤- ن. م:٣/٨٩.

للطلبة الدارسين وهي تحتوي اليوم على(٤٢) غرفة وقاعات للدراسة ومكتبة عامرة بالكتب، حيث تتواصل المدرسة اليوم بتوفير كل مستلزمات الدراسة بشكل حضاري ومعاصر حيث اخذت على عاتقها مكان السكن والمنهج الدراسي الجيد الذي لا يتعارض مع مقررات اللجنة الامتحانية لدى مكاتب المراجع(ادام الباري تعالى بقاءهم) وانتقاء الاساتذة المدرسين الجيدين من الذين يعول على توثيقهم لدى مكاتب المراجع والمعروفين بحسن الاخلاق والسيرة والاشتغال العلمي والالتزام الديني وكذلك توفر النظام الدراسي المبوب لايام الدوام والامتحان والتعطيل والمتابعة عليه، وقبل كل ذلك شرائط القبول المحققة لهذا الغرض والسقف الزمني المعتد به لهذه المرحلة.

وهي اليوم محط أنظار الجميع وهي تسعى إلى أقامة الندوات والمؤتمرات العلمية وبما يعزز الروابط والعلاقات بين الحوزة الشريفة والمؤسسات الأكاديمية والجامعات والمؤسسات الثقافية. وان دل هذا على شئ فهو يدل على عمق تجربة هذه المدرسة الممتد لاكثر من ١٤٠ عاما.

٧- مدرسة القوام ١٣٠٠ هـ

هي مدرسة شهيرة تقع خلف جامع الطوسي ومجاورة للمدرسة المهدية، ذكر موقعها الشيخ جعفر محبوبة في مؤلفه(ماضي النجف وحاضرها) وكذلك جعفر الخليلي في موسوعته للعتبات المقدسة قسم النجف الاشرف في محلة المشراق، الا ان التخطيط العمراني الجديد للمدينة جعل المدرسة واقعة في محلة العمارة بعد استحداث شارع الطوسي، كما ذكر محبوبة والخليلي إنها شيدت على ارض مساحتها قرابة الـ ٧٠٠ م وقد وجدناها بعد أجراء مسح ميداني لها إنها تبلغ اليوم قرابة الـ ٩٠٠ متر مربع.

وتعرف هذه المدرسة باسم مدرسة(القوام) وتسمى في احيان أخرى بالمدرسة(الفتحية) نسبة الى بانيها فتح علي خان الشيرازي(قوام المُلك) وقد تم

بناؤها عام ١٣٠٠ هـ وكانت تحتوي على ٢٦ غرفة في صف واحد[١] غير ان طرف الشمال منها الذي كان ذا طابقين قد آل الى الانهدام وقام بإعمارها على هيأتها الحالية الشيخ نصر الله الخلخالي اذ شيدها على طابقين وبواقع ٦٤غرفة وفيها مدرسة كبيرة ومكتبة كبيرة تحوي على اعداد من الكتب باللغتين العربية والفارسية فضلا عن سرداب بعمق عشرة امتار وبطابقين ايضا[٢]. الا ان الطابق الارضي للسرداب قد طمر اليوم بسبب قدم المدرسة وخشية انهيارها وقد وجدناه بعمق يتفاوت بين(٣,٨٠ – ٤,٥٠).

كما توجد على جبهة باب المدرسة أبيات عربية مطعمة بالفارسية وفيها ثلاثة تواريخ عن تأسيس هذه المدرسة، ومن بين هذه الابيات:

يامن بنى هذا الاساس المتين ... انا فتحنا لك فتحا مبين
بعهد خاقان فلك باركاه ... ناصر دين خسرو إيران زمين
تاج السلاطين سراج الملوك ... وعروة الوثقى وحبل المتين
ظل الاله دام أظلاله ... على البرايا أبد الابدين
مدرسة مجمع ارباب فضل ... مصطبة محفل طلاب دين
سألت عن تاريخ هذا البناء ... فقيل لي اضف الى (الغين شين)
نصر من الله وفتح قريب ... اذا نقصت الباء أيضا يبين[٣]

سكن هذه المدرسة الكثير من طلبة العلوم الدينية وخرجت العديد من الفضلاء واهل العلم، ومن بينهم المعمر الشهير بالنحوى البروجردى المتوفى بها

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣٠.
٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٤٠/٢.
٣- ن. م: ١٤١/٢.

أوائل ١٣٤٤هـ[١]، والشيخ إبراهيم الكازرونى المتوفى فى مدرسة القوام فى النجف بحدود ١٣٦٤ هـ[٢]، وآية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي[٣]، والشيخ محمد حسين المهرجاني الجندقي البياباكاني[٤]، والشيخ جعفر الشارقي البحراني، والعلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم المتوفي سنة ١٣٥٣هـ وكانت حجرته منتدى لطلاب العلم[٥].

تولى ادارتها الشيخ أحمد الشيرازي المتوفي سنة ١٣٣٢هـ كما كان يدرّس فيها ويقيم صلاة الجماعة في الصحن الشريف، وقد قرأ عليه العلامة آغا بزرك الطهراني شطرا من مباحث الأوامر، ومباحث الضد من كتاب"الفصول" أول وروده إلى مدينة النجف الاشرف[٦].

وشهدت مدرسة القوام الحفلة التأبينية الكبرى للمرحوم الاستاذ يوسف رجيب وقد أستمرت اربع ليال من شهر رمضان(١١، ١٣، ٢١،٢٢) من سنة ١٣٦٦هـ[٧].

كما ذكر لنا الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء انه كان أحد طلبة هذه المدرسة وعاصر فيها المرحوم العلامة الشيخ هادي الجصاني الذي اعدم على يد الأجهزة القمعية في عام ١٩٩٠ كما ذكر إن أستاذ العلماء العلامة الشيخ محمد رضا العامري كان لديه غرفة فيها وأضاف إن المدرسة هجرت لسنوات طويلة بسبب الظروف الصعبة التي كان يعيشها طلبة العلوم الدينية في تلك الفترة..

١- الطهراني، الذريعة:١/٥١٦.

٢- ن.م: ١/ ٧.

٣- المرعشي، شهاب الدين الرافد: ١ / ٣٠٤.

٤- آغا بزرك، الذريعة: ١٤/٢٢٨، كذلك في الجزء٢٢/ ٢٣١.

٥- آغا بزرك، طبقات اعلام الشيعة: ١/ق١/٢٥٠.

٦- المصدر السابق:١/ق١/٨٥.

٧- الحكيم، المفصل:١٦/٢٩.

بسبب تاريخها الطويل المثقل بالذكريات تداعت الكثير من مفاصل هذه المدرسة وأصبح الكثير من أجزائها مهدد بالانهيار.

لذا شكلت لجنة من ديوان الوقف الشيعي لإعادة إعمار هذه المدرسة حيث لبست اليوم حلة جميلة وتم تأهيلها لاستقبال الطلبة، ومن بين الأعمال التي أجريت، إسناد سقف السرداب وتدعيمه بالمقاطع الحديدية وجعله قادرا على تحمل أثقال الجدران التي فوقه، كما تم اكساء أرضيتها بالكاشي المطعم بالمرمر واكسيت جدرانها لارتفاع متر بالسيراميك وفرشت غرفها(بالكاربت) كما تم تجهيز المكتبة بمكاتب دراسية وكراسي جلوس وحاسبات وأجهزة تبريد وتدفئة وزودت بالكتب. فضلا عن تسقيف الباحتين الكبيرة والصغيرة بطريقة تسمح بدخول الضوء والهواء.

٨- مدرسة الإيرواني (١٣٠٧) هـ

هي من مدارس النجف الأشرف المشهورة، التي كانت عامرة بالدرس والتحصيل، سكنها الكثير من طلبة العلوم الدينية ممن قدموا النجف الاشرف للنهل من معين باب مدينة علم رسول الله(صلى الله عليه وآله).

كانت تقع هذه المدرسة في محلة العمارة احدى محال النجف الاربع القديمة في شارع آل محي الدين مجاورة لدار آية الله الحجة السيد أبي الحسن الاصفهاني(قدس سره)، الا ان هذه المدرسة هدمت مع ماهدمه النظام السابق من مدارس ومساجد ودور عبادة، فضلا عن أجزاء كبيرة من محال المدينة المقدسة، لتطوى بها صفحة مضيئة من صفحات مدرسة تميزت بالدرس والتحصيل وطلب العلم.

شيدت هذه المدرسة بما بذله الحاج مهدي الإيرواني سنة ١٣٠٧هـ من اموال فشيدت بطابقين وعلى ارض مساحتها(٣٠٠) متر مربع وبواقع (١٩) غرفة وكان قد ابتدأ البناء فيها سنة ١٣٠٥هـ، وتولى العلامة الشيخ ملا محمد المعروف بالفاضل

الإيرواني(قده) أدارة شؤونها ومن بعده أولاده على التعاقب[1].

واشترط الواقف ان يدفن فيها بعد موته فكانت مقبرته مجاورة للمدرسة ودفن فيها كما دفن الفاضل الإيرواني (قده) ايضا.

سكن هذه المدرسة الطلبة الاتراك و ولاسيما أهل(ايروان) وقد بلغ عددهم على مايقوله الخليلي في كتابه موسوعة العتبات المقدسة(٢٤) طالبا.

وقد كانت معيشة طلابها مما تنفقه عليهم مراجع الدين من رواتب وطعام أحياناً[2].

٩- مدرسة الشيرازي ١٣١٠هـ

أسست هذه المدرسة جوار العتبة العلوية المقدسة من جهة باب الطوسي على يد المجدد الشيرازي أية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي(قدس سره) والمتوفى عام ١٣١٢هـ.

وعلى ماذكره متولي المدرسة السيد محمد مهدي الشيرازي اليوم ان المجدد الشيرازي كان قد شيد هذه المدرسة بطابقين على ارض مساحتها(٢٠٠) متر تقريبا فأعد الطابق الارضي ليكون مدرسا للطلبة وجعل الطابق العلوي للسكن مؤلفا من(١٤) غرفة، في حين خصص سرداب المدرسة كمقبرة له.

وقد أنفق على هذا البناء أحد مقلدي السيد الشيرازي الهنود لتشييدها ومن ثم أهداها لسماحته(قدس)على ان يدفن فيها بعد موته..

مضيفا: ان المدرسة قد اقتطع من مساحتها بعد ان جرى فتح شارع حول الصحن الشريف في القرن المنصرم فذهب من غرفها وجزء من المقبرة والمدرس[3].

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٤١/٢.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣٢/١-١٣٣.

٣- مقابلة خاصة مع متولي المدرسة السيد محمد مهدي الشيرازي.

وعلى غرار عمارة اغلب مدارس النجف القديمة تحتوي ساحة المدرسة على حوض ماء للوضوء، وقد الحقت هذه المدرسة بسور الصحن من الخارج عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م[١].

ذكر المؤرخون تأريخين لتشييد هذه المدرسة، اذ يذكر الخليلي انها شيدت عام ١٣١٠هـ[٢] في حين يرى الدكتور حسن الحكيم انها أسست ١٢٩٨هـ اعتمادا على ماينقله الهلالي في معجمه[٣].

توالى على ادارة هذه المدرسة مجموعة من المتولين الشرعيين من ابناء واحفاد المؤسس حيث يتم أختيار الارشد منهم فالارشد ابتداءً من نجل المؤسس الميرزا علي آغا الشيرازي ومن ثم السيد جعفر بن السيد محمد الشيرازي، والسيد محمد حسن ابن الميرزا علي آغا الشيرازي وأخيرا السيد محمد مهدي الشيرازي[٤].

تحتوي المدرسة اليوم وبعد أعادة اعمارها من قبل متوليها الشرعي على مدرسين أحدهما أرضي وآخر علوي أضافي بعد أزالة غرفها التي صارت وبسبب تقادم الزمن غير صالحة للسكن هذا فضلا عن سرداب المدرسة الذي يحوي على مرقد السيد الشيرازي والذي بالامكان ان يكون محلا آخر للدراسة.. ومن المؤمل ان تفتح المدرسة ابوابها امام طلبة العلوم الدينية بعد اكتمال اعمال الاعمار.

وحسب ماذكره لي متولي المدرسة السيد محمد مهدي الشيرازي فأن العديد من العلماء والفضلاء كان لهم حلقات درس في هذه المدرسة عندما كانوا في بداية تدريسهم، منهم: سماحة اية الله العظمى الشيخ النائيني، وأية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي، وسماحة اية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر

١- الحكيم، المفصل:١٦/٦٤.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢/١٤٢.

٣- الحكيم، المفصل:١٦/٦٤.

٤- مقابلة خاصة مع متولي المدرسة السيد محمد مهدي الشيرازي.

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران ۱۳۷۴

وسماحة أية الله العظمى السيد محمد جواد التبريزي، واية الله العظمى السيد عبد الصاحب الحكيم، والشيخ باقر الزنجاني والسيد عباس القوجاني[1] الذي يذكر تجربته في السكن والتدريس في هذه المدرسة في كتابه سياحة في الشرق عندما كان نزيلا بها عام (١٣١٨هـ - ١٩٠٠م). حيث ينقل عنه الدكتور حسن الحكيم قوله: (دخلت النجف وبإرشاد من الرفاق من أبناء وطني، ذهبت لمقبرة الميرزا حسن الشيرازي التي تجاور الصحن المطهر، ومن الجانب الملاصق للضلع الشمالي للصحن)[2].

وغيرهم العديد من الطلبة والفضلاء اللذين ازدحمت بهم ازقة هذه المدينة المقدسة.

١٠- مدرستا حسين الخليلي الكبرى ١٣١٦هـ والصغرى

شيّد العلامة الكبير الشيخ ميرزا حسين بن الميرزا خليل الطهراني النجفي المتوفي سنة ١٣٢٦هـ الشهير بالخليلي مدرستان دينيتان معروفتان في مدينة النجف الاشرف واحدة تعرف بمدرسة الخليلي الكبرى والاخرى بمدرسة الخليلي الصغرى، اسهمتا برفد المدرسة العلوية الكبرى بطلبة العلوم الدينية، وكانتا رافداً حقيقيا من روافد الفكر الانساني وسنحاول هنا الحديث عن كل واحدة منهما بشيء من التفصيل:

أ- مدرسة الخليلي الكبرى: مازالت ذكرى مدرسة الخليلي الكبرى عالقة في أذهان طلبة العلوم الدينية في مدينة النجف، ذكرى جميلة تجلت فيها مرحلة مهمة من تاريخ هذه المدينة المقدسة يوم كانت أزقتها تزدحم بالطلبة وحلقات الدرس

١- مقابلة خاصة مع متولي المدرسة السيد محمد مهدي الشيرازي.

٢- الحكيم، المفصل:٦٤/١٦ عن القوجاني: سياحة في الشرق: ١٩٧.

تصدح باصوات الأساتذة، نقاش هنا و مباحثة هناك، سعي حثيث لتحصيل العلم وكسب المعرفة، وما ان بدد ذلك الحلم الجميل وهدمت المدارس واغلقت الباقية عاشت المدينة لسنين طويلة أجواء كئيبة لم تألفها.

في بداية شارع السلام او كما يطيب للبعض تسميته بـ (بعقد الذهب) وبجوار مقبرة العالم الزاهد خضر شلال(قدس سره)، بنى الحاج حسين الخليلي مدرسته الشهيرة على ارض مساحتها ٦٠٠م(٢) بطابقين فيها ٥٠ غرفة تتوسطها ساحة كبيرة مبنية بالاجر ومغلفة بالكاشاني وفي هندسة سداسية بديعة وفيها سرداب يدور حول جهاتها الأربع، كما أنشئت منها مكتبة كبيرة فيها قرابة الالف كتاب[١].

عرفت مدرسة الخليلي الكبرى عند عامة الناس بمدرسة(القطب) لأن مؤسسها الشيخ الخليلي كان قد اشتراها من صاحبها السيد علي القطب يوم كانت(قيصرية) او(خان) يشغل حوانيتها الخياطون، وقد اشتراها الشيخ الخليلي وشيد عمارتها بأموال بعض المحسنين[٢].

وقد اجري عقد الوقف في السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣١٦هـ كما يحكيه صك الوقفية المختوم باختام علماء عصره كالشيخ الاخوند الملا محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، والشيخ محمد طه نجف، وغيرهم من مشاهير علماء النجف الاشرف[٣].

وقد بذل معتمد السلطنة الحاج محمد حسين خان(أمير بنج) مصاريف بناء المدرسة وعمر المقبرة مع الجهة المتصلة بها أمير تومان صمصام الملك العراقي، وعمّر الجهات الثلاث مجد الدولة جهان كيرخان، وقد دفن أمير تومان صمصام الدولة الى جنب الشيخ ميرزا حسين الخليلي[٤].

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٤٤\٢.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣٥\١١.

٣- ن. م: ١٣٦/١.

٤- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٣٦/١.

أرخَ بناء هذه المدرسة في ببيتين من الشعر[1]:

دار علـوم لـذوي التحـصيل عمرّهـا الحـسيني ذو التبجيـل

قـد قيـل لمـا كملـت أرخ(لهـا معهـد علـم شـاده الخليلـي)

١٣١٦هـ

كانت لهذه المدرسة مكانة مرموقة في المجتمع إذ كانت تؤوي عدداً من العلماء البارزين يوم كان مؤسسها المرجع الخليلي حياً، فقد كان الشيخ الخليلي وزميلاه (المحقق الخراساني، والشيخ عبد الله المازندراني) واضعوا الحجر الأساسي لتأسيس الحكم الدستوري في إيران، وله القدح المعلى في هذا الانقلاب، وتثبيت أركانه فكان ينظم المجالس والحفلات في مدرسته (مدرسة الخليلي).

كما شهدت مدرسة الخليلي الكبرى اجتماعات سياسية هامة، فقد عقدت فيها محافل للايرانيين للمطالبة بحقوقهم أيام استبداد حكومتهم، واحتفل العلماء سنة ١٣٢٧هـ في الثاني من رجب عند خلع محمد علي شاه القاجاري ونصب أحمد ميرزا مكانه واشترك في هذا الاحتفال العثمانيون والايرانيون وكان أحتفالا عظيما[2].

خرجت مدرسة الخليلي عدداً من الفضلاء والادباء المعروفين منهم الشيخ محسن شرارة، و أحمد الصافي النجفي وعباس الخليلي، ومحمد علي الحوماني وغيرهم، كما اصدرت المدرسة سلسلة شهرية بعنوان (مختارات اسلامية) تتناول مختلف القضايا الاسلامية أشرف على اصدارها السيد عبد الكريم القزويني.

ب- مدرسة الخليلي الصغرى: شيد الشيخ حسين الخليلي بالاضافة لتلك

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٤٣/٢.

٢- ن . م:٢/ ١٤٤.

المدرسة مدرسة صغيرة أخرى عام ١٣٢٢هـ عرفت بمدرسة(الخليلي الصغرى) في محلة العمارة في اول الشارع المنتهي الى مسجد الشيخ رضا الهمداني والمعروف بزقاق آل الجزائري ويجاورها من جهة الشرق الخان الذي وقفه السيد محمد كاظم اليزدي للزائرين ليكون مأوى ومبيتا لهم[١].

وقد بذل المحسن محمد علي خان الكركاني اموال بناء هذه المدرسة، التي شيدت على ارض مساحتها ٢٣٠م٢ بطابقين فيهما ١٨ غرفة مكملة البناء عدا الجانب الغربي منها فإنه لا غرف فيه ولكل غرفة من الغرف السفلية في الطابق الأول إيوان صغير، أما الغرف العلويات فكان أمامها ممر مسقف، وعند مدخل المدرسة غرفة صغيرة وهي مقبرة المتبرع باموالها[٢]. وقد أرخها احد الشعراء بقوله[٣]:

وبنت معارف شاد الخليلي ... لأهل العلم إذ كان العميدا

ولما تم حط الفضل فيه ... فأرخنا(لأهل الفضل شيدا)

وبما ان هذه المدرسة قد اشرف عليها العلامة الشيخ محمد جواد الجزائري غلب عليها اسم (مدرسة الجزائري او الأحمدية) وقد شهدت نشاطا فكريا واسعا، ففي عام ١٩٥٠م اقامت مهرجانا بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، وفي عام ١٩٦٧م اقامت احتفالا كبيرا بمناسبة مرور(٥١) عاما على ثورة النجف ضد الانكليز واصدرت المدرسة مجلة حملت اسم (الذكرى) وكتابا حمل اسم (المبعث النبوي الشريف)[٤].

١- حرز الدين، معارف الرجال: ٢٨١/١.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٣٤/١.

٣- ن . م: ١٤٨/٢.

٤- الحكيم، المفصل: ٤٠/١٦.

المؤسف له ان هاتين المدرستين هدمتا أيام النظام السابق في نهاية الثمانينيات عند تنفيذ مشروع مدينة الزائرين، حيث تم على اثر ذلك هدم محلة العمارة بما فيها من معالم تاريخية مهمة.

ج- مكتبتا مدرستي الخليلي: عني الحاج ميرزا حسين الخليلي أيام زعامته الدينية بمكتبتي هاتين المدرستين فضم اليهما كتبه الخاصة ثم حمل بعض الجهات على شراء بعض الكتب ووقفها عليهما، وقد أسهم في شراء هذه الكتب عدد من التجار، والأمراء، وأهل الفضل، كان منهم (معتمد السلطنة محمّد حسين خان أمير ينج) و (أمير تومان) وأكثر من خصها بالعناية بعد وفاة الحاج ميرزا حسين ابنه الشيخ محمّد الخليلي، وقد كسبت المكتبتان في وقتهما شهرة كبيرة بما احتوتا عليه من المصادر المهمة في التأريخ، والعلوم، والفقه المخطوطة والمطبوعة، مراعاة لطبيعة الوقف الذي وقفه الحاج ميرزا حسين الخليلي الذي قصر سكنى هذه المدرسة على طلاب مراحل دراسة (الخارج)، فكان لابد أن تكون كتب هاتين المدرستين من كتب الاختصاص العالي في مختلف العلوم، وكان تأسيس هاتين المكتبتين في زمن متقارب لا يتجاوز الخمس الاول من القرن الرابع عشر الهجري، وما كان قد طرأ على مكتبات المدارس الدينية في النجف من الضياع قد طرأ على هاتين المكتبتين فاختفى الكثير من كتبهما وتلف البعض الاخر لكثرة الاستعمال والاهمال[1].

١١- مدرسة الفاضل الشربياني ١٣٢٠هـ

تعد مدرسة الفاضل الشربياني من بين أشهر المدارس الدينية التي حظيت بشهرة واسعة ولا تزال قائمة الى يومنا هذا بما قدمته من خدمات جليلة للعلم

١- الخليلي، موسوعة العتبات: ١٤٣/٢.

والعلماء وعلى مدى اكثر من (١٠٠) عام، أسسها احد مشاهير علماء النجف الاشرف وهو العلامة الكبير الشيخ محمّد الشربياني والمعروف بالفاضل الشربياني المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ وذلك في عهد زعامته الدينية[١]،أختطها قبل وفاته بأربع سنين، وقد اشادها من تبرعات اصحابه ومقلديه من التجار الاتراك في أبان زعامته الدينية[٢].

ونقل لي الشيخ جمال الشربياني(٨٠ عام) عن جده آية الله العظمى الشيخ الفاضل الشربياني مؤسس المدرسة بقوله:

في عام (١٣٢٠)هـ مرّ مجموعة من الحجاج الايرانيين وهم في طريقهم للديار المقدسة بالنجف الاشرف لغرض الزيارة والتزود بالمؤن واللقاء بمراجع الدين وكانت هذه عادة في السابق.. وبما إن جدي رحمه كان واحدا من مراجع الدين الكبار في النجف الاشرف وممن يشار إليهم بالبنان في العلم والورع.. التقى به هؤلاء الحجاج وبعد خروجهم منه اتفقو بعدما وجدوا حياة الزهد التي يعيشها هذا العالم الجليل بان يتبرعوا له بمبلغ من المال لغرض بناء بيت له وبالفعل تم ذلك.

وبعد ذهابهم الى الديار المقدسة وإكمالهم مراسيم الحج ومرورهم بطريق العودة على النجف وجدوا ان الشيخ قد بنى هذه المدرسة وقد اشتملت على (١٤ غرفة وسردابيين) وعند سؤالهم له عن البيت أجابهم: (لقد بنيت ١٤ بيتاً) للطلبة وأطمح من الله أن يعوضني ببيتا في الجنة.

ويشير السيد القوجاني الى وجود مدرسة بناها تاجر تركي كان مقيما في خراسان، وقد اتمها في حوالي ثلاثة أشهر عام ١٣١٨هـ[٣]، ولم يشر الى موقعها ومن المحتمل ان المقصود بذلك مدرسة الشربياني.

---

١ - الاسدي، ثورة النجف:٣٧، الهلالي، معجم العراق: ٩١/٢.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات:١٤٦/٢.

٣- القوجاني، سياحة في الشرق: ٢٢٢.

تقع هذه المدرسة في طرف الحويش في آخر الزقاق الذي تقع فيه مدرسة الامام السيد محمد كاظم اليزدي، ويعرف هذا الزقاق قديما بـ(عقد الهنود) كما يحكيه الصك المؤرخ عام ١٢٦٧هـ[1]، وعندما نفذ شارع الرسول عام ١٩٥٥م أصبحت هذه المدرسة في الجانب الايسر من الشارع بالنسبة للذاهب الى محلة الجديدة من الصحن الشريف، أما مدرسة السيد اليزدي فأصبحت تقع في الجانب الايمن من الشارع.

تمتلك هذه المدرسة مكتبة هي من أكبر المكتبات الخطية على مستوى حوزة النجف اذ إنها مكتبة عامرة بالعناوين القيمة التي حفظت تراث مدرسة أهل البيت عليهم السلام.فهي تمتلك العديد من العنواين الخطية فضلا عن العناوين الاخرى المطبوعة والتي ساهمت في اغناء الدرس العلمي وساعدت الطلبة على دراستهم بتوفيرها العناوين القيمة والمفيدة لطلبتها.

حدثني متولي المدرسة الشيخ محمد رضا الدكسن ان المدرسة مارست دورها الحوزوي من خلال فتح مجال الدرس والتدريس بمستوى محدود في الفترة السابقة بسبب المضايقات التي كانت تمارس ضد طلبة العلوم الدينية من قبل الاجهزة القمعية للنظام السابق.. وقد عملت المدرسة وانفردت بتخصيصها غرفة خاصة للطلبة التركمان وفق آلية معينه من السرية والكتمان اذ ان هؤلاء الطلبة كانوا مطاردين في تلك الفترة من خلال تعرضهم لضغوط معينه لترك الدرس..لكن المدرسة تحدت كل انواع الضغوط وعمل القائمون عليها على مواصلة المشوار وان كره الظالمون.

كانت هذه المدرسة صغيرة بحجمها لكنها استوعبت أكبر عدد من الطلبة من ذوي السيرة الحسنة والمستوى العلمي. فقد سكن في هذه المدرسة العديد من الشخصيات العلمية الحوزوية التي من أبرزها سماحة الشيخ آية الله العظمى بشير

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١/١٣٤.

النجفي، وآية الله العظمى الشيخ الأنواري والشيخ المؤرخ الكبير عبد العزيز الغرياوي المتوفي سنة ١٣٢٧هـ عن عمر ناهز الـ ٧٠ سنة. ومن الجدير ذكره ان الفاضل الشرباني المتوفي عام ١٩٠٤م كان استاذاً للكثير من العلماء أمثال العالم التبريزي آية الله السيد محمد عبد الكريم الموسوي الشهير بمولانا وكذلك السيد رضا الهندي والعالم الرباني آية الله الحاج ميرزا محمد باقر الأحقاقي.

١٢- مدارس الأخوند الخراساني ١٣٢١هـ

شيد آية الله العظمى الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ (الاخوند الخراساني(قده)) ثلاث مدارس دينية معروفة في مدينة النجف الاشرف قد بناها في ايام رئاسته الدينية[1]، اسهمت برفد المدرسة العلوية الكبرى بطلبة العلوم الدينية، وكانت رافداً حقيقيا من روافد الفكر الانساني.

سميت هذه المدارس جميعا بالاخوند نسبة الى مؤسسها، وميزت أحداها عن الاخرى من خلال الحجم فكانت الكبرى والوسطى والصغرى، وأشهر الثلاثة كانت الكبرى والتي تسمى في بعض الاحيان بمدرسة(الخراساني الكبرى)، اومدرسة(الامام الحسن) وذلك في زمن النظام المباد.

أ- مدرسة الآخوند الكبرى: تقع هذه المدرسة في مدينة النجف القديمة في محلة الحويش وبالقرب من المنطقة المعروفة بـ (فضوة الحويش)، ولايبعد كثيرا عنها مرقد السيد الحطاب، والمنتهي بباب سور البلد القديم المسمى(بباب السقائين).

يصفها محبوبة فيقول: هي من المباني المعظمة والمساطب المنظمة فسيحة الساحة كثيرة المساكن في طابقين جدرانها مكسوة بالحجر القاشاني الملون آهلة

١- الكاظمي، أحسن الوديعة: ١٤٨/١.

باهل العلم[1]. ويقول عنها الخليلي: ان لها مكانة في المجتمع العلمي لما ضمّت من أهل العلم والفضل[2].

وفي لقائي مع متولي المدرسة الشيخ حازم العامري حدثني فقال: بنيت هذه المدرسة سنة ١٣٢١هـ بامر من الملا كاظم الخراساني المرجع الكبير في عصره وقد تبرع لبناء هذه المدرسة الوزير جان ميرزا بعهد السلطان عبد الاحد البخاري على ارض مساحتها(٧٣٠) م وقد كتب على مدخل المدرسة:

مدرسة الكاظم قد ارخوا (اساسها على التقى والرشاد)

١٣٢٩هـ

ويضيف: تتألف المدرسة اليوم من جزئين هما مدرسة كبيرة وملحق، ويبلغ مجموع الغرف فيهما(١٢٠) غرفة مع مكتبة كبيرة تحوي قرابة الالف كتاب مطبوع وحوالي (٧٥) كتابا مخطوطاً. كما يوجد في المدرسة (مَدرَس) كبير وهو مكان يستخدم كقاعة دراسية، كما تتوسط المدرسة باحة كبيرة مع سرداب تحت الجهات الاربع وسردابين عميقين (سن)..

وقد جددت هذه المدرسة واضيف لها ملحق في حدود عام ١٣٩١ هـ حسب ماتشير كتابة خطت بالقاشاني وضعت بواجهة المدخل الرئيسي للمدرسة.

حيث قام حجة الاسلام والمسلمين الشيخ نصر الله الخلخالي بنفقة متبرع من طهران هو المحسن السيد علي حيث تم تجديد بناء المدرسة واشترى بيت المرحوم السيد كاظم السيد سلمان الواقع على الزاوية الشمالية الشرقية من المدرسة وضمه اليها وبنى بناءً محكما بطابقين مع مكتبة واسعة.

ويؤكد العامري: ان تزايد الطلبة الوافدين الى هذه المدرسة اضطرنا الى

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٣٧/١.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات: ١٤٦/٢.

استعمال الكثير من الغرف التي كانت تستعمل في السابق كمخازن، اذ يبلغ عدد الطلبة اليوم هو ١٤١ طالباً.

كان من اشهر طلاب هذه المدرسة السيد ابو القاسم الخونساري وهو فقيه واصولي لامع وعالم فلكي ورياضي كبير وكان جميع طلابه يقصدونه لتلقي العلوم الرياضية منه، وكان يتلقى على مانقل من الناقلين عددا كبيرا من الرسائل من مختلف الجهات يسألونه فيها عن حل بعض المسائل الرياضية وقد وضع قاعدة سهلة لمعرفة قابلية القسمة على العدد ٧.

مضيفا: السيد كاظم كان واحدا من اشهر طلاب هذه المدرسة وهو ممن حصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة السوربون وجاء الى النجف للحصول على شهادة الاجتهاد فاستعانت به المدرسة العلوية في النجف الاشرف لتدريس الفرنسية وكان من انبغ اساتذة الفقه[١].

كما كان السيد حسين بحريني قمشي المتوفي سنة ١٤٠٣ هـ في النجف، عالماً مجتهداً قد حاز درجة الاجتهاد من المرجع الكبير السيد أبي الحسن الأصفهاني عام ١٣٥٥ هـ كان يدرس مكاسب الشيخ الأنصاري في مدرسة الأخوند الكبرى الخراساني.

ب- مدرسة الآخوند الوسطى: تقع هذه المدرسة في محلة البراق في شارع آل الاعسم وهي قريبة اليوم من شارع(الصادق)، وهي من المدارس العامرة بأهل العلم شيدت بتصميم مشابه لمدرسة الاخوند الكبرى الا انها أصغر حجما منها، معبدة الساحة بالرخام ومنقوشة الجدران بالحجر القاشاني مساحتها (٤٢٠) متراً مربعاً[٢]، ويقول الدكتور الحكيم ان مساحتها ٤٢٠ مترا مربعا بسبب اقتطاع جزء

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٤٦.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات:١٤٦.:١٥١.

منها عند استحداث شارع الصادق[1]، وهي مشيدة بطابقين وعدد غرفها (٣٦) غرفة ولها سرداب تحت الطبقة الأُولى وفيه ثلاثة حمامات ولها مكتبة في الطابق الثاني حدد عدد كتبها الخليلي في ذلك الوقت بقرابة(١٣٠٠) كتاب[2].

قام بمصاريفها الوزير البخاري (استان قلي بك) المتوفي سنة ١٣٣٠هـ وكان وزيرا للسلطان البخاري عبدالأحد الذي له أيادٍ كريمة منها تعميهر مدرسة السيد محمّد كاظم اليزدي.

أسست عام ١٣٢٦ هـ وقد أرخ ذلك الشيخ إبراهيم اطيمش[3] ببيتين من الشعر مكتوبين على بابها بالكاشاني:

هـــذي مدينـــة علـــم وبـــاب ســـر العـــوالم

للعلـــم شـــيدت فـــأرخ لمعـــدن العلـــم (كـــاظم)

١٣٢٦ هـ

وقد اكتسبت هذه المدرسة شهرة كبيرة بمن سكنها من رجال العلم وبمن خرجت من العلماء والمجتهدين، وقلما توفرت الشروط الكاملة للطلاّ ب المجدين كما توفرت لطلاب هذه المدرسة. ومن طلابها الذين سكنوها ودرسوا فيها كان الشيخ نصر الله الخلخالي القائم اليوم بالانفاق على أكثر المدارس الدينية وطلابها في النجف. كما شهدت هذه المدرسة احتفالات دينية كبرى في المناسبات الدينية[4].

١- الحكيم، المفصل: ٤٩/١٦.

٢- الخليلي، العتبات المقدسة:١٤٦/٢.

٣- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٣٨/١.

٤- الحكيم، المفصل:٤٩/١٦.

ج- مدرسة الآخوند الصغرى: موقعها في محلة البراق،وفي الشارع المشهور بشارع (صدتومان) وهي صغيرة مساحة أرضها (٢١٠) أمتار مربعة ذات طبقة واحدة وفيها (١٢) غرفة فقط، أمام كل غرفة ايوان صغير وكان أكثر طلبتها من الافغان[١]. عمرها وشاد بناءها الحاج فيض الله البخاري خازندار الوزير جان ميرزا وقد كان الفراغ من تعميرها في حدود العام ١٣٢٨ هـ[٢].

د- المكتبة: اهتم الآخوند اهتماماً كبيراً بمكتبة المدرسة الكبرى الواقعة عند نهاية (فضوة الحويش الصغرى) من محلة الحويش، ومكتبة المدرسة الوسطى الواقعة في شارع (آل الأعسم) والقاموسي من محلة البراق، حتى ضاقت الغرف المخصصة للكتب في هاتين المدرستين، وقد امتازت مكتبة المدرسة الكبرى بأنها حوت جميع الكتب والمصادر التي يحتاج اليها الطالب من أول دراسته حتى آخر مراحل التدريس، وقد احتوت على كثير من النسخ المكررة بقصد تسهيل الاستعارة، والمطالعة لأكبر عدد من طلاب العلم، أما مكتبة المدرسة الوسطى فعلى انها أقل عدداً من المكتبة الأُولى فقد كانت تضم الكتب النادرة للدراسات العليا على غرار مكتبتي مدرستي الخليلي وإن حال المكتبتين اليوم بسبب فقدان العناية ومرور الزمن، كحال مكتبات المدارس الأُخرى من التلف وفقدان الكتب المهمة ومع ذلك فإن مكتبة المدرسة الكبرى لا يقل عددها عن (٢٠٠٠) كتاب وبضمنها المخطوطات النادرة المهمة.

١٣- مدرسة البادكوبي١٣٢٥ هـ

مدينة النجف الاشرف محط الرحال، ومهوى الافئدة، وميناء المحبين، ممن

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٥٢.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣٨/١.

ذابوا بحب المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه، وبضعته، وريحانتيه، والتسعة المعصومين من ذرية سيد شباب اهل الجنة(صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين).

مدينة كان فيها الدرس وتحصيل العلوم، من ابرز معالمها وبه صبغت هويتها.. فقصدها البعيد والقريب للنهل من معين علمائها، فشكلت الحلقات التي درس فيها الطالب العراقي والهندي والايراني والتركي والباكستاني والافغاني والاذربيجاني، وغيرهم الكثير من الجنسيات والقوميات التي ذابت جميعها في بوتقة هذه المدينة المشرّفة.

فأسست العديد من المدارس الدينية لتستوعب هذا الجمع المبارك من الوافدين، مدرسة(البادكوبي او البادكوبئي) من بين تلك المدارس التي سكنها (طلاب بخاريون من أهل بخارى وبادكوبيون وأتراك من قفقاسية على الأغلب وعددهم أكثر من عشرين طالباً)[1].

وبادكوبة مدينة شيعية من مدن أذربيجان الواقعة في الاتحاد السوفياتي سابقاً وهي الان عاصمة مقاطعة أذربايجان بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، قدم منها المحسن الحاج علي نقي البادكوبي الى النجف عام ١٣٢٥ هـ ومكث فيها مدة تقارب السنة بنى فيها مدرسة (البادكوبي) في محلة المشراق على أرض تقدر مساحتها بثمانمائة متر تقريباً وفيها ثمان وعشرون غرفة في طابق واحد، كما شيد بجانبها من جهة الغرب مسجد كبير ايضا يعرف بمسجد باب السيف. وفي جنبها الشرقي ساحة صغيرة بمساحة (١٠٠) متر مربع بنيت فيها ثمان غرف اخرى في طابقين ولها طريق واسع يوصلها بهذه المدرسة[2].

وكان لفتح شارع (زين العابدين) عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٢ م الموازي للسوق

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٥٠.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٣٣.

الكبير لمواكبة التطور العمراني في المدينة المقدسة وازياد أعداد الزائرين اليها، اقتضت ازالة الضلع الشمالي من هذه المدرسة لربط المرقد الشريف بمدخل المدينة، لتفقد المدرسة بذلك جزءاً كبيراً من مساحتها ولم يبق من غرفها سوى ستة عشر غرفة[1]، كما ازيل المسجد الملاصق للمدرسة تماما.

وكان لآية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي نية شراء الدور الواقعة خلف المدرسة والتي تصل الى علوة الاسماك لبناء مدرسة واسعة، ولكن المشروع لم ينفذ لجملة عراقيل وضعتها السلطة، وان تطور الاحداث منذ عام ١٩٨٠م وما بعدها ادى الى تجميد هذا المشروع العلمي الكبير.

أهملت هذه المدرسة في الفترة السابقة وآلت الكثير من معالمها الى الانهدام بعد ان هجرها الطلبة وتعطل فيها الدرس، والمتجه اليوم الى العتبة العلوية المقدسة من جهة شارع الامام زين العابدين(عليه السلام) يلاحظ على يمينه ما تبقى من اطلالها وقد وضعت أخيرا عليها لافتة كتب عليها (مدرسة البادكوبي).

ومن بين اشهر من سكن في هذه المدرسة الميرزا أحمد بن الحاج صالح البادكوبي المولود في حدود(١٣٠٠هـ) تلميذ السيد محمد بن محمود الحسيني العصار الطهراني الذي ذكره صاحب الذريعة أثناء عرضه لكتابه(رسالة الاشراقات الرضوية في شرح المنظومة السبزوارية)، وكان هذا الكتاب قد نسخه البادكوبي عن خط استاذه اثناء اقامته في مدرسة البادكوبي في النجف وفرغ منه في صفر(١٣٤٦هـ)، وأضاف الطهراني متحدثا عن البادكوبي قائلا: (وهو من المدرسين اليوم في النجف في حجرته في مدرسة البادكوبي في النجف. وقد كتب كثيرا من تصانيف أستاذه المذكور أوان تتلمذه عنده في مشهد خرسان. رأيتها عنده في حجرته المذكورة)[2].

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٥٠.

٢- الطهراني، الذريعة: ١١/ ٧٩ - ٨٠.

١٤- مدرستا السيد اليزدي

شيد آية الله العظمى السيد اليزدي مدرستين معروفتين من مدارس النجف الدينية، حملتا أسمه وميزت أحداهما عن الاخرى من خلال الحجم فكانت الاولى واحدة من أشهر المدارس الدينية في النجف الأشرف والمعروفة باسم مدرسة اليزدي الكبرى والثانية شيدها نجله بعد أكثر من خمسين سنة من تاريخ بناء الاولى وحملت ذات الاسم وذيلت بالصغرى، ومازالت الاولى قائمة الى يومنا هذا الا انها معطلة وخالية من طلبتها لحين اكمال تعميرها، اما الثانية فقد هدمت وبقيت ذكرى يوم ازال النظام السابق من الوجود محلة العمارة سنة ١٩٨٩م.

أ-مدرسة السيد اليزدي الكبرى: تقع في محلة الحويش في الزقاق المؤدي الى شارع الرسول من جهة، والى سوق الحويش من الجهة الاخرى، وفي ذات الزقاق الذي فيه مدرسة الفاضل الشرياني قبل استحداث شارع الرسول(صلى الله عليه وآله) وكانت تعد من أكبر المدارس المشيدة في النجف تلك الفترة وأفخمها يصفها محبوبة فيقول: (لا نظير لها في فخامة البناء والسعة وكثرة الغرف)[1].

بنيت مدرسة اليزدي عام ١٣٢٧هـ كما تحكيه ابيات الشعر التي تعلو بابها:

قد ابهج المصطفى وعترته ... بذا وقالوا شيدت دعائمنا

ياطالبي فقهنا وحكمتنا ... دونكم هذه معالمنا

مدارس الدين أرخوا (لكم ... جدد للعلوم كاظمنا)[2]

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٣٩/١.

٢- حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف:١١٤/١.

وقد شيدت بهندسة رائعة وزخرفت جدرانها بالنقوش والزخارف الاسلامية المميزة، وكسيت أرضها بالرخام وغلفت جدرانها بالحجر الكاشاني البديع، تحتوي على (٨٠) غرفة في طابقين. وأمام كل غرفة ايوان صغير، ولها عدة سراديب وبعدة طوابق، كما كسيت أرضها وجدرانها بالحجر الكاشاني، فكانت من أغرب وأروع ما انشئ تحت الأرض، لدرجة انها اصبحت مضربا للامثال ومحطا لأنظار السواح والزائرين، يصفها الاستاذ محمد ثابت(الرحالة المصري) فيقول: (ترى نصف البلدة تحت الارض في سرداب في طبقات قد تفوق الخمس، نزلت في بعضها فبدت كالتي لا يعلم لها اول ولا آخر، وهم يختبؤون فيها من وهج الصيف، ويدبرون فيها ثوراتهم ويكتمون اسرارهم)[1].

أسسها وعمرها بأمر الإمام السيد محمّد كاظم اليزدي الوزير البخاري (استان قلي) الذي عمر مدرسة الأخوند الوسطى على أرض مساحتها (٧٥٠) متراً مربعاً. وقد ابتدأ تعميرها سنة ١٣٢٥ هـ وأكمل بناءها في سنة ١٣٢٧ هـ [2].

وقد أوقفت لها العديد من الموقوفات تصرف وارداتها في شؤون المدرسة من ماء وكهرباء وما تحتاجه من أعمال الإدامة.

وقد أرخ بناءها بعد الاكمال بعض الأُدباء وكتبت تلك الأبيات على جدرانها بالكاشاني من بينهم الشيخ عليّ المازندراني الذي قال مؤرخاً:

أسسها بحر العلوم والتقى ... محمّد الكاظم من آل طبا

وفي بيوت أذن الله أتى ... تأريخها (لكن بحذف ما)

١- الحكيم، المفصل:١٦/٤٥، عن.. محمد ثابت، جولة في ربوع الشرق: ١٠٦.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٢/ ١٥٢.

٣- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/ ١٤٢.

بعد انتهاء بناء المدرسة أنشئت فيها واحدة من أكبر وأهم مكتبات المدارس الدينية في النجف الاشرف، مكتبة عامرة بالمصادر المهمة وبعدد من المخطوطات القيمة. وميزة هذه المكتبة ليس في وفرة كتبها وما تضمه من المصادر التي يحتاج اليها طلاب العلم فحسب، وإنما بحفظ كتبها من الفقدان والتلف قياسا بمكتبات المدارس الأُخرى، والسبب ان هذه المكتبة كانت موضع عناية خلفه السيد عليّ اليزدي، وقد كان من المراجع الروحانيين بعد أبيه، ثم موضع عناية أولاده وأحفاده حتى اليوم، ولما كان انفراد السيد محمّد كاظم اليزدي بالزعامة الروحانية الشيعية انفراداً قل نظيره في التأريخ، فقد سهّل ذلك تأسيس أكبر مكتبة بالنسبة لمكتبات المدارس في أفخم مدرسة في يومها وهي اليوم احدى مكتبات المدارس المهمة في النجف[1].

ب- مدرسة اليزدي الثانية: لم يكن في النجف الأشرف قديما فنادق أو أماكن عامة تسع الوافدين اليها لزيارة مرقد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) من هنا جاءت الفكرة لسماحة السيد محمد كاظم اليزدي لإنشاء مكان يأوي الزائرين فاشترى في محلة(العمارة) وبالقرب من دار السيد محسن الحكيم(قدس سره)، أرضا كانت دارا لبعض العلويين وشيدها(خانا) للزوار، متصلاً من الغرب بمدرسة الخليلي الصغرى ومن الجنوب بمدرسة الخليلي الكبرى يعرف (بخان الوقف)[2].

ومع مرور الوقت رأى نجله السيد أسد الله اليزدي ان هذا الخان قد أصبح عاطلا ولا فائدة فيه اليوم بسبب كثرة الفنادق والمساكن للوافدين والزوار فأقام مكانه مدرسة لطلاب العلوم الدينية بعد استشارة سماحة السيد محسن الحكيم

١- الخليلي، مكتبات النجف القديمة والحديثة: ٥٩

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٢/ ١٦٧

واستفتائه له في جواز هذا التصرف والتغيير[1].

لتشيّد مدرسة بطابقين على أرض مساحتها (٦٠٠) متر مربع وعدد غرفها (٥١) غرفة منها (٢٥) في الطابق الأول المقام على سرداب كبير و (٢٦) غرفة في الطابق الثاني، وفي الطابق الأول قاعة محاضرات كبيرة (المَدْرس)، وفي الجنوب الشرقي منها أربعة حمامات صيفية ومغاسل وأمام الغرف كلها في كلا الطابقين ممر بعرض مترين ونصف متر مسقف بالحديد والآجر وقائم على أعمدة من الاسمنت، والحديد، وهي مدورة الشكل وقد زينت دورتها من أعالي السقف الدائر بالآيات القرآنية مكتوبة بالكاشاني الملون البديع.

وقد شرع في بنائها سنة ١٣٨٤ هـ، وقد أرخ عام الابتداء في تعميرها السيد موسى بحر العلوم بقوله:

بشرى بها مدرسة عائدة ... على هواة العلم بالفائدة

اسسها (الكاظم) من حلمه ... بنية راسخة القاعدة

ثنى بها مدرسة فاغتدت ... في حسنها الثانية الواحدة

فأصبحت عيداً لمن هاجروا ... للعلم والسكنى بها المائدة

وعدها الدهر بتأريخه ... (من حسنات السيد الخالدة)[2]

والمؤسف له ان هذه المدرسة أزيلت كما ازيلت الكثير من معالم النجف بعد تنفيذ مشروع مدينة الزائرين عام ١٩٨٩م.

١٥- المدرسة الهندية١٣٢٨هـ

مدرسة الهندي او (مدرسة الإمام الباقر عليه السلام)كما سميت زمن النظام

١- ن . م: ٢/ ١٦٨

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:٢/١٦٩.

السابق في حملة لتغيير تاريخ هذه المدينة الاسلامي الامي من خلال جهد خبيث مزج فيه السم بالعسل باختيار اسماء ائمة اهل البيت كعناوين لهذه المدارس.

تعد هذه واحدة من تلك المدارس المنتشرة في مدينة النجف الأشرف بما تحمله من تاريخ أثقل بذكريات الدرس وتحصيل العلوم.

تكثر الأزقة الضيقة في محال النجف القديمة وهو جزء من أسلوب تخطيط هذه المدينة العريقة، والمتوجه لمدرسة الهندي في محلة المشراق يجد بابها الرئيسية نهاية دربية(دولان) ضيقة وطويلة وتطالعك باب المدرسة ولوحة (الكاشي الكربلائي) التي خط عليها أسم المدرسة بشكل بارز(مدرسة الامام الباقر(عليه السلام)).

شيدت المدرسة على أرض مساحتها(٦٠٠) م مربع، أنشأها المحسن ناصر على خان أحد أهالي (لاهور) -من ملحقات البنجاب الهندية - حيث أشتراها وشيدها مدرسة للهنود سنة ١٣٢٨هـ وعدد طلابها ذلك الوقت لايتجاوز (٣٨) طالبا[١]. وقد كان محلها قديما دارا لبعض أحفاد العلامة الحجة السيد بحر العلوم(رحمه الله)[٢].

يتصل طرف مدرسة الهندي الجنوبي بمدرسة القوام المعروفة، زرنا المدرسة وقد وجدناها تتألف من طبقة واحدة وفيها(٢٢) غرفة يشغل الطلبة منها ٢٠ غرفة وقد خصصت أحدى غرفها كي تكون مكتبة للمدرسة وغرفة واحدة في السطح.

لا يختلف تصميم مدرسة الهندي كثيرا عن تصميم باقي المدارس الدينية في النجف الأشرف، فقد روعي في بناء أغلب هذه المدارس طبيعة المدينة وطقسها، خصوصا من ناحية حرارة الجو في أشهر الصيف، فكان من الضروري حفر سراديب تحت الغرف لتكون سكنا لطلبة المدرسة أيام الحر في الصيف.

شيدت غرف مدرسة الهندي على أربع جهات وترك وسطها مكشوفا فارغا

١- الخليلي، موسوعة العتبات:١٥٤.

٢- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١٣٣.

ليؤلف صحنا واسعا في وسطه حوض ماء، تتراوح مساحة غرفة المدرسة بين ستة إلى تسعة أمتار مربعة وأمام كل غرفة إيوان صغير خاص بها نقشت جدرانه وسقوفه بالطابوق المزجج والمرصوف بطريقة جميلة وبريازة أسلامية بديعة والمؤسف إن أغلب قطع هذه الزغرفة قد تساقطت بسبب عمر المدرسة الكبير.

يشغل غرف المدرسة العشرين مجموعة من الطلبة القادمين من المحافظات الجنوبية في العراق.. وقد خصصت أحدى غرفها كي تكون مكتبة حيث رتبت على رفوفها مجموعة من الكتب تقدر بثلاث مائة كتاب بين حديث وقديم ولمختلف العناوين الفقهية.

كما يوجد في المدرسة سرداب بثلاث طوابق يقع تحت غرف المدرسة الموزعة على محيطها وقد زود السرداب بشبابيك تطل على باحة المدرسة لإيصال النور والهواء إليها.

وعادة ما يستغل فضاء المدرسة الواسع الطلبة الهنود والبكستانيون من أهالي منطقة كشمير في كل محرم من كل عام لإقامة مأتم العزاء الحسيني.

يؤدي إلى سرداب المدرسة باب مدخله يطل على الباحة حيث يؤدي إلى الأسفل من خلال سلم حلزوني يلتف نحو الأسفل في نهايته فسحة صغيرة وأمامها ممر شيدت جدرانه وسقوفه بدقة وبهندسة جميلة تجذب المتأمل لها، يحيط هذا الممر بجميع جهات المدرسة فهو يمتد باستقامة منتظمة ويأخذ بالاستدارة في نهايته، وعلى جانب هذا الممر المتجه نحو المركز توجد جدران علمت شكل الغرف وفيها فتحات تربط هذه الفسحات مع بعضها البعض.

وفي الطابق الثاني للسرداب الذي ينزل إليه من خلال سلم حلزوني آخر حيث تواجه الداخل قاعة كبيرة علقت في نهايتها سبورة لا زالت عليها آثار الكتابة.. كما توجد على يمين تلك القاعة، قاعة أخرى مشابهة لسابقتها ولكنها أضيق قليلا، أستخدمت هاتان القاعتان لألقاء الدروس، وفي استدارة بسيطة داخل هذه القاعة يقابلك جدار يعلن بإنتهاء هذا السرداب، على يمينه يوجد

سلم ثالث يؤدي إلى سرداب صغير ثالث كان يحوي على منضدة الدرس وبعض الأغراض التي تدل على إنها لطلبة سابقين.

من بين ابرز الذين سكنوا مدرسة الهندي السيد علي القاضي الطباطبائي وهو العالم العابد الفقيه المحدّث والشاعر المفلق ولد سنة ١٢٨٥ هـ وتوفي سنة ١٣٦٦ هـ.

وقد حدثنا الشيخ عباس هاشم وزيري وهو من الطلبة الكشميرين وكان قد قدم العراق عام ١٩٦١م وهو من المترددين على هذه المدرسة منذ أكثر من أربعين عاما بقوله:عندما قدمت العراق في ستينات القرن الماضي كان يتولى هذه المدرسة السيد حسين نوري كمونة وكان خلفا لتولية أبيه، ومن بين ابرز الطلبة اللذين سكنوا هذه المدرسة يقول الشيخ وزيري: عاصرت الشيخ علي جسام وهو من فضلاء الحوزة وكان وكيلا للسيد محسن الحكيم (قده) في مدينة المسيب، كذلك أدركت الشيخ غلام حسن الكشميري وهو من الطلبة البارزين من أهالي كشمير، وكذلك السيد مهدي القاضي وهو من الخطاطين الموهوبين وكان له خطوط كثيرة في المدارس والجوامع النجفية وغيرهم الكثيرين.

وكان الشيخ عباس القمي(صاحب كتاب مفاتيح الجنان) يلقي دروسه فيها، كما كان السيد محسن الحكيم(قدس سره) يقيم صلاة المغرب فيها.

وللغرفة ١٦ في هذه المدرسة والتي يشغلها اليوم متولي المدرسة ذكريات كبيرة يوم كان يشغلها استاذ العرفاء السيد علي القاضي الذي يقول عنه تلميذه العلامة الطباطبائي- صاحب الميزان- : (كل مالدينا من المرحوم القاضي)[1]، ويصفه آية الله الحسيني الهمداني فيقول: سأل الحاج حسين القمي السيد الخوئي عقب مجلس عزاء القاضي: ما كان مقام القاضي؟ اجاب: إن كان لما رأيناه من المرحوم اية الله القاضي حقيقة عند الله فهو السماء و أنت الأرض و ان لم تكن له حقيقة

١- الحسيني الطهراني، محمد حسين، الروح المجرد:٢٨٥

فالعكس)[1]. كما سكن هذه المدرسة عارف آخر هو السيد هاشم الحداد في ذات الغرفة التي شغلها قبله السيد بحر العلوم.

١٦- مدرستا البروجردي ١٣٧٣ هـ

شيد آية الله العظمى السيد البروجردي مدرستين علميتين معروفتين من مدارس النجف الدينية، وكان لطلبة العلوم الدينية في النجف الاشرف ذكريات جميلة.

وقد طرأ على هاتين المدرستين الكثير من التغيّرات حيث اقتطع من المدرسة الكبرى مايقارب النصف بحجة اعمار وتطوير المدينة، وانشئ مكانها محلات تجارية وذلك سنة ١٩٨٤م[2].

أما الثانية وهي الصغرى فقد ازيلت تماما سنة ١٩٨٩م[3] يوم نفذ مشروع مدينة الزائرين المزعوم وهدمت محلة العمارة بما فيها من مساجد ومدارس ومقابر الكثير من العلماء.

وسنحاول تسليط الضوء بشيء من التفصيل عن كل واحدة من هاتين المدرستين وكما يلي:

أ. مدرسة البروجردي الكبرى: تقع هذه المدرسة في الشارع الذي يربط بداية السوق الكبير بشارع الصادق من جهة الطرف الشرقي للصحن العلوي الشريف، اسسها المرجع الديني آنذاك السيد حسين البروجردي(قده) عام ١٣٧٣ هـ وكانت مساحتها بحدود ٧٠٠م تقريبا ذات ثلاثة طوابق تحوي ٦٠ غرفة وسرداب بعمق ٧

١- ورقة من دفتر الشمس: ٣٢

٢- الحساني، حسين جهاد، مدارس النجف الدينية: ٤٣.

٣- الحكيم، المفصل: ٤٣/١٦.

امتار وفيها مكتبة كبيرة[1].

وفي سنة١٤٠٤هـ /١٩٨٤م اقتطعت مساحة منها بحجة الإعمار وتطوير المدينة[2] ومساحتها الان ٣٥٠م وتحتوي على ٣٢ غرفة وقد سميت بأسم الامام الحسين (عليه السلام).

ويصف الخليلي في موسوعته تضافر الفن الايراني والفن الهندي في انشاء هذه المدرسة التي شيدت لتكون معهدا للدارسين من طلبة العلوم الدينية، فكانت طوابقها الثلاث تضم غرف الطلبة دون أن يكون لكل غرفة ايوان كغيرها من المدارس الأُخرى، وعند مدخل المدرسة ساحة صغيرة وكل غرفة مؤثثة بالسجاد الذي حيك خصيصاً لها، ولها في الطابق الأول قاعة محاضرات كبيرة، وصالة للصلاة والبحث والتدريس، كما ان لها مكتبة عامرة منظمة أحسن تنظيم وحافلة بالكتب القيمة العلمية والفقهية وبعض المخطوطات القديمة، وعدد كتبها نحو (٨٠٠٠) كتاب، وعدد طلابها (٦٠) طالباً يسكن كل طالب في غرفة واحدة ويشترط في قبوله فيها أن يكون من متوسطي الدراسة الدينية وبشهادة يحملها من أحد الأعلام، وأن يكون مجرداً من العائلة. وهؤلاء الطلاب كانوا يتقاضون مرتباً شهرياً كل بحسب درجته العلمية في زمن مؤسس المدرسة الإمام السيد حسين البروجردي[3].

وقد أرخ العلامة السيد موسى آل بحر العلوم بأبيات كتبت بالحجر القاشاني تاريخ تشييد هذه المدرسة:

هـذه مدرسـة شـيدت لمـن ... طلب العلم ومن أدى فروضه

أسـسته يـد أعلـى مرجـع ... زاده الله مـن الجـاه عريـضه

١- محبوبة، ماض النجف وحاضرها:١٤٣، الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٥٥.

٢- الحساني، مدارس النجف الدينية:٤٣.

٣- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٥٦.

للحسين بن علي أجرها جبر الله به الحق مهيضه
وعن الصادق قد أرختها طلب العلم كما جاء فريضه
١٣٧٣

وأثناء زيارتنا لهذه المدرسة وجدناها وقد عادت اليوم بحلة جديدة بعد عمليات الترميم الواسعة التي جرت فيها وكتب على بابها بالكاشي الكربلائي الملون اسم المدرسة(مدرسة البروجردي) ومجموعة من الآيات القرآنية من كتاب الله العزيز.

مع بناء المدرسة اسست لها مكتبة كبيرة غنية بالكتب من مصادر ومراجع ليستعين بها طلابها في المراجعة والتتبع، وأكثر كتبها كأغلب مكتبات المدارس العامة تعنى بالفقه، والأُصول، وعلم الكلام، والرجال، بالاضافة إلى مئات المراجع التأريخية والأدبية وكانت تحتوي على ٨٠٠٠ مجلد لأُمهات الكتب ومن بينها الكثير من المخطوطات القديمة في التفسير والحديث والفقه.

يقول الشيخ الطهراني ان فيها بعض الأسفار النفيسة والآثار النادرة، وقد رأيت كافة مخطوطاتها[1].

إلا ن الكثير من كتب هذه المكتبة وكغيرها من مكتبات النجف الاشرف تعرضت للتلف والضياع والمصادرة نتيجة لاستهدافها من قبل السلطة البائدة في تلك الفترة.

سكن هذه المدرسة الكثير من طلبة العلوم الدينية كما كانت منبراً للعديد من أهل الفضل والسماحة القو فيها دروسهم ومحاضراتهم، منهم السيد اسد الله المدني الذي يصفه تلميذه السيد علي الميلاني فيقول: (هذا الرجل الذي كان عالماً

١- آغا بزرك، نقباء البشر: ٢ / ٦٠٥ .

عاملاً بعلمه واعظا وكان يدرس في مدرسة البروجردي)[1].

وممن سكن في هذه المدرسة المباركة الشيخ حسن طراد أحد الفضلاء اللبنانيين المعروفين يوم قدم الى العراق سنة ١٩٥٤م - ١٣٧٤هـ لطلب العلم والتزود من معين النجف الثر، ويقول عن تلك التجربة واصافا كثرة الطلبة وامتلاء مدارس المدينة بهم فيقول: (وبعد أن حططت الرحال في ضيافة هذا الأخ الكريم بدأت البحث معه عن غرفة في احدى المدارس الدينية المؤسسة لسكنى طلاب العلوم الحوزوية، وحيث كان الطلاب في ذلك التاريخ كثيرين جدا الى درجة اضطر معها اولياء هذه المدارس لأن يسكنوا في الغرفة الواحدة اكثر من طالب، أجل لهذا السبب لم اظفر بالسكن المطلوب في هذه المؤسسات المباركة وتمت الموافقة على السكنى في غرفة مستقلة مبنية فوق مدفن معد وموقوف لأن يدفن فيه افراد عائلة آل ياسين وهم عائلة علمية محترمة منهم اية الله العظمى الشيخ محمد رضا ال ياسين (قدس) وأخوه حجة الإسلام المغفور له الشيخ مرتضى وكلاهما مدفون في هذا المكان، ورغم ان العنوان المعروف به هذا المكان يقتضي بطبعه الزهد في السكنى فيه، من الناحية الاعتبارية ولمن الحرص على حفظ الوقت واستفراغ الجهد في سبيل تحقيق الهدف المقصود اقتضى غض النظر عن الاهتمام بالقضايا الاعتبارية في سبيل المهمة الجوهرية ونويت الإقامة فيه لتكون دراستي تامة بالاستيعاب والاستحضار الذي يسهل تحصيله في الجو الهادئ والمكان المستقل ومضت علي اقامتي فيه مدة سنة ونصف تقريبا واقتضت المصلحة بعد ذلك مغادرته الى غرفة مستقلة في مدرسة مجاورة لحرم الإمام (عليه السلام) تسمى بمدرسة البروجردي الكبرى وكان حصولها بالسعي المشكور الذي بذله يومذاك حجة الإسلام المغفور له السيد اسماعيل الصدر (قدس سره)، استاذي في اصول الكفاية والرسائل، وبعد الظفر بالمكان المناسب بدأت البحث

١- مجلة الولاية، العدد٤٩، حوار مع السيد علي الميلاني.

عن الأستاذ المناسب الواجد للكفاءة العلمية التي تساعده على اعطاء الدروس الراقية الاسلوب العلمي النافع والبيان الواضح، وقد ساعد التوفيق الإلهي على ادراك هذه الأمنية في شخص المرحوم حجة الإسلامي السيد الصدر المذكور، وقد درست على يده الكفاية بجزئيها والرسائل كلها خلال مدة اربع سنوات)[1].

ب- مدرسة البروجردي الصغيرة: شيّدت هذه المدرسة على يد السيد هاشم البهباني عام ١٣٧٨هـ، واطلق عليها أسم "مدرسة البروجردي" لانها أسست بأمر السيد حسين البروجردي.

تقع هذه المدرسة المشيدة على أرض مساحتها (٣٥٠) متراً مربعاً في رأس سوق العمارة الصغير الذي ينتهي بشارع دورة الصحن مقابل باب الصحن المسمى (بالباب السلطاني) نسبة إلى السلطان ناصر الدين شاه القاجاري الذي فتحه عند زيارته للنجف الأشرف وقد كانت داراً معروفة باسم(بيت القاضي) ذات طابقين تشبه في هندستها مدرسة البروجردي الكبرى، وكان عدد غرفها (٢٠) غرفة وطلابها أربعون طالباً حسب ماينقله الخليلي في موسوعته، مضيفا: ان في كل غرفة يسكن اثنان من الطلاب على ان لا يكون الطالب رب عائلة أو رب دار في البلد، وقد كان أكثر سكانها من الباكستانيين[2].

وقد تبرع بشراء أرضها وتعميرها السيد هاشم البهباني بأمر من الإمام السيد حسين البروجردي، كما عين لكل طالب فيها ديناراً واحداً شهرياً، ثم عين السيد هاشم لكل غرفة من غرفها سجادة ايرانية على قدر مساحة الغرفة. وجعل المتولي عليها الشيخ نصر الله الخلخالي[3].

وقد كان تأسيسها في عام ١٣٧٨ هـ وأرخها الخطيب السيد عليّ الهاشمي

١- الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف: ١٣٣/٤.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ١٥٩/١.

٣- ن . م

بقوله[1]. وقد كتب التأريخ بالحجر الكاشاني على الجبهة المقابلة للداخل:

معهد علم بالغري شاده — الهاشمي هاشم بن أحمد
باسم فقيه العصر موئل الورى — سيدنا (الحسين) فخر المقتدي
نادى به رائد أرباب الهدى — أرخ (لقد شيد خير معهد)

١٣٧٨ هـ

كما ينقل البعض تاريخا آخر لبناء هذه المدرسة هو عام ١٣٧٩هـ، ولعله تاريخ الانتهاء من البناء[2].

المؤسف له ان هذه المدرسة قد ازيلت تماما سنة ١٩٨٩م[3] يوم نفذ مشروع مدينة الزائرين المزعوم وهدمت محلة العمارة بما فيها من مساجد ومدارس ومقابر الكثير من العلماء.

١٧ ـ المدرسة(اللبنانية) العامليين ١٣٧٧ هـ.

اختصت المدارس الدينية في مدينة النجف الاشرف ببعض البلدان كمدرسة (الايرواني) الخاصة بالترك من الطلاب، ومدرسة (الهندي) الخاصة بالطلاب الهنود، والمدرسة الافغانية، وغيرها من المدارس.

مدرسة (العامليين) او اللبنانية كما تسمى ايضا، هي من بين تلك المدارس التي اختصت بالطلاب اللبنانيين على الأكثر، وقد وضع على بابها شعار "شجرة الارز".

تقع هذه المدرسة في محلة الجديدة وفي المنطقة المعروفة بـ(خان المخضر) وقد

١- ن . م

٢- الفضلي، دليل النجف الاشرف: ٧٣.

٣- الحكيم، المفصل: ٤٣/١٦.

اسست على أرض مساحتها (١٥٠٠) متر مربع وشيد فيها قرابة الـ(٤٠) غرفة؛ منها سبع عشرة غرفة على جانبي مسلك باب المدرسة في شرقها وغربها. وفيما بين كل صفين من الغرف صالون وسيع، ثم بعد هذه المجموعة ساحة كبيرة؛ وفي مقابل هذين الجناحين من الغرف المذكورة بنيت حديثاً غرف اخرى وعددها ٢٣ غرفة.

وفي هذا البناء الجديد ايوانان واسعان شمالي وجنوبي، وقاعة كبيرة تحتها سرداب بمساحة (٢٠٠) متر مربع، كما بنيت فيه مكتبة وصالون للمطالعة وغرفة لادارة المدرسة[١].

اقام هذه المدرسة وسعى في إنشائها الشيخ محمّد تقي الفقيه العاملي بمباركة ومساعدة سماحة اية الله العظمى السيد محسن الحكيم(قدس سره) وتبرعه لهم بمبلغ من المال قدره(١٥٠٠) دينار[٢]، بالاضافة لجهود طلبة العلم العاملين، وسعيهم لجمع مبالغ من المحسنين في دولة الكويت وغيرها للمساعدة في اكمال المدرسة على ما هي عليه اليوم[٣].

يسكن المدرسة اليوم الكثير من طلبة العلوم الدينية القادمين من محافظات العراق وتقدم لهم الكثير من الخدمات والتسهيلات والتي من ابرزها السكن المجاني مضافاً لها وجبة الطعام المجانية كما زودت مكتبتها بقرابة الالف كتاب في مختلف مجالات المعرفة الاسلامية التي تساعد الطلبة على التزود منها بمختلف المعارف.

من بين من سكن هذه المدرسة العاملية سماحة الشيخ علي الكوراني الذي يتكلم عن تجربته تلك في كتابه(الى طالب العلم) فيقول: (حط رحالنا في النجف الأشرف، وأنزلني اقرباؤنا في المدرسة العاملية، ثم ذهبنا الى زيارة كبير العامليين

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة:١٥٨.

٢- ن . م

٣- الحكيم، المفصل: ٦٣/١٦.

اية الله الشيخ محمد تقي الفقيه، فرحب بي وسألني عن استاذي الشيخ ابراهيم، وعن دراستي، وأبدى اعجابه.

وأمرهم أن يعطوني غرفة في المدرسة، وان يعمموني، وكنت البس عقالاً، وأمرهم ان لا أخرج وحدي وان يكون الشيخ مفيد مسؤولا عن أموري، وقال لي: بإمكانك ان تحضر عندي درس المعالم واللمعة.

ودعانا الشيخ مفيد لطعام العشاء، وكان كبير العامليين بعد عمه الشيخ محمد تقي، وفي اليوم التالي ذهبت معه الى زيارة امير المؤمنين (عليه السلام)، والشيعي مهيأ بطبعه لزيارة امامه علي (عليه السلام)، والحديث الحار معه، لأنه صلوات الله عليه، هو انتماؤه ومذهبه، ونبضه وانشودته.

كانت الهيبة والإجلال مسيطرين علي في أول زيارة، وأنا اقرا مع الشيخ مفيد الاستئذان عند الباب الأول، والزيارة ودعاءها في مواجهة الضريح المقدس، ثم اشار لي ان امسك بالضريح فأمسكت وسلمت على امامي صلوات الله عليه مجدداً، وقلت له ما أمرني الوالد (رحمه الله) أن أقوله[1]، وبكيت، وأشار الشيخ مفيد ان نصلي ركعتي الزيارة فصلينا ودعونا ثم نهضنا.

وبعد الزيارة، رجعنا من السوق الكبير الذي جئنا منه، فاشترينا الوسائل اللازمة للغرفة، وذهبنا ورتبناها، فأكملت بذلك اعداد سكني لأبدا في اليوم التالي اول أيام دراستي في حوزة النجف)[2].

١٨- مدرسة دار الحكمة١٣٨٢ هـ

١- تحدث الشيخ الكوراني في مذكراته ان والده قد وهبه لامير المؤمنين(عليه السلام) فقال: (إذهب يا بني وهبتك لله! إذا وصلت الى النجف فأمسك بضريح أمير المؤمنين(عليه السلام) وقل له: يا أمير المؤمنين، إن والدي وهبني لكم، فا قبلني واجعلني في حماك..!، انظر: الكوراني، علي،الى طالب العلم:٥٦. الطبعة الاولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠.

٢- الكوراني، الى طالب العلم: ٥٨-٥٩.

بعد انتعاش الحركة الفكرية والثقافية في مدينة النجف الأشرف وازدياد أعداد الوافدين إلى المدينة المقدسة من طلبة العلوم الدينية برزت الحاجة إلى إنشاء أماكن دراسية لاستقبال هؤلاء بما يسهم في رفد ومواكبة هذه الحركة وديمومتها.

فانبرى العلماء الى بناء مدارس خاصة لتكون مراكز لتجمع الطلبة وفضلاء الشيعة يتدارسون فيها ويتباحثون في أمور دينهم ودنياهم.

من بين هذه المدارس، مدرسة دار الحكمة التي أسسها آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قده)، حيث صارت محط أنظار الأساتذة والفضلاء وطلبة العلوم الدينية المتلهفين لدراسة علوم أهل البيت(عليهم السلام)والتخصص بها.

كان افتتاحها في سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٨م)، في محلة المشراق قرب الساحة المعروفة(بفضوة المشراق) البالغة مساحة أرضها(٧١٤) مترا مربعا أشتراها سماحة السيد(قده) ليشيدها مدرسة، وهي عبارة عن دارين أحداهما دار أمين شمسه ومساحتها (٤٨٤) متراً مربعاً والثانية دار لطيف أبو اصبيع ومساحتها (٢٣٠) متراً مربعاً[1].

وبعد أنْ توفي الإمام الحكيم(قده) بعد سنتين من افتتاحها تحولت إلى رعاية السيد محمد رضا الحكيم احد أنجال السيد(قده).

سكن هذه المدرسة الكثير من الطلبة، كان من بينهم الشيخ مجتبى اللنكراني الذي يقول عنه السيد علي الميلاني: (من ابرز اساتذتي في المقدمات والسطوح المرحوم الشيخ مجتبى اللنكراني هذا الشيخ الجليل المعروف بزهده وبساطته، فقد كان يعيش من الصلاة الاستئجارية، وقد درس المكاسب والعقائد والأصول وكان استاذا بارعا متمكنا حتى طلب منه السيد محمد رضا الحكيم نقل دروسه

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢/ ١٦٩.

الى مدرسة دار الحكمة)[1].

مرت الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف بحالة من الانكماش والتراجع المؤقت بسبب الأعمال الغير مسبوقة التي مورست ضدها.

فما ان تسلط النظام السابق على مقاليد الحكم في العراق حتى بدأت محاولات التضييق والتهجير على الحوزة العلمية الشريفة من خلال حملات المداهمة والاعتقال والأعمال التعسفية التي مورست ضد الطلبة والعلماء.

وكان من بين هذه الممارسات ما شهدته مدرسة دار الحكمة عندما تم هدمها بالديناميت، ما أدّى إلى انهيار البناية بكاملها التي كانت تضم(١٨٠) غرفة في عِدّة طوابق[2].

لتطوى صفحة مهمة من تاريخها، وتعيش في ذاكرة أهل المدينة كذكرى حزينة،

وبشكل مؤقت تم أعادة افتتاح هذه المدرسة في مدينة قم المقدسة واستقبلت طلبة العلوم الدينية فيها رغبة في التواصل رغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها هذه المدرسة.

وبعد سقوط النظام السابق تم إعادة افتتاح هذه المدرسة من جديد في مركز مدينة النجف الأشرف ليعود أليها طلبتها وتمتلئ أروقتها بحلقات الدرس والتحصيل.

١٩- مدرسة جامعة النجف الدينية ١٣٨٢ هـ

هي من بين المدارس الكبيرة والمهمة في مدينة النجف الاشرف، قامت بتخريج المئات من رواد العلم والاساتذة والمتخصصين، اسسها المغفور له العلامة

١- مجلة الولاية، العدد: ٤٩، حوار خاص مع اليسيد على االميلاني.

٢- مركز ال البيت العالمي للمعلومات/ مدارس وحوزات.

الحجة اية الله السيد محمد كلانتر (قده).

أسست لسد الحاجة المتزايدة لمؤسسات اسلامية تتبنى نشر الثقافة الاسلامية وتعميم الحركة العلمية بواسطة الدراسة والتأليف والنشر وبث المعارف ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف على العالم أجمع وإعلاء كلمة (الله) والسعي وراء نشر المكارم الفاضلة بين ابناء المجتمع لرفع الواقع الثقافي فيما بينهم.

وعن بداية الفكرة التي دفعت الى تأسيس هذه المدرسة حدثنا السيد محسن كلانتر حفيد السيد المؤسس اثناء لقائنا معه فقال: تبلورت فكرت الانشاء في ذهن السيد المؤسس المغفور له منذ سني تحصيله الاولى لما لاحظ من حاجة ملحة في مدينة النجف الاشرف وهي حاضرة العلم وصاحبة الحوزات العلمية لمشروع يلبي طموحات المستقبل ويقف امام الرياح الفكرية القادمة من الشرق و الغرب.

فضلا عما تساهم به من حل لمشكلة السكن لطلبة العلوم الدينية، خصوصا ان الهجرة الى النجف تزداد وتتسع وتضيق يوما بعد يوم حتى ان الكثير من الغرف في المدارس الدينية يشترك فيها الشخصان والثلاثة مع العلم ان تأسيسها من أول يوم إنما اسست لشخص واحد لا أكثر.

وهذا هو الذي لفت نظر العلامة السيد محمد كلانتر رحمه الله تعالى فهب يجيل فكره ليالي وأياما حتى انتهى به المطاف الى المحسن الكبير الحاج محمد تقي اتفاق الطهراني فنبهه الى ضرورة معهد يتناسب ومكانة النجف الكبرى يضم أكبر عدد من رواد العلم الديني، وشاء الله ان تدخر هذه الحسنة الباقية والصدقة الجارية حتى ينهض بها التقي الوجيه وان يوفق لها فيخصص لهذا المشروع ٣٠٠ الف دينار عراقي ويقوم هذا المعهد الفخم كما تراه ويصبح (جامعة النجف الدينية)[1].

أفتتح هذا الصرح الشامخ المؤلف من اربعة طوابق واكثر من ٢٠٠ غرفة ليلة

١- جامعة النجف الدينية: ٧.

مبعث الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) في السابع والعشرين من شهر رجب الاصب سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م) ليزدهر ومنذ افتتاحه برواد العلم والفضيلة وهو لايزال ولن يزول ان شاء الله عامر بوفرة من طلبة العلوم الدينية ومكتسبي الفضائل الانسانية المنبعثة من اشعاعات القرأن الكريم والاحاديث الشريفة المأثورة عن النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) والائمة الاطهار (عليهم السلام) لتعم الحركة العلمية بواسطة الدراسة والتأليف والنشر وبث المعارف ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف العالم اجمع بغية اعلاء كلمة (الله) تعالى والسعي وراء نشر المكارم الفاضلة وايجاد نخبة من المبلغين لنشر الاسلام على وجه البسيطة.

وقد أرخ ذلك اليوم بأبيات شعرية تصدرت مدخلها كتبت على القاشاني الجميل عن تاريخ الجامعة وفي جهة الباب نقش بالحروف البارزة المقولة الخالدة والوسام الذي قلده المصطفى(صلى الله عليه وآله) لأخيه ووصيه الامام أمير المؤمنين(عليه السلام): أنا مدينة العلم وعلي بابها.

قدست من جامعة بيوتها ... عامرة بالدرس والمطالعه
ترسل شمس العلم من كوتها ... اشعة على الوجود ساطعه
وتفتن الناظر للقدس بها ... مناظر من الجلال رائعه
صنائع الله وبالتحقيق ان ... يرعى بعين لطفه صنائعه
فلتشرق الدنيا بآثار الأولى ... لهم على العلم أيادي ناصعه
للعلم في وادي الغري أرخوا ... بني على التقوى التي جامعه

١٣٧٩هـ

بدأ العمل بوضع الحجر الأساس في سنة ١٣٧٥هـ المصادف ١٩٥٥م أي منذ سبع سنين، وتقع هذه البناية في(حي السعد) وهو أحد احياء النجف الحديثة تقع على الطريق العام بين النجف والكوفة وهو أول بناء يقام في هذا الحي.

شيدت البناية على ارض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع وقد استعمل في البناء ٢٦٠٠ متر والبقية للحدائق وللساحات العامة والمداخل.

وتتألف البناية من اربعة طوابق:

تمتلك الجامعة الدينية مكتبة عامة مؤلفة من طابقين وبمساحة ٢٢٥ م٢ تحوي امهات الكتب من مصادر ومراجع ساهمت برفد طلبة العلوم الدينية بمختلف العناوين القيمة وتعمل على جمع الكتب المخطوطة والمطبوعة والنشرات والتسجيلات ذات العلاقة بالتراث الديني والعلمي، ويقدر عدد الكتب المطبوعة في هذه المكتبة قرابة الى (١٥٠٠٠) كتاب كما وتظم (٦٠٠٠) مخطوطا محفوظة في خزانة خاصة.

وتفتح هذه المكتبة ابوبها بشكل يومي للطلبة من خلال توفيرها لقاعة كبيرة للمطالعة واستعارة الكتب، كما استحدثت المكتبة قسما للانترنت يجري برمجة موقع متخصص بهذا الشأن تلبية لحاجة العصر ويقدم خدمات لزوار المكتبة من خلال التصفح والمراسلة على شبكة الانترنت.

وعن اشهر من سكن هذه المدرسة يقول السيد محسن كلانتر بهذا الصدد[1]: درس في جامعة النجف الدينية عدة طبقات من الأساتذة أذكر منهم:

١ـ آية الله السيد محمد كلانتر، ٢ـ آية الله الشيخ مجتبى اللنكراني، ٣ـ آية الله الشيخ مصطفى الهرندي، ٤ـ آية الله الشيخ محمد اسحاق الفياض، ٥ـ آية الله الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر، ٦ـ آية الله الشيخ مسلم الداوري، ٧ـ آية الله الشيخ حبيب الحسينيان، ٨ ـ حجة الاسلام والمسلمين الشهيد الشيخ طالب اللبناني، ٩ـ حجة الاسلام والمسلمين الشيخ أحمد البهادلي، ١٠ـ حجة الاسلام السيد حسين المرعشي، ١١ـ حجة الاسلام السيد باقر العلوي، ١٢ـ حجة الاسلام الشيخ محمد جواد المهدوي.

١- مقابلة خاصة مع المولف.

٢٠- مدرسة الأزري١٣٨٥هـ

أسس الحاج عبد الامير الشيخ مهدي الأزري هذه المدرسة الدينية عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، وأوصى ان يصرف قسم من امواله في بناء جامع كبير ومدرسة دينية تلحق بالجامع في مدينة النجف الاشرف[١].

تقع هذه المدرسة في محلة (الجُديدة)، وشيدت على ارض مساحتها ١١٠٠متر مربع تقع في ركن احد شوارع المنطقة المعروفة بـ(خان المخضر) [٢] وعلى مسافة قريبة من المدرسة اللبنانية (مدرسة العامليين)، وهي تضم مسجداً وقاعة للدرس ومكتبة وقرابة الـ(٥٨) غرفة وبطابقين.

بنيت المدرسة بطراز أسلامي حديث تطغى عليه الاقواس العباسية العالية على هيئة أواوين بارزة تزين الجدران الخارجية للمدرسة وباحتها من الداخل.. ويرتفع فوقها كتيبة من الكاشي الكربلائي الذي كتبت فيه آيات قرآنية كريمة من سورة الانسان.

تدخل المدرسة من باب خشبي عريض يؤدي الى ممر تطل عليه ابوب غرف الادارة ويؤدي الى ساحة المدرسة الكبيرة التي يحيطها طابقا المدرسة.

يسكن المدرسة اليوم مجموعة من طلبة العلوم الدينية من محافظات العراق ويمارسون نشاطهم المتميز في تحصيل العلوم الدينية وتكملة المشوار الذي درجت عليه هذه المدرسة منذ تأسيسها.

سكن هذه المدرسة الكثير من طلبة العلوم الدينية البارزين من بينهم الشيخ جلال الدين الصغير والشيخ صادق الناصري والشيخ عبد البديري[٣] والسيد

١- الحكيم، المفصل: ١٦/ ٧١.

٢- الحساني، المدارس الدينية:٥٦.

٣- موقع سماحة الشيخ جلال الدين الصغير على شبكة الانترنت.

حسن نصر الله[1]، والسيد كمال الحيدري الذي يقول عن تجربته تلك[2]: عندما كنت في النجف أدرس في حوزتها خلال الأيّام الخمسة من الأسبوع كنت قد اتّخذت من مدرسة الأزري العلميّة مقرّاً لسكني بعيداً عن أعين الرُقباء، وكانت المدرسة مرتّبة ومنظّمة ولكنّها خالية من طلبة العلوم الدينيّة سوى اثنين فقط هما: الشيخ صادق العماري، والآخر اسمه: الشيخ معين. وكانت هذه المدرسة تقع خلف المدرسة اللبنانيّة التي أصبحت خالية من أيّ طالب علم فيما بعد.

بقيت في مدرسة الأزري حتّى مغادرتي العراق عام ١٩٨٠ وهروبي إلى الكويت وسوريا ثمّ الاستقرار في مدينة قم المقدّسة.

وكلام السيد الحيدري يعطي صورة واضحة عن مدى معاناة طلبة العلوم الدينية في تلك الفترة وما آلت اليه الظروف التعسفية بأغلاق المدرسة عام ١٩٨١م من قبل النظام البائد.

٢١- المدرسة الشبرية ١٣٨٧هـ

تمثل المدرسة الشبرية او (مدرسة الامام الصادق عليه السلام) كما سميت بذلك ايام النظام السابق.. تمثل تراثا أسلاميا نجفيا أصيلا بما تمتلكه من خصوصية في ذاكرة المدينة المقدسة كونها ارتبطت بأسماء الكثير من العلماء والمراجع والشهداء والأدباء طيلة أربعة عقود من الزمان. كما أنها ارتبطت باسم احد شهداء المنبر الحسيني هو متوليها العلامة السيد جواد شبر(قده) نجل مؤسس المدرسة.

تقع هذه المدرسة في محلة البراق وتبلغ مساحتها ٦٠٠ متر مربع، شيدها سماحة السيد علي شبر الحسيني(قدس سره) بعد أن أستملك ثلاثاً من الدور

١- صحيفة الوفاق، مقابلة مع والد السيد حسن نصر الله.

٢- هدّو، حميد مجيد، كمال الحيدري قراءة في السيرة الذاتية:٣٥.

وجعل فيها(٤١) غرفة وبطابقين مع قاعة كبيرة للدرس ومكتبة كبيرة تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب وسراديب بطابق واحد وبعمق(٧) امتار عددها أربعة، وقد بَلَغَتْ مصروفات بنائها٤٠٠٠٠دينارا بالعُملة العراقية آنذاك[١]، وقد أشرف المؤسس على اعمال البناء بعد ان قدم من الكويت لهذا الغرض[٢].

افتتحت هذه المدرسة بعد سنتين من أعمال البناء في ليلة ١٦شعبان من عام ١٣٨٧هـ تيمنا بمولد الإمام الحجة(عج) باحتفال كبير كان عريفه سماحة الخطيب الشيخ شاكر القرشي وحضره علماء الدين الأعلام والأدباء والمثقفون ووجهاء المدينة..وغيرهم حيث القيت فيها القصائد والكلمات(٣)، من بينها قصيدة رائعة للشيخ عبد المهدي مطر كان مطلعها:

بَنيتَ وحَقُ للباني الصعودُ ... فَبَيتُ العِلمِ مُرتَفِعٌ مَشيدُ
ستُبْصِرُهُ عَلى مَرِّ اللّيالي ... وإنّ إهابَهُ غَضٌ جديدُ
وَمَنْ تَبني ذُراهُ يَدا (عليٍّ) ... عَلى الإيمانِ خُطَّ لَهُ الخلودُ

ومنها:

نَعُمْتَ أبا (الجوادِ) فَقَدْ تَعالى ... بِسَعيكَ مَعْهَدٌ فيهِ الوُرودُ
ومَدْرسةٌ تَعالى العِلْمُ فيها ... فَقَدْ نَطَحَ السَحابَ لَها عَمودُ
تُرينا إنّها خُلِقَتْ لِتَبقى ... ويَبقى باسمِها كَونٌ جَديدُ
وتَبقى (الشبّريةُ) وهي رَمزٌ ... لما تَرَكَ الأوائِلُ والجُدودُ

كما أُلقيت كلماتٌ قيّمةٌ لكلٍّ من العلاّمة السيّد عبد الكريم القزويني وفضيلة

١- ذكرى افتتاح المدرسة الشبرية:١١
٢- الحكيم، المفصل: ٥٣/١٦.
٣- الحكيم، المفصل: ٦- ١١

الشيخ محمد عبد الحميد سرور وفضيلة الشيخ حسين سُبيتي وفضيلة الشيخ فيصل السنجاري، وكانت كلمة الختام للعلاّمة الخطيب السيّد جواد شبر(رحمه الله).

سكن المدرسة قرابة الـ(٤٨) طالبا من طلبة العلوم الدينية وكان جلهم من المهاجرين إلى النجف الأشرف، الجدير بالذكر أن المدرسة المذكورة سميت بمدرسة الإمام الصادق أيام النظام السابق، وهي لا تزال تأوي طلبة العلوم الدينية في الوقت الحاضر، إذ باشر متوليها العلامة السيد محمد أمين شبر بصيانتها من جديد وأعاد تأهيلها بالتعاون مع ديوان الوقف الشيعي.

أسست مكتبة المدرسة الشبرية في سنة ١٣٨٨هـ وهي تحتوي على كتب قيمة وموسوعات متنوعة وبحوث علمية في موضوعات الفقه والأصول وعلوم القرآن وتفسيره وعلم الحديث والرجال والدراية والنحو والصرف والبلاغة والمنطق الأدب والشعر، حيث يوجد في مكتبة المدرسة أكثر دواوين الشعراء من العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي وشعراء العصر الحديث.

كما تحتوي على كتب في الأخلاق والسياسة والفلسفة والعقائد والمواعظ والخطب التاريخية وتراجم علماء الدين وسيرة الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وكتب في الطب وعلم النفس والاجتماع وكتب الأمثال العالمية والحكمة بالإضافة إلى مختلف المجلات والنشرات المتنوعة.

وتضم هذه المكتبة التاريخية كتب الرحلات والأنساب والهيئة والفلك والكيمياء والفيزياء وعادات وتقاليد مختلف الشعوب، بالإضافة إلى كتب القانون والحقوق والتراجم.

كما تمتلك المدرسة خزانة كبيرة من الكتب المخطوطة وهو تراث ضخم خلفه جد الأسرة العلامة السيد عبد الله شبر (قدس) تناقله أبناؤه وأحفاده جيلا بعد جيل، فقد انتقلتْ هذه(الخزانة الثمينة) أولاً لولده السيّد جعفر ـ المتوفى بحدود١٢٨٠هج ـ ثُم لحفيده السيّد محمّد بن السيّد جعفر، وأصبح السيّد مُحمّد المتولي الشرعي على ما وقفه السيّد عبدُ الله من مؤلفاته المكتوبة بخطّه مع كُتبه

الأخرى، وكان يبذلُ قصارى جهده لإكمال الناقص منها والحفاظ عليها وتزويدها بكتبٍ أخرى، كما نقلَ خزانة كُتب السيّد عبد الله ـ جده ـ إلى البصرة وبها بقيتْ حتى وفاته في سنة١٣٤٦هج/١٩٢٨م.

وبوفاته تولّى أمرَ الإشراف على الخزانة ولدُهُ السيّد عبّاس شُبّر، وقبل وفاته أوصى بخزانة الكتب أنْ تُنقل إلى المدرسة الشُبّرية في النجف، وتُضافُ إلى خزانة كُتبها.

وبقيتْ (الخزانة) تحت إشراف العلاّمة السيّد جواد شُبّر ـ متولي المدرسة ـ حتى سنة اعتقاله في١٩٨٢م.

وشاءتْ العنايةُ الإلهيةُ أنْ ترعى هذا التراث في عصر مَنْ أهلكَ الحَرث والنسل وفي غياب وتغييب المتولّي الشهيد السيّد جواد شُبّر(رحمه الله) الذي بذلَ كُلّ ما بوسعه من أجل المدرسة ومكتبتها[1].

ولّما فرّجَ اللهُ عن العراق وأهله بزوال الطاغية المتفرعن، عادتْ المدرسة ومكتبتها إلى أهلها الشرعيين، فتولّى إدارة المدرسة ومكتبتها حفيدُ المؤسس السيّد مُحمّد أمين نجل السيّد جواد شُبّر عام٢٠٠٣م.

لتنتشل هذه المكتبة من التلف والضياع بسبب الإهمال وحشرة الأرضة، ليتم حفظها وصيانتها ومن ثم تصويرها في أقراص ليزرية لتحقيقها ثم طباعتها[2].

سكن هذه المدرسة العديد من أهل الفضل والسماحة وكان في مقدمتهم آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي، والشيخ محمد رضا الشاهرودي، والشيخ حسين الكوراني، والشيخ محمد جواد مغنية، والشيخ شمس الدين الواعظي، والشيخ محمد حسين بهاء الدين، والشهيد السيد جواد علي شبر، والشهيد الشيخ عبد الأمير الساعدي، والشهيد السيد عارف حسيني الحسيني، والشهيد السيد

١- شبر، محمد امين، المدرسة الشبرية: ٨٤.

٢- موقع المؤسسة الشبرية لاحياء التراث.

صباح هاشم الطباطبائي، والسيد عباس هادي الكشميري وغيرهم.

٢٢- مدرسة دار العلم ١٣٩٥هـ

بنى المرجع الديني الكبير السيد ابو القاسم الخوئي(قدس سره الشريف) مدرسة على الجهة الغربية من شارع دورة الصحن الشريف بين شارع الامام زين العابدين والامام الصادق عليهما السلام، مقابل الباب المعروفة بباب العمارة او (باب المراد).

شيدت المدرسة على مساحة(١٠٠٠) م ومن ثلاثة طوابق وكان الطابق الارضي للتدريس والطابق الثاني والثالث لسكن الطلبة، كما استخدم السرداب كمكتبة ضخمة[١]، وكان للسيد الخوئي فيها كرسي يلقي منه محاضراته القيمة ودروس البحث الخارج للعديد من العلماء والفقهاء حتى عرف بلقب(أستاذ الفقهاء) لذلك.

تولى أدارة هذه المدرسة وطيلة فترة بقائها سماحة الشيخ ابراهيم النصيراوي، وعن هذه التجربة وقساوتها خصوصا مع الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الحوزة العلمية في النجف، يقول: (بعد ان تم بناء مدرسة دار العلم للإمام الخوئي وبحكم علاقتي مع السيد الشهيد السيد محمد تقي (رحمه الله) اختارني مديراً لهذه المدرسة وكان الظرف قاسياً جداً لا يوصف والملاحقات والمتابعات على أوجها ويعتبر هذا العمل ومن هذا النوع مجازفة ولكن توكلت على الله تبارك وتعالى واستجبت للمرجعية، وتوليتُ إدارة مدرسة دار العلم منذ ذلك الحين إلى حين هدمها)[٢].

هدمت هذه المدرسة للاسف الشديد في أواخر الثمانينات من القرن الماضي

١- مقابلة خاصة مع السيد محمد مهدي الشيرازي، متولي المدرسة الشيرازية.

٢- موقع مؤسسة الامام الخوئي الألكتروني.

مع ما هدم من المدارس والجوامع والحسينيات ما بين الصحن الشريف ومرقد العبد الصالح (صافي الصفا) من قبل النظام السابق ووزع أراضيها كمشاريع سياحية.

كان من المقرر لهذه المدرسة ان تتبنى مشروعا كبيرا كان يدور في خلد سماحة السيد الخوئي لتطوير المنهج الدراسي في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، من خلال انشاء مدرسة كبيرة واختيار اساتذة اكفاء لتولي التدريس فيها.. لولا المضايقات التي كانت تمارس والظروف الصعبة التي مرت بها الحوزة العلمية تلك الفترة ولم يشأ لهذه الفكرة ان تستمر.

وعن ذلك ينقل السيد محمد تقي الحكيم حديثاً دار بينه وبين السيد الخوئي(قده): ("إني انوي تجديد المنهج الدراسي وذلك بأن اكلف مائة من كبار علماء الحوزة وتلاميذي الذين اثق بهم واعتمد على قدراتهم العلمية فيتخصص كل عشرة من هؤلاء بنوع من فروع العلوم الاسلامية".

وكان قد قسم العلوم الاسلامية الى عشرة فروع، عشرة تختص بالفقه وعشرة تختص بالاصول وعشرة بالتفسير.. الخ، وكل واحد من هؤلاء يشرف على عشرة من خيرة طلبة الحوزة العلمية فتبدأ بألف من طلبة الحوزة العلمية يدرسون عند هؤلاء المائة وبهذه الطريقة نبدأ بتطوير الدراسات الحوزوية، والحوزات العلمية.

وقال: " أنا عازم على ان ابدأ هذا المشروع في هذه البناية التي بدأت بتأسيسها إلى جانب الحرم المطهر لامير المؤمنين".

وتعلمون ان السيد الخوئي بدأ بتأسيس مدرسة كبرى علمية مقابل باب العمارة وكان مندفعا ان ينفذ هذه الخطة في تجديد الحوزة في هذه البناية)(١).

واستكمالا للفائدة ونظرا لظهور الحاجة الى مكتبة في المدرسة يقول مدير المدرسة الشيخ ابراهيم النصيراوي عن ذلك: (وبعد مدة من ممارستي لادارة

١- الحكيم، حوزة النجف الاشرف: ٣٦٦.

المدرسة قرر الإمام الخوئي(قدس سرّه) ان ينشئ مكتبة اسلامية عامة تضم المطبوعات والمخطوطات وأوكل المهمة إلى ولده السيد محمد تقي الخوئي، وفعلاً بدأ بشراء الكتب وتجميعها في السرداب الموجود في مدرسة دار العلم وأوكل مهمة ترتيب المكتبة لي، وفعلاً طلبت من بعض الاخوة الذين اعتمد على عملهم في المكتبة وقمنا بترتيب الكتب ترتيبا دقيقا، وكان يعمل في المكتبة خمسة اشخاص بين مجلد ومنظم وبين مدقق وكاتب وهكذا صارت الكتب تتوالى علينا في فترة سبع سنوات تقريباً فاجتمع عندنا من المطبوعات ما يقرب من ثلاثين الف مجلد وما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة من روائع المخطوطات ونظمناها بشكل دقيق جداً حتى ان مدير مطبوعات العراق زار النجف وزار مكتبتنا وكانت في دور الانشاء واطلع عليها وكان معه الكادر الذي يعمل معه حيث ذهل لهذا التنظيم الرائع الذي شاهده من تصنيف الكتب حسب العلوم والمواضيع وذهل حينما علم ان هذا الكادر الذي يعمل في هذه المكتبة هو كادر حوزوي لم يتخرج من معهد خاص في المكتبات فاثنى ومدح وانا لم اكن حاضراً وقت زيارته وانما نقل لي السيد محمد تقي الخوئي (رحمه الله) عن وجهة النظر وكان السيد معجباً بهذا العمل لقد كانت مكتبة عامرة ولكن ذهبت كما ذهب الكثير من تراثنا في النجف الاشرف ولم يبق منها الا الجزء القليل)[1].

كما كان لهذه المدرسة دار نشر تولت طبع الكثير من العناوين المهمة كان من ابرزها التنقيح في شرح العروة الوثقى وقد جاء في مقدمة احدى هذه الكتب ما نصّه: (نظراً لأهمية هذه الموسوعة من الناحية العلمية لما تضمنتها من آراء قيمة وتحقيقات دقيقة صيغت في بيان رائع وعبارات رشيقة تعهدت ادارة مدرسة دار العلم في النجف الاشرف بطبعها وقد صدر منها قبل هذه الطبعة الثانية للجزء

١- موقع مؤسسة الامام الخوئي الألكتروني.

الثالث مع اضافات هامة تتضمن ما تجدد لسماحة الإمام دام ظله من آراء)[1].

من المقرر ان يعاد بناء هذه المدرسة من جديد في مدينة النجف الاشرف في مكانها الجديد، خلف المسقف الحيدري التابع للعتبة العلوية المقدسة، وعلى مساحة من الارض تقدر بـ (٣٢٠٠)متر مربع حيث من المقرر ان تنشأ بستة طوابق اثنان منها سرداب وبواقع ١٩٠ غرفة، سوف تخصص الغرفة لطالب واحد فقط، بالاضافة الى مطعم خاص بالطلبة، ومكتبة كبيرة ستظم ابتداءا(٦٥٠) الف كتاب وفي مختلف العلوم الاسلامية وغيرها، بالاضافةالى مضيف خاص بالضيوف، وكذلك قاعة كبيرة للاجتماعات.

كانت هذه المدرسة واحدة من مشاريع كثيرة تولى سماحة السيد الخوئي انشاءَها من مؤسسات ومراكز ومدارس في شتى بلدان العالم وكانت مدرسة دار العلم احداها فقد انشأ بالاضافة لها مدرسة دار العلم في بانكوك ومدرسة دار العلم في ايران مشهد المقدسة وكذلك مدينة العلم في قم المقدسة فضلا عن مؤسسات كثيرة منها مؤسسة الامام الخوئي الخيرية في بريطانيا/ لندن ومانجستر وسوانزي، وامريكا/ نيويورك، وكندا/ مونتريال، فضلا عن النجف الاشرف. ومدرسة الصادق والزهراء في بريطانيا/ لندن، ومدرسة الإيمان في امريكا/ نيويورك، ومدرسة الهدى في كندا/ مونتريال، وجامعة الكوثر الإسلامية في باكستان/ اسلام آباد، فضلا عن مبرّة الامام الخوئي في لبنان/ بيروت، ومستشفى الامام الخوئي في ايران، ومجمع الامام الخوئي الثقافي في الهند / بومباي، ومركز دار الزهراء في تايلند.

وكان لهذه المدرسة دار نشر تولت طبع الكثير من العناوين المهمة كان من ابرزها مستمسك العروة الوثقى وقد جاء في مقدمة احدى هذه الكتب ما نصّه: (وكتاب التنقيح في شرح كتاب العروة الوثقى التي كتبها العلامة الشيخ ميرزا

١- الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى: ٣/٥.

علي الغروي تقريرا لابحاث سماحة آية الله العظمى السيد الخوئي.

وقد جاء في مقدمة الكتاب: (نظراً لأهمية هذه الموسوعة من الناحية العلمية لما تضمنتها من آراء قيمة وتحقيقات دقيقة صيغت في بيان رائع وعبارات رشيقة تعهدت ادارة مدرسة دار العلم في النجف الاشرف بطبعه وقد صدر منها قبل هذه الطبعة الثانية للجزء الثالث مع اضافات هامة تتضمن ما تجدد لسماحة الإمام دام ظله من آراء).

المبحث الثالث
مكتبات النجف إمتدادُ الماضي وآلقُ الحاضر

١- النجف والكتاب:

تمثل مكتبات النجف الاشرف المحور الثاني المهم ان لم يكن الاهم من بين المحاور الثقافية المهمة التي ضمتها المدينة المقدسة، ذلك أنه ارتبط بالكتب والمصادر المطبوعة والمخطوطة، وهذه بالتأكيد خير جليس لرجال الحوزة العلمية- طلبة وأساتذة- بعد اتساع المدينة، وأزدياد الوافدين اليها، ولعله لم تكن مدينة في العراق، وربما في العالم العربي برمته تضم مكتبات عامة وخاصة مفتوحة أبوابها لطلاب العلم من مختلف المشارب العلمية والثقافية، بمثل ما موجود في مدينة النجف الاشرف، حيث تسابق مجموعة من الشخصيات الدينية في جمع هذا الموروث التراثي في خزائن حوت في بطونها انفس بل والثمن ما خلفته القرون المتتابعة والذي حاز تقدير ارباب العلم واساطين الفكر وسواهم.

وإلى هذا تُشير الكاتبة الألمانية "زيغريد هونكه": (أن مكتبة النجف في العراق كانت تحتوي في القرن العاشر الميلادي على أربعين ألف مُجلّد بينما لم تحوِ أديرة الغرب سوى إثني عشر كتاباً رُبطت بالسلاسل خشية ضياعها!)[1]، فيما أشار الأديب اللُبناني "جُرجي زيدان" إلى طبيعة المُنافسة بين مكتبات بغداد والنجف الأشرف بالقول: (.. وبغداد هي أُم المكتبات إلاّ أن كُتب النجف أقدم خطاً وأندر وجوداً وأتقن كتابةً وموضوعاتها مُختلفة)[2]، أما "كارل بروكلمان" فقد إعتبر أن: (مكتبات النجف الأشرف بأنها مصدر من مصادر تأريخ الأدب

١- شمس العرب تسطع على الغرب: ٣٨٦.

٢- جرجي زيدان، تأريخ آداب اللُغة العربيّة: ٤ /١٢٩.

العربي)[1].

ويذهب المؤرخون وأرباب البحث إلى إن أولى مكتبات النجف ظهرت على يد عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٣٧٢ هـ يوم أنشأ خزانة للكتب في النجف الاشرف بإسم الخزانة الغروية أو الخزانة العلوية[2]، رفدت بجلائل الكتب، وكان أكثرها بخطوط المؤلفين أنفسهم، ويطلق عليها اليوم أسم مكتبة الروضة الحيدرية.

ومنذ ذلك الوقت ومع مرور السنين كانت المكتبات تزداد وتنتشر في أزقة المدينة المقدسة لجمع التراث وانشاء خزائن خاصة بها، يصفها الدكتور صالح أحمد العلي بـ "... العناية الشعبية والرسمية في حفظ التراث ومنعه من التسرب وقامت محاولات متعددة لجمع المخطوطات وصيانتها في مكتبات عامة موحدة يتاح للراغبين فيها القراءة والبحث، وأظهر تلك المحاولات هي التي قام بها نفر من (الغيورين) والعلماء في النجف والبصرة لهذا الغرض"[3].

وخير مثال لما تعيشه هذه المدينة المقدسة من أهتمام بالكتب والمكتبات مانشرته مجلة لغة العرب[4] لمقالة كتبها الشيخ محمد رضا الشبيبي عنوانها: " صرعى الكتب والمكتبات في العراق" حيث يورد فيه صورا عجيبة لتنافس النجفيين في جمع الكتب وتأسيس المكتبات حتى انتشرت عدوى تلك الهواية فأصابت الأميين، فاقتنوا الكتب وهم لا يقرأون، بل كان الفرد يجد مع جهله لذة في اقتنائها، وارتياحاً إلى الازدياد منها، وإذ كان هؤلاء الأميّون يجدون ـ مع جهلهم بمحتوى الكتاب ـ لذة في اقتنائه وعدّ وريقاته، فهناك فئة رعت الكتاب وأحبته وولعت بمطالعته، منهم الملا باقر التستري، الذي يصفه الشبيبي بالقول:

١- بروكلمان، تأريخ الأدب العربي: ١ /٣٠.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢٢٤/٧.

٣- الجبوري، عبدالله، المستدرك على الكشاف: ١٢.

٤- مجلة لغة العرب، الجزء٩ من السنة الثانية عن ربيع الثاني سنة١٣٣١هـ - آذار ١٩٣٣م.

(كان مفتونا بجمع الكتب فتنة قل ان تعهد في غيره)[1].

ومن نوادر هؤلاء الصرعى في حب الكتب ماينقله الشيخ علي الشرقي في (أحلامه)، عن الشيخ الجليل حسين النوري، إذ صادف ان عثر على كتاب في أحد أسواق كربلاء وكان قد أعياه الطلب له، وقد عرضته امرأة للبيع، وصادف فراغ كيسه من النقود، فوقف وسط السوق بالقرب من تلك المرأة، وأمسك بيده على الكتاب حرصاً، وصار لا يستطيع أن ينقل خطوة، وكانت عليه عباءة ثمينة فخلعها ودفع بها للمنادي في المزاد فباعها هذا بثمن بخس، وسلم للمرأة ثمن الكتاب ومشى في السوق، والطريق، بدون عباءة، وهي مشية لا تتناسب وأمثاله من رجالات الفضيلة ولكنه كان مزهواً بها لامتلاكه الكتاب[2].

ومن الظواهر الملفتة للنظر حقّاً والتي تكشف عن تقدير النجفيين للكتاب ما بذله الشيخ علي كاشف الغطاء الذي جاب بلاد الفرس والترك ومصر وسورية والحجاز، لا للتسلية بل انتجاعاً للعلم والرّواية وجمع الكتب النادرة الفريدة وغير الفريدة. وكذلك ما اوصى به عاشق الكتاب آية الله السيّد محمّد حسين المرعشيّ النّجفيّ بالقول:(ادفنوني عند مدخل المكتبة كي تطأني أقدام باحثي العلوم الإسلاميّة) وقبره اليوم في مدخل مكتبته الشهيرة للمخطوطات.

وكان لرواج الكتاب في النجف الاشرف ان وجد له سوقا خاصا به ينادى بالعناوين في مزاد خاص يقام في كل يوم خميس، ويوم جمعة وهما اليومان اللذان تعطل فيهما الدراسة في النجف، ويصف ذلك السوق جرجي زيدان بالقول: (وفي النجف عادة قديمة لا توجد في سواها من بلاد العراق، وهي انه في كل نهار خميس، وجمعة، تقوم سوق تعرض فيها الكتب وتباع بالمزايدة..)[3].

وقد برزت أسماء لامعة في تقييم الكتب النادرة من المخطوطات وغيرها،

١- مجلة لغة العرب، الجزء٩ من السنة الثانية عن ربيع الثاني سنة١٣٣١هـ - آذار ١٩٣٣م.

٢- الشرقي، علي، الاحلام: ٦٠.

٣- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية:٤/ ١٢٩.

منهم الشيخ محمّد السماوي، والسيد جعفر بحرالعلوم، والشيخ عبد الحسين الحلي، والشيخ أغا بزرك، والشيخ محمّد رضا فرج الله وغيرهم.

كما انبرى مجموعة من أصحاب السماحة والفضيلة لتأسيس مكتبات عامة لخدمة الباحثين من بينهم الشيخ الاميني الذي أسس مكتبة امير المؤمنين العامة حيث يقول في قيمة المكتبة والكتاب: (الكتاب والمكتبة رمز رقي كل ملة، وسمة تقدم كل نحلة، ومقياس رشد الامم وسادتها، بهما تتأتى طلبة الإنسان وما يتوخاه من عوامل النجاح والفلاح، والفوز في العاجل والآجل.

المكتبة تؤدي رسالات الأنبياء، وتقيم الأود والعوج ببلاغات الأوصياء، وتمثل الحقائق ورجالاتها،وتصور أمثلتها نصب العين بدروس سير الأولياء، وتطهر درن القلوب بعظات الأصفياء، وتزيح علل النفوس بكلم رجال الصدق وحكمهم،(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً).

المكتبة دار التوجيه والإرشاد، دار الفنون والعلوم والمعلمين العالية، أينما تولي وجهك تتراءى لك في كل جناح منها جامعة، وفي كل صفح كلية، وفي جوانبها معاهد للعلوم، وصفوف للفنون، فيها بغية الطالب، ومنية المريد، وامنية المستفيد.

المكتبة محتشد رهيب يحفل فيها علماء ربانيون، وحكماء محنكون، وأعلام فنيّون، وفلاسفة إلهيون، وأساتذة الصنائع، ومدارس الخطابة والوعظ، وصيارفة الآداب والأخلاق، وعباقرة العلوم والفنون، وجهابذة التأليف والتصنيف، ورجال السياسة والقادة، صفاً صفاً كأنهم بنيان مرصوص.

المكتبة مخزن حافل، يحتوي ما انتجته الأفكار الراقية في مختلف الأمصار والأعصار، ويجمع من ولائد أنظار المفكرين في كل علم وفن كل تليد وطارف، ويضم ما جادت به الكليات العالمية في أدوارها الغابرة من فوائد وفرائد من كل علم ناجع، وما أتحفته تلكم الكليات للمجتمع البشري من الأزهار والأنوار من

حدائق الفنون، وتحتفظ شوارد ما أثمرته العقول الرصينة، والأفكار الناضجة، والهمم القعساء، من اناس قضوا في سبيل الفضيلة حياتهم، ومنوا دون السعي وراء صالح الامة بكوارث وشدائد مدلهمة.

المكتبة تشكل صفوف التعليم والتربية، وتمثل صنوف العلوم والفنون الحاصلة في الأدوار الخالية، وتضم ذخائر كل أمة ونحلة من كل نفيس وثقل من التراث العلمي، وهي وسيط، تجمع بين القارئ وبين آلاف مؤلفة من حسنات الدهر، ورجالات العصر، في قرونه الماضية، على عدد ما يوجد فيها من التآليف والكتب والمعاجم والموسوعات والصحف المكرمة، لا لغو فيها ولا تأثيم، لا سأم فيها ولا ملل.

المكتبة تُمَوّن وتمد الحياة الروحية، وتتكفل إصلاح المجتمع البشري من كل ما يدنس الغرائز، وتدعوه إلى الصالح العام، وتحدوه إلى الأمام والتقدم، إلى الإنسانية السامية، إلى المكارم والمعالم، إلى الفواضل والفضائل، إلى الخير والصلاح، وتزحزح الملأ عما يفسد النفوس، عما يبيد الملكات الفاضلة، عما يشوه النفسيات الكريمة، عما يدنس ذيل الإنسان من كل رذيلة وذميمة.

المكتبة تعالج النفوس من أدواء الجهل المفضية إلى الدمار والبوار، والجهل بذرة كل شقاق وشغب، وشر ونفاق وافتراق وتفكك وتبعثر وتبدد، وجرثومة كل الميول والأهواء والشهوات والنزعات المبيدة، ومادة كل داء يميت روح الإنسانية، ويبث في الملأ عوامل الفساد، ويجر على الأمة دائرة السوء، ويسف أبناء الشعب إلى حضيض التعاسة، ويفتر الجوارح والجوانح العاملة للبقاء، ويسوق صاحبها إلى الهلاك والفناء.

المكتبة تنور الأفكار، وتحد البصائر، وتزكي الأرواح، وتطهر القلوب، وتصلح الخلائق، وتوطد للشعب جواد الصلاح، وتبلط لهم سبل الخير، وتبوّئ الإنسان مقاعد الصدق، وتجعل الإنسان إنسانا، فيغدو والنور قائده، والسلام والفضيلة مهده، والحياة الروحية التي لا نفاد لها غايته ومنتهاه، فيجد في العاجل

والآجل انس الاستقرار وسلامة المقام، ودعة المصير، ونجاح البداية والنهاية.

المكتبة تعقم السرائر، وتزيل عنها أوساخ الغباوة، ودنس الغية، وظلم الشبه، ومعرة السدر في وادي الجهل، وتبصر الإنسان مواقع الانحطاط والتسافل، وتوجهه إلى الحياة السعيدة، والفوز مع الخلود.

المكتبة شارة البلاد، وحدائق ذات بهجة لرواد الفضيلة، ونادي حفل النبلاء، ومنتدى زمرة الثقافة، ومعقل كل بحاثة إذا أعضل به البحث، ومنتجع كل ذي فن إذا أشكلت عليه المزاعم، ومكتب الصلة والتعارف بين فضض من بين فضض من أساتذة العلوم والفنون، ورجال البحث والتنقيب، تجمع شملهم، وتوحد صفوفهم، وتؤلف بين قلوبهم، إخوانا على سرر متقابلين، وتوقف كلا منهم على فكرة الآخرين، كل هذه ترمي إلى صالح الامة، وما للشعب عنها محيص)[1].

٢- مكتبات النجف الاشرف قديما وحديثا:

من الملاحظ ان مكتبات النجف الاشرف لم تعمر كثيرا سوى مكتبة الروضة الحيدرية المقدسة، وفي حديثه عن تاريخ المكتبات النجفية يشير الخليلي الى ذلك بالقول: (لم يعرف مكتبة عاشت اكثر من ١٠٠-١٥٠ سنة باستثناء "المكتبة العلوية" فقد تموت المكتبة بموت صاحبها، وتبعث في مكان آخر بانباث شخص جديد، وكم تألفت مكتبات ذات صبغة عامة، حوت مئات الكتب الموقوفة، ثم مالبثت ان زالت من الوجود، أو استحالت الى مكتبات خاصة)[2].

من هنا نلاحظ صعوبة أيجاد تاريخ دقيق لهذا العدد الكبير من المكتبات بسبب ظاهرة ولادة المكتبة في جيل وموتها في جيل آخر.

وقد أحصى مؤرخ النجف الاشرف الشيخ جعفر محبوبة في هذا المضمار

١- الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلامة الاميني: ٩٢-٩٥.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢٢١/٧.

قرابة الثلاثة وثلاثين مكتبة بين بائدة وحاضرة[1]. توزعت بين بيوتات العلماء والأعلام، والمدارس الدينية، والمكتبات العامة.

كما احصى الخليلي(٣٧) مكتبة بين عامة[2] وخاصة أسست أغلبها في المدارس الدينية وبيوت المراجع.

وفي الوقت الحاضر أجرت "مؤسّسة القلم الأخضر الثقافية" إحصائية مطلع عام ٢٠١٠م نشرتها صحيفة "النجف الاشرف" جاء فيها[3]:

عدد المكتبات التجاريّة: وصل عددها إلى ما يزيد على (٥٠) خمسين مكتبة وهو عدد كبير بالقياس مع مساحة النجف الصغيرة.

عدد المكتبات العامة (٢٥) مكتبة أشهرها المكتبة الحيدريّة العامة ومكتبة الإمام أمير المؤمنين"عليه السلام" ومكتبة الإمام الحسن "عليه السلام" ومكتبة السيّد الحكيم "قدس سره" العامة ومكتبة النجف المركزية وغيرها.

عدد معارض الكُتب الجوالة (٣). عدد الكُتب المطبوعة في الشهر الواحد (٥٠ ـ ٧٥) عنواناً ٨٠ ٪ منها إعادة طباعة والباقي عناوين جديدة. عدد المجلات والصُحُف الدوريّة المطبوعة في الشّهر الواحد(٣٠) مجلّة وصحيفة.

عدد المطابع (٥٦) مطبعة معظمها قديمة وبحاجة إلى تطوير وتحديث.

يُضاف إلى هذه الإحصائية ما يدخُل سوق الكُتُب في النجف الأشرف ما يصلها من خارج العراق من دور النشر اللبنانية والإيرانية والكويتية والسورية والأردنية وغيرها.

ويمكن تقسيم مكتبات النجف الاشرف الى نوعين من المكتبات هي: مكتبات عامة وأخرى خاصة، وسنحاول هنا أيراد البعض منها لاعطاء تصور ولو بسيط عن هذا السفر الخالد الذي حوته هذه المدينة المقدسة.

١- محبوبة، ماضي النجف وحاضرها:١/١٤٧-١٧٤.

٢- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٧/٢٤٠-٢٨٥.

٣- صحيفة النجف الاشرف، العدد ٣ في ٢٠١٠م، تحقيق أجراه الاستاذ أحمد رضا المؤمن.

أ- مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة.

تجلت الحركة الفكرية في النجف الاشرف في الحلقات الواسعة لدروس الفلسفة والحكمة وعلم الفقه واصوله والادب والمنطق والبلاغة الى جانب المحاضرات العلمية بما فيها من تحليل وتأويل ونقاش ونقد، وعلى طول هذه المسيرة الرائعة والمبدعة ازدادت الحاجة الماسة الى ما يرفد ما ذكرناه من علوم بكل جديد مما تصدره دور النشر والمطابع في العالم الاسلامي حتى تتواصل الحلقات العلمية في الابداع والتعاضد فيما بينها ولئلا تكون ثغرة في واحدة منها، وكان السبيل الوحيد لانقاذ المتعطشين الى ثقافة الاسلام والنهل من منبعه الثر هو بانشاء مكتبات عامة تساعد على ذلك، ينتهل منها المتعطشون من رواد المعرفة، خصوصا ان أغلب مكتبات مدينة النجف الاشرف كانت شخصية، ولا يمكن الاستفادة منها بصورة عامة، انبرى العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس الله سره الى تأسيس مؤسسة علمية تعنى بالكتاب وتهتم بالحفاظ على التراث العربي الإسلامي وتحتضن العلماء والباحثين والطلبة فكانت ولادة مكتبة (الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة) في النجف سنة (١٣٧٣هـ-١٩٥٣م) لتضم أمهات المصادر لعلوم أهل البيت عليهم السلام، وتلبي بذلك تلك الحاجة وتحقق أمنيات رجال البحث والتحقيق والتأليف، كما وتتناسب ومكانة هذه المؤسسة العلمية والثقافية.

ويأتي تأسيس الشيخ الأميني لهذه المكتبة الواسعة، بعد تجربة قاسية ومعاناة كبيرة كابدها حين شرع بتأليف موسوعته(الغدير) واكتشافه للنقص الكبير في عدد المصادر المطبوعة، والمخطوطة، وسبب ذلك حسب ما يرى الخليلي: (اما لانعدام هذه المصادر في المكتبات العامة في النجف، أو لقلتها بحيث يتعذر تتبعها من قبل قارىء واحد، ولمدة طويلة) [1].

١- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٢٥٧/٧.

ويتحدث الاميني عن تجربته تلك وألمه من نقص الكتب أمام الباحث وقلة المكتبات العامة فيقول: (... وهذه نجفنا: لا نجف العراق فقط، ولا نجف الشيعة فحسب، بل نجف الدنيا عامة، نجف المسلمين أجمع، نجف من يقول بالخلافة الراشدة، نجف مئات ملايين مسلمي العالم، القائلين بولاية سيد العترة، المقرونة بولاية الله وولاية رسوله في الكتاب الكريم، مرتكز تلك الخلافة ومنبثق أنوار المعالم والمعارف العالية، وعاصمة الإسلام المقدس، ومدرسته الكبرى المؤسسة منذ عشرة قرون، فأكبر مكتبة عامة شاهدنا فيها إنما هي المكتبة الششترية، وهي عبارة عن غرفة في زاوية حسينية، مساحتها ٣٠ / ٤ × ٦٠ / ٥ بارتفاع ٥ أمتار، عدد كتبها المطبوعة والمخطوطة -باحصائية اليوم - تناهز أربعة آلاف مجلد، يدير جميع شؤونها رجل واحد، هو المدير، هو الخادم، هو الناظم، هو المحاسب، هو المرتب، هو المفهرس، هو وحده وحده لا شريك له. وقس على النجف الأشرف معظم بلاد العراق الشاغرة عن الآثار العلمية، الفارغة عن مظاهر الفضيلة، الخالية عن المكتبات الراقية العامة الكبرى)[1].

بعد تلك التجربة وتحسس الشيخ الاميني لما كان يعانيه المحقّق أو المؤلف من مرارة البحث والتنقيب، خاصة والنجف الاشرف هي المركز العلمي والديني في العالم الإسلامي، توزع جهد العلامة على شقين، الاول؛ شراء دارين متجاورتين في محلة الحويش وفي آخر سوقه، واستمر بشراء ما يمكنه شراؤه من الدور المجاورة؛ تمهيداً لتشييد مكتبة ضخمة تليق باسم النجف الاشرف ومركزه العلمي في العالم الاسلامي والشيعي، وتليق باسم صاحبها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م بوشر بحفر الاسس وبناء (السرداب) والمخازن تحت الارض[2].

١- الشاكري، ربع قرن مع العلامة الاميني: ٩٦.

٢- الشاكري، ربع قرن مع العلامة الاميني: ٧٣

أما الشق الثاني وهو الأهم، كان بالحصول على المصادر من الكتب، الخطية وغيرها، تستطيع ان ترفد الباحثين من طلبة ومؤلفين بما يحتاجونه من مصادر ومراجع، لذا طاف الاميني الأقطار الإسلامية التي عرفت بخزائن كتبها، بحثاً عن تلك المصادر، بنفسه أو يراسل من هناك لانجاز هذا المشروع العظيم[1].

وبعد أن مضى على هذا العمل الدؤوب أكثر من سبع سنوات تم إنجاز المرحلة الاولى من بناء المكتبة، على مساحة من الأرض تبلغ(٢٦٠) م٢وتم افتتاحها في يوم الغدير؛ تيمناً باسم صاحب المكتبة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد سميت باسم ((مكتبة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)العامة)) حتى صارت ((أم المكتبات)) على حسب وصف مؤرخ النجف الأشرف الشيخ جعفر محبوبه[2] و يعدها الخليلي من أكبر المكتبات العلمية الإسلامية من حيث الكيفية[3].

وتطالع الداخل للمكتبة باب كبيرة مصنوعة من الخشب الساج تعلوها لوحة زخرفية من المعرق القاشاني البديع خط فيها اسم المكتبة وأطرت بأبيات شعرية للشاعر محمد الخليلي النجفي يؤرخ تأسيس المكتبة منها:

ههنا معهد علم شاده ... رجل الحزم الذي عزّ قرينا
من غدا رائده الحق وقد ... فتح الله له فتحاً مبينا
شيخنا الحبر الأميني الذي ... راح في حفظ الولا يطوي السنينا
رام أن يرفع للعلم الذرى ... بينا مكتبة تحوي الفنونا
ورجا باسم علي أن يرى الـ ... ـعون فيها فرأى الله المعينا
شادها بيتاً رفيعاً سامياً ... خلدت فيه مساعيهِ قرونا

١- ن. م.

٢- محبوب، ماضي النجف وحاضرها:١/١٧٣.

٣- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ٧/٢٥٧.

فـاذا مـا جاءهـا مـستفهمٌ عـن بناهـا واتاهـا الوافدونـا
باسـم من قـد أنشِئتْ ارخ بلى أنـشِئتْ باسـم أمـير المؤمنينـا
١٣٧٦هـ

وقد أنشِئتْ هذه المكتبة بثلاثة طوابق وفق طراز معماري جميل يقول عنها محبوبة: (لا تضاهيها قط مكتبة في جمالها وهندستها، فيها نوع من الفن بديع جدا، يبهر صنعها، وتسر نظرتها إلى محاسن تتجلى لزائرها أينما يولي وجهه من أجوائها)[1].

تتألف المكتبة من العديد من الاقسام والشعب التي نظمت عملها وجعلت منها واحدة من المكتبات الرائدة في العراق ومحط أنظار الكتّاب والباحثين في العالم بما تحتويه من كتب مطبوعة ومخطوطات نادرة بلغت اكثر من (١٠٠٠٠٠) عنوان بين مطبوع ومخطوط بعد ان كان عددها لا يتجاوز الخمسة عشر الف عنوان عند انشائها، كما تحتوي مكتبة امير المؤمنين العامة أكثر من (٧٠٠٠) عنوان مخطوط ساهمت الكثير من العوائل النجفية في دعم المكتبة بوقف كتبهم المخطوطة على هذا المكان وبخاصة في السنوات الأخيرة[2].

كما تضم عدداً كبير من الوثائق النادرة التي ترجع الى فترات تاريخية مهمة من بينها وثائق لأكثر العوائل النجفية، و قد نظمت لكل عائلة أخبارها الخاصة بها وأضابير أخرى تخص تاريخ المنطقة، وهي مصنفة ومحفوظة في خزانات خاصة يستطيع الباحث أو الدارس الأطلاع عليها في أي وقت يشاء.

وللمكتبة ايضا شعبة خاصة تضم بعض الآثار القديمة والأحجار النادرة التي تخص تاريخ المنطقة. فضلا عن شعبة جمعت فيها نتاجات الفنانين التشكيلين

١- محبوبه، ماضي النجف وحاضرها:١/١٧٣.

٢- مقابلة خاصة مع الاستاذ علي جهاد الحساني أمين المكتبة لقرابة الـ٢٠ عام.

العراقيين والأجانب من لوحات في الرسم وأخرى للخط العربي والزخرفة الإسلامية.

يجلس المطالعون في المكتبة من خلال قاعتين واحدة للذكور وأخرى للنساء وتسع كل واحدة منها لـ(١٠٠) مطالع، وتتسنى لهم استعارة الكتب من خلال نظام الاستعارة بموجب استمارة الاستعارة التي تدخل في جهاز الحاسوب بعد ملئها من قبل الباحث لغرض جلب الكتب اليه.

وقد جعل الشيخ الاميني للمكتبة مجموعة من المتولين الشرعيين كانت لهم خطوة واسعة وشوط بعيد في تاسيسها و توطيدها وصرف الهمة ورائها. وجعلهم الطبقة الأولى وهم: الحاج حسين محمد عبد الرحيم الشاكري، الحاج هاشم عبد الباقي الطيار، الاستاذ عبد الحسين علي النجم.

وبعد غياب هؤلاء المتولين وانتقالهم الى خارج العراق من جراء ملاحقتهم من قبل أزلام النظام السابق ولغرض التصدي للتولية وتسيير الوقف وفق شرط الواقف(رحمه الله) الذي جعل الترشيح عند غياب المتولين او وفاتهم من قبل طبقة المتولين الاولى. وهكذا تم الترشيح من قبل المرجعية كل من الاستاذ عبد الحسين النجم، والحاج جابر معين جدي، والأستاذ عبد الرزاق إبراهيم الحبوبي بدلاً عنهم لغرض استمرارية الوقف. وأصبحت التولية هكذا.

كما توالى على أدارة المكتبة منذ نشأتها ولحد الآن مجموعة من المدراء الأكفاء على التفاوت في المدة الزمنية التي شغلوها وهم:

١ - الشيخ محمد رضا الشيخ عبد الحسين الاميني، للفترة من (١٩٥٣ الى١٩٧٠ م).

٢ - السيد علاء السيد محمد كلانتر للفترة من(١٩٧١م الى ١٩٧٣ م).

٣ - السيد محمد باقر الخرسان للفترة من(١٩٧٤م الى ١٩٧٩م).

٤ - الحاج يوسف عبد الله الحارس للفترة من(١٩٨٠م الى ١٩٨٩م)..

٥ - السيد هاشم الطالقاني للفترة من (١٩٩٠م الى ١٩٩١م).

٦ - الأستاذ علي جهاد ظاهر الحساني للفترة من (١٩٩١م الى ٢٠١١م).

ب- مكتبة الحكيم العامة

لان الكثير من طلبة العلم والثقافة غير قادرين على شراء جل الكتب الجديدة، انبرى ثلة من المعنيين بانشاء مكتبات عامة ليستفيد منها اهل العلم ورواد الحركة الثقافية وكانت النجف الاشرف السباقة في هذا الميدان، وكان في طليعة اولئك سماحة المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد محسن الحكيم(قده)، فقد احس سماحته بالحاجة الماسة لهذا المشروع فبذل كل ما بوسعه لاقامة هذا الصرح الثقافي الخالد والذي لا زال يواصل تقديم خدماته العلمية والثقافية الى كل رواده منذ عشرات السنين.

تم انشاء المكتبة بمرحلتين هما: الاولى في سنة(١٣٧٥هـ) حيث اشترى سماحة السيد محسن الحكيم(قده) دارين مجاورين للمسجد الهندي لغرض توسيع المسجد واستثنى منها المكان الشمالي حيث جعل اسفله مقبرة له ولعائلته اما الطابق الارضي والاول فكانا كمكتبة عامة سميت باسمه.. وكان افتتاح هذه المكتبة سنة(١٣٧٧هـ) وقد اشترى سماحته(قده) العديد من المطبوعات القيمة والمخطوطات النفيسة بالاضافة لما اهداه بعض المؤمنين من كتب لتكون تلك المكتبة نواة المكتبة العامة الحالية.

اما المرحلة الثانية فقد كانت اثر وصول اعداد هائلة ومهمة من امهات الكتب من كل حدب وصوب ضاق المكان الاول عن تحملها، فقرر سماحته شراء قطعة ارض اخرى تتصل بالمسجد والمكتبة لغرض توسيعها وبالفعل تم ذلك وبوشر بالبناء حيث تولى المهندس محمد مكية اعداد التصاميم الخاصة بها ومن ثم اشرف على تنفيذها فكان صرحا حضاريا قل نظيره في العراق خلال تلك الفترة حيث فتحت المكتبة ابوابها للرواد سنة (١٣٨٧هـ) وهي مؤلفة من اربعة طوابق فضلا عن السرداب.

وقد أرخ تأسيسها العلامة المرحوم السيد موسى بحر العلوم:

هذي رياض العلم نافحة الشذى ... الدانيات قطوفها للمجتني
الناطقات بحكمة أسفارها ... التاليات لها بغير الألسن
للعلم والعلماء كنزاً أرخوا ... فلتبق مكتبة الحكيم المحسن

يؤم المكتبة الالاف من المطالعين من داخل النجف وخارجها وزارها عدد كبير من الشخصيات العلمية والثقافية والدبلوماسية من مختلف البلدان العربية والاسلامية والاجنبية وسجلها التشريفي حافل بالعديد من كلمات الشكر والامتنان لكل من زارها..

وكان معدل المطالعين في المكتبة يصل الى (١٥٠مطالعا) في اليوم الواحد ولكلا الجنسين فقد ساعدت هذه المكتبة روادها من مختلف الاوساط الثقافية والعلمية من المتعطشين لنهل علوم آل البيت(عليهم السلام) من مضانة الحقيقة، وكان لقلة المطبوعات وارتفاع اسعارها الاثر البالغ في توجه هذا الوسط نحو تلك المكتبة.

للمكتبة فروع عديدة حيث بلغ عدد فروعها منذ سنة (١٣٨٠هـ) والى الان اكثر من (٨٠) فرعا موزعة على عدد من المحافظات العراقية وهناك فروع اخرى في بعض الدول العربية والاسلامية.. ولفروع المكتبة لجنة خاصة في المكتبة تشرف على تزويدها بما تحتاجه من كتب واثاث ومواد بناء لغرض الترميم وغيرها من الامور الادارية...

تمتلك كتباً مطبوعة واخرى مخطوطة، اما الكتب المطبوعة: تحتوي المكتبة في خزانتها على عدد كبير من الكتب النفيسة والتي بلغ عمرها اكثر من مائة سنة، حيث بلغ عدد هذه الكتب اكثر من (٤٠) الف عنوان بضمنها موسوعات ثمينة في العلوم كافة وما زالت في ازدياد حيث تعمل المكتبة على جلب المطبوعات الحديثة فضلا عن اهداء بعض الافاضل لمكتباتهم الخاصة مثل العلامة الجليل الشيخ عبد

الهادي حموزي والحاج حمزة شناوة والشيخ محمد كاظم محمد حسن والعلامة المجاهد الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم، والقسم الثاني من كتب المكتبة هو الكتب المخطوطة التي تعد نواة هذه المكتبة حيث تم شراء الف كتاب مخطوط من كتيب المرحوم العلامة الشيخ محمد السماوي، كما اهدى العلامة الشيخ محمد الرشتي مكتبته الخاصة البالغ عددها (١٥٠) مخطوطاً، كما تزايد العدد حاليا ليبلغ الى (٣٨٧٥) مجلداً مخطوطاً تحوي على اكثر من (٦٥٠٠) عنوان من العناوين المهمة.. كما تحتوي على كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي نسخ عام (٦٧٧هـ)، كما تمتلك المكتبة مخطوطاً عنوانه (كتاب في النحو) نسخ عام (٦٥٢هـ) وهو من اقدم المخطوطات في المكتبة وهو مجهول الناسخ والمؤلف.

من المعروف لدى الكل أن النظام المباد سعى حثيثاً إلى طمس الهوية والثقافة الإسلامية بكل ما أوتي من قوة، وسعى جاهداً لهدم صروح لا زالت مناراً يهتدي بها السائرون، فابتدأ بملاحقة العلماء و الخطباء والمثقفين، واتجه إلى غلق المدارس الدينية، واعتقال وقتل العلماء، وشرّد الكثيرين، ومنع الشعائر الدينية بكل حجة تافهة.

ومكتبة السيد الحكيم حالها حال المؤسسات الأخرى لم تسلم من أذى النظام المباد في مضايقة موظفيها وروّادها ورصد ومراقبة حركة من يدخلها، لكن الله سبحانه وتعالى أعمى عيون الظالمين وسلمت من كيدهم.

وعند اعتقال أسرة آل الحكيم أغلقت المكتبة بتأريخ ١٩٨٣/٥/١١م، فحرم منها طلاب العلم والفكر والأدب ما يقارب عقد من الزمن، ثم أعيد فتحها - بعد إعدام جملة من علماء وفضلاء أسرة آل الحكيم وإطلاق سراح من بقي منهم - بشكل رسمي يوم ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١/١٢/٢٥م.

شاء الله أن يكون هذا الصرح محفوظاً من عنده، وببركات أمير المؤمنين، وبمساعي بعض الخيرين، فقد تعرضت المكتبة أثناء دخول الجيش في انتفاضة ١٩٩١م إلى الهتك من قبل أفراد الجيش، بحيث أن بعض الجنود كان يوقد لعمل

(الطبخ) أو (الشاي) ما تقع عليه يده من كتب، ثم قيض الله سبحانه وتعالى بعض المؤمنين وأنقذ الكتب المخطوطة، إذ اشتراها من سرّاقها وأرجعها إلى المكتبة، وبذلك قدّم خدمة تذكر وتشكر.

أما مفقوداتها فهي:

١. قرآن مخطوط مكتوب على الرق مزدان بنقوش ملونة ممتازة قياس ٦×٤,٢ سم.

٢. كتب مطبوعة زادت على الألفي كتاب، بعضها نادرة يعود تأريخ طبعها إلى (١٥٠) سنة.

إضافة إلى الأموال وأجهزة الاستنساخ والتصوير وبعض الوثائق والصور المهمة وقسم كبير من الأثاث.

لقد زار المكتبة منذ افتتاحها لحد الآن عدد كبير من الشخصيات العلمية والثقافية والدبلوماسية من مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي والأجنبي، وسجلها حافل بكلمات الشكر والامتنان من كل من زارها من تلك الشخصيات، وإليك أسماء بعض من زارها:

١. علي الخفيف، ٢. هاشم الخطاط (خطاط عراقي شهير)، ٣. عبد الرزاق بستانة، ٤. هلال ناجي، ٥. الدكتور نوري القيسي، ٦. الدكتور شوقي ضيف، ٧. المهندس محمد صالح مكية، ٨. الدكتور رمضان عبد التواب، ٩. الدكتور حسني سبح، ١٠. الدكتور علي الوردي، ١١. محمد تقي دانش (محقق إيراني)، ١٢. ولفانج لوبر (مستشرق ألماني)،١٣. تومس وليفر (مستشرق ألماني)، ١٤. الدكتورة جويدة (مستشرقة كندية)، ١٥. الدكتورة هيكوجي يوجيما (بروفسوره يابانية).

وأمّ المكتبة الآلاف من المطالعين من داخل النجف وخارجها، وقد بلغ معدل من يرتادها من المطالعين حالياً حوالي سبعين فرداً يومياً من كلا الجنسين.

وتولى أمانة المكتبة عدد من العلماء والأفاضل نذكرهم على التعاقب:

١. الشيخ عبد الحليم الشيخ محمد حسين الزين العاملي. من الفضلاء المعروفين، تولى منصب مفتي النبطية في لبنان، توفي سنة ١٤٢٧هـ. تولى أمانتها مدة ثلاثة أشهر من سنة ١٩٥٧-١٩٥٨.

٢. السيد محمد تقي السيد محمد علي الحكيم. من العلماء الأجلاء المدرسين، ولد في النجف سنة ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م ونشأ بها، أكمل تحصيله الدراسي الحوزوي على جمع من المدرسين الأفاضل. تولى أمانتها من سنة ١٩٥٨-١٩٧٢.

٣. الشيخ عبد الهادي الشيخ عباس الأسدي. من الخطباء الفضلاء والكتاب الصحفيين، ولد في النجف سنة ١٣٣٥هـ ونشأ بها، أصدر مجلة (الدليل) وهي من المجلات النجفية الرائدة، توفي في النجف سنة ١٤٢٤هـ. تولى أمانتها من سنة ١٩٧٢-١٩٧٣.

٤. الشيخ محمد مهدي الشيخ محمد حسن نجف. من فضلاء الحوزة العلمية وله يد في تحقيق كتب التراث الإسلامي، ومؤلف قدير صدرت له مؤلفات قيمة، ولد في النجف سنة ١٩٤٨. تولى أمانتها من سنة ١٩٧٣-١٩٨٠.

٥. الشهيد الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم نجل المؤسس. من العلماء الأجلاء والمحققين المعروفين، ولد في النجف سنة ١٩٤٠ ونشأ بها، جمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية وتخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة حاصلاً على شهادة الدكتوراه، أستشهد على يد أزلام النظام المباد سنة ١٩٨٥. تولى أمانتها من سنة ١٩٨٠-١٩٨٣.

٦. السيد محمد السيد كاظم القاضي. من فضلاء الحوزة وله يد في تحقيق التراث الإسلامي، ولد في النجف سنة ١٩٦٢ ونشأ بها وأكمل دراسته على فضلاء المدرسين. تولى أمانتها من سنة ١٩٨٣- ١٩٩١.

٧. السيد جواد السيد كاظم الحكيم. من الفضلاء القديرين والمطلعين الواعين، ولد في النجف سنة ١٩٥٩ ونشأ بها وأكمل دراسته الأكاديمية متخرجاً

في كلية العلوم/ قسم الكيمياء سنة ١٩٧٩. تولى أمانتها من سنة ١٩٩١- وإلى الوقت الحاضر.

ت- مكتبة الامام الحسن العامة:

من المؤكد انه لا يمكن باي حال ان تنهض امة ما لم تتسلح بالعلم، فهو الرصيد الاول لنهضتها الفكرية والعلمية. وفي الاسلام يعد طلب العلم فرضاً من فروضه وواجباً من واجباته، فقد امر بطلبه ولو كان في الصين نظرا لبعد المكان في ذلك الوقت.

وقد اهتم المسلمون في عصور الاسلام الاولى بانشاء المكتبات العامة، حتى قيل انه لم يبذل شيء ابذل من العلم في بغداد.

كما كان لمدينة النجف الاشرف، وهي منار الشرق العربي الاسلامي ورائدة الحضارة العلمية ومركزها المهم منذ ما يقارب الالف عام قد اسست فيها الكثير من المكتبات من اهمها مكتبة الحرم العلوي الشريف المسماه بالمكتبة الحيدرية وكانت تضم ذخائر الكتب المخطوطة بما فيها خط ابن سينا والفارابي والعلامة الحلي والشيخ المفيد والسيد الرضي والمرتضى وغيرهم.

ليتوالى بعد ذلك انشاء المكتبات والتي من بينها مكتبة الامام الحسن(عليه السلام) العامة التي نحن بصدد الحديث عنها.

يقول مؤسس المكتبة العلامة الشيخ باقر شريف القرشي عن فكرة انشاء هذه المكتبة: (انه لما وفق لتاليف كتاب الامام الحسن(عليه السلام) لم يكن في ذلك الوقت سوى المكتبة الحسينية ومكتبة كاشف الغطاء، وقد عانيت جهدا شاقا وعسيرا في التاليف، وايقنت ان افضل خدمة تؤدي الى الفكر والعلم انشاء المكتبة وعرضت ذلك على اخي الفقيه حجة الاسلام الشيخ هادي القرشي(رحمه الله) فاستجاب الى الفكرة فانشانا مكتبة الامام الحسن(عليه السلام) في مكان لا يسع الا لكوكبة صغيرة من المطالعين.. وكانت المكتبة الشخصية للعلامة الشيخ هادي

القرشي النواة الاولى لتاسيس هذه المكتبة التي توسعت بعد ذلك بفضل اهداء بعض المكتبات والمؤسسات العلمية والثقافية. وتوسعت الكتب حتى بلغت عشرات الالاف.. ومن ثم على ما يزيد على (١٠٠٠٠٠) كتاب في مختلف العلوم فضلا عن(٤٠٠) او اقل من الكتب المخطوطة)[١].

وسميت هذه المكتبة بهذا الاسم تيمنا بعنوان ذلك الكتاب الذي كان باكورة مؤلفات الشيخ باقر شريف القرشي وهو كتاب عن حياة الإمام الحسن(عليه السلام).

تقع مكتبة الامام الحسن على يمين الخارج من شارع الرسول بأتجاه شارع السور في النجف الاشرف، بخمسة طوابق هيئت لتكون قادرة على استقبال روادها وينقسم الطابق الاول الى جهتين جهة للمراجعين من الرجال وجهة للنساء ومخزن للكتب واربع طوابق على هذا الوفق اما الطابق الخامس ففيه غرف اعدت للباحثين والمؤلفين من اساتذة الجامعات وغيرهم.. وتقوم هذه المؤسسة بجميع الوان الخدمة الى المطالعين والبحاثة وهي تستقبل اليوم ما يناهز الاربعين مطالعا، من خلال اربع قاعات تسع الى (٨٠- ١٠٠)مطالع.

وعن أمانيه في تطوير هذه المكتبة يقول الشيخ القرشي: (نأمل من الله تعالى ان يحقق الآمال وتكون من مراكز النسخ بما فيها من المخطوطات التي ينتفع بها الناس وقد ايقنت ان تاسيس المكتبة من الوسائل الناجحة لا شاعة العلم وتنوير العقول وتعريف الشباب بحضارتهم الاسلامية التي لا تزال محجوبة عنهم، وفق الله الجميع لما فيه خير الامة وصالحها)[٢].

يعود تاريخ تاسيس المكتبة إلى عام ١٩٩٣ شيدت بفن معماري حديث، بمساحة كلية مقدارها: (٣٤٥) متراً مربعا وقد استغلت جميعها كبناء، واكثر ما

١- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع الشيخ القرشي، نشرت في مجلة النجف الاشرف العدد ٢٨.

٢- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع الشيخ القرشي، نشرت في مجلة النجف الاشرف العدد ٨٢.

امتازت به شمولها الكتب التي يعود تاريخها لاكثر من خمسة قرون، بينها نوادر الكتب والمطبوعات التي خطت بيد اهل البيت عليهم السلام.

ث- مكتبة كاشف الغطاء العامة.

تعد مكتبة كاشف الغطاء العامة من أهم المكتبات في النجف الاشرف بما تحتويه من امهات الكتب سواء المخطوط منها او المطبوع النادر، حافظت على وجودها رغم كل الظروف والمحن التي مرت بها، لتعود بحلة جديدة بعد ان اعيد تاهيلها واعمارها وتفتح ابوابها لروادها من جديد.

تطالع الزائر لها لافتة رئيسية كتب عليها: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ).. هذا بيت العلم، وبيت العلم لا يخرب إن شاء الله.

إذا ما بناء شاده الدين والتقى تهدمت الدنيا ولم يتهدم

هي مكتبة علي والحسين(مكتبة كاشف الغطاء العامة)، أنشئتْ سنة ١٣٥٦ للهجرة، وعن السبب بذكر هذه العبارة بأنها: (مكتبة علي والحسين) يقول مؤسسها: ان مكتبة علي والحسين هي مكتبة الامام علي والإمام الحسين(ع) انها منهما وإليهما[1].

تقع مكتبة كاشف الغطاء في محلة العمارة، أسسها الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى كاشف الغطاء قرابة العام ١٣١٠- ١٣٢٠هـ كمكتبة خاصة على ارض مساحتها ٢٠٠ متر تقريبا، وأوقفها أبنه الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، حيث بنى لها جناحاً في مدرسته الشهيرة، وفيها ما يقرب من عشرة آلاف كتاب من بينها المدونات الكبرى في التاريخ، والأدب، واللغة،

١- مجلة النجف الاشرف، العدد ٨٢، مقابلة مع متولي المكتبة الشيخ شريف كاشف الغطاء.

والمخطوطات المهمة فيها، وهي أول مكتبة خاصة وعامة، وقد تولى إدارة المكتبة العديد من الشخصيات منهم الشيخ محمد صلوات، الشيخ ناصر حسن، الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء ابن الشيخ، وأخيراً سماحة الشيخ شريف كاشف الغطاء نجل المرجع السابق سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[1].

وعن بناء هذه المكتبة تحدث لنا متوليها الشيخ شريف كاشف الغطاء بالقول: عندما قام المرحوم الشيخ محمد الحسين ببناء مدرسة كاشف الغطاء استقطع جزءاً منها لإنشاء مكتبة لوالده الشيخ علي صاحب كتاب(الحصون المنيعة) وجعلها مكتبة عامة وراجعها الكثير من المؤلفين والباحثين يوم لم يكن في النجف مكتبة عامة سوى المكتبة (الشوشترية) والمكتبة (العامة) وقد تميزت مكتبة المدرسة عليهما بما تحويه من نوادر الكتب المخطوط منها او المطبوع، مثل كتاب طبقات ابن سعد المطبوع في اوربا، كتاب النحو لسيبويه مطبوع في باريس قبل ١٤٠ سنة، وهناك أيضاً شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد في نسخة نادرة، وكتاب معرفة اصول الحديث للحاكم النيسابوري، وكتاب البداية والنهاية لأبن كثير،وكتاب منطق الفارابي وهي نسخة نادرة ومهمة، بالإضافة إلى وجود نسخ عديدة نادرة من القرآن الكريم، حيث توجد لدينا قطعة من القرآن برق الغزال مكتوب بالخط الكوفي وقرآئين أخرى مختلفة الخطوط، بالاضافة إلى انه يوجد عندنا كتاب بالانساب بخمس مجلدات وهو كتاب فريد لا يوجد مثيله وفي كل مجلد انساب العلويين وغيرهم.

هذا فضلا عن احتوائها على العديد من المخاطبات والرسائل الخطية لكبار الشخصيات في العالم؛ منها مخاطبات من رئيس باكستان ومن الملك فيصل الاول وكذلك من شاه إيران، بالإضافة إلى وجود الكثير من المكاتيب ورسائل الملوك

١- الشيخ أمير كاشف الغطاء، نجل متولي المكتبة، مقابلة خاصة مع المؤلف.

والعلماء، والشعراء[1].

ويضيف الشيخ بالقول: وقد رأيت بعيني المرحوم العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني عندما كان يؤلف كتابه الغدير ورأيت الشيخ آغا بزرك الطهراني ورأيت اليعقوبي والخاقاني والعلامة القرشي وغيرهم كثيرين ممن كانوا يؤمّون المكتبة، وينهلون من كتبها التي كانت تضمها وكان فيها في ذلك الوقت قرابة الـ (٨٠٠٠) مطبوع من المطبوعات المهمة فضلا عن قرابة الـ(٢٠٠٠) مخطوط من المخطوطات النادرة التي يبلغ عمر البعض منها الى عام ٣٢٥ للهجرة وبعضها بخط مؤلفيها مثل كتاب البداية والنهاية لابن الاثير[2].

وعن مصدر الكتب والمخطوطات الموجودة في المكتبة، تحدث متولي المكتبة الشيخ شريف كاشف الغطاء قائلا: (الكتب الموجودة في المكتبة متنوعة، بعضها شراء في زمن الشيخ علي صاحب الحصون المنيعة، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وبعضها قمت بشرائها انا، فالشيخ علي صاحب الحصون المنيعة كان يشتري ويقتني الكتب اثناء سفره إلى إستنبول والهند والحجاز وإيران والتي تستغرق حوالي ٦-٧ سنين ثم يعود ومعه العديد من الكتب النفيسة التي اشتراها او نسخها بيده، والمكتبة اليوم فيها قرابة المائة كتاب كان الشيخ قد نسخها بيده)[3].

بالإضافة إلى ذلك كانت مدينة النجف فيها الكثير من الاسواق الخاصة ببيع الكتب(مزاد الكتب) حيث تباع مكتبات بكاملها هناك، ومن ضمن المكتبات التي بُيعت في هذه الاسواق هي مكتبة العلامة النوري (رحمه الله) حسب ما قرأت في كتاب نهج الصراط في الكتابة والكتاب، حيث يذكر ان هذه المكتبة على نفاستها وأهميتها بيعت في سوق المزاد وقام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بشراء

١- الشيخ شريف كاشف الغطاء، متولي المكتبة، مقابلة خاصة مع المؤلف.

٢- ن . م

٣- مجلة النجف الاشرف، العدد ٨٢، مكتبة الشيخ كاشف الغطاء العامة.

جملة من الكتب منها ومن ضمنها كتاب البداية والنهاية لأبن الاثير، وكتاب القانون لابن سينا وهي نسخة نادرة مطبوعة سنة ١٥٩٣م، ويوجد في المكتبة بعض الكتب المهداة وإن كانت قليلة، ومنها هدايا المرحوم الشيخ هادي شبيلة في زمانه أهدى كل مؤلفاته للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

ج- مكتبة الامام الحسين العامة في الكوفة:

النجف الاشرف منارة العلم والعلماء وقبلة الباحثين و المفكرين والمؤرخين وهي البحر الزاخر بالكتب والمكتبات فنادراً ما توجد دار أو زقاق أو محلة أو شارع ألا و فيه مكتبة تحتوي على أمهات الكتب ونوادر المخطوطات لعلماء وفلاسفة و رجال دين كبار ومثقفين، لقد نذراصحاب هذه المكتبات أنفسهم وأفنوا حياتهم في جمع وبناء صرح ثقافي ساهم في رفد الحركة الثقافية في النجف الاشرف فكانت بحق هذه المكتبات المعين الذي يرتوي منه كل متعطش لطلب العلم و من هذه المكتبات الخاصة مكتبة الامام الحسين العامة للشيخ شاكر محمد القرشي في مدينة الكوفة، ذلك الذي افنى من حياته اكثر من (٥٠) عاما في جمع المصادر والمراجع ومختلف المؤلفات والعناوين وفي شتى الميادين.

ولد مؤسس المكتبة في مدينة النجف الأشرف وفي محلة العمارة سنة ١٩٢٩م في بيت علمائي كالشيخ جعفر القرشي والشيخ محمد علي القرشي الذي كان من الأفاضل وغيرهم من الفضلاء.. وشغف باقتناء الكتب وشرائها منذ اول نشاته خصوصا وهو بامس الحاجة لها لرفد معلوماته الثقافية بكل جديد بعد ان التحق بالحوزة العلمية عام ١٩٤٣ فقرأ المبادئ الأولية في القطر على يد الشيخ هادي القرشي ثم على يد الشيخ علي نور الدين الذي كان من العلماء العاملين، وبعدها قرأ المنطق على المرحوم الشيخ هادي القرشي كما قرأ المختصر على يد الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وقد كانت حلقته تضم جملة من أهل العلم من سائر بلدان الإسلام وبعدها تتلمذ على يد الشيخ محمد علي الجواهري فقرأ عليه

اللمعة والمكاسب والمسائل كما درس المكاسب على يد المرحوم السيد باقر الشخص الذي كان من العلماء الأفاضل وبعدها حضر درس آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس) ودرس الفقه عند آية الله العظمى السيد الخوئي (قدس)..

وبالاضافة لكون الشيخ شاكر القرشي طالبا حوزويا فقد مارس الخطابة الحسينية بعد ان تتلمذ على يد السيد جواد شبر رحمه الله فازداد ولعه بالكتاب واقتنائه، ويقول القرشي بهذا الصدد: (الخطيب هو موضع حاجة للكتاب بل هو سلاح يتسلح به فضلا عن العالم والدارس وقال المتنبي من قبل:

اجل مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

فهو الجليس الصالح الذي يؤنس صاحبه ولا ينم عليه)[1].

اسست المكتبة في بداية ثمانينيات القرن الماضي ليستفيد منها طلاب العلم ورواده حيث بنيت بناية خاصة للمكتبة تحوي غرفا للفهارس وثانية للمدير وثالثة للمطالعة والاخيرة بقسمين واحدة للرجال والاخرى للنساء ويتبع ذلك مخزن لمكررات الكتب وغيرها كما افردنا اماكن تضم ما في المكتبة من كتب[2].

تضم المكتبة اليوم الكثير من العناوين ففيها كتب التراجم والتفسير والرجال والتاريخ.. وغيرها من فروع العلم الا ان البارز فيها بالطبع هو الكتاب الديني.

ويعود الفضل لتنسيق المكتبة وتهيئة مخازن الكتب والفهارس الى المتفضل الحاج صلاح عجينة، ومكتبتي هي اليوم حصيلة مشوار امتد منذ اكثر من (٥٠) سنة في استحصال وطلب العلم.

د- مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة:

١- مقابلة خاصة مع المؤلف.

٢- ن . م

تم انشاء مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة عام ٢٠٠٧ من قبل سماحة السيد محمد علي الحلو، بالنظر للحاجة الملحة من قبل شرائح المجتمع المثقفة وفكرة انشائها خارج نطاق المدينة القديمة لما صار يعانيه الباحث والدارس من صعوبة الوصول للمكتبات العامة الكائنة هناك ومراعاة للقرب من الجامعات الأكاديمية والمعاهد الدينية مساهمة في رفد الحركة الثقافية في مدينة النجف الأشرف التي كانت ولا تزال المدينة المعطاء بكل جوانبها الدينية والثقافية والأدبية وللتواصل مع المسيرة الثقافية التي بدأت منذ عهد الشيخ الطوسي وستبقى ان شاء الله الى ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، ودأب مؤسس المكتبة على ان تكون المكتبة منوعة المواضيع خارجة عن المألوف من نظام المكتبات القديمة لكي تقدم افضل خدمة ممكنة للباحث[١].

بنيت المكتبة على مساحة تبلغ ٣٠٠م٢ بقاعة كبيرة ارضية ومثلها قاعة اخرى في الطابق الأول وبنفس المساحة، كما تحتوي القاعة الأرضية على عدد من الرفوف يبلغ ٨٠ رف اضافة الى طاولات وكراسي تستوعب ما يقارب ٨٠ مطالعاً.

تحتوي المكتبة على عدد من الكتب ما يقارب ١٥,٠٠٠ كتاب اضافة الى عدد كبير من النفائس من الكتب النادرة والطبعات القديمة وايضا تملك المكتبة ٣٠ مخطوطة يدوية لمختلف العلوم، وقد خصصت القاعة الأرضية للرجال والقاعة الفوقية لمطالعة النساء[٢].

المكتبة وقف شرعي بنيت من قبل سماحة السيد محمد علي الحلو من غير مساهمة من أي جهة اخرى فهي مكتبة مستقلة لا تنتمي لأي طرف آخر، وقد تم التبرع بعدد من المكتبات الشخصية للمكتبة من قبل ورثة اصحابها لثقتهم بالمكتبة

١- مقابلة خاصة مع المؤلف.

٢- مقابلة خاصة مع المؤلف.

وإيمانهم بما تقدمه من خدمة للآخرين.

صنفت كتب المكتبة تصنيفا موضوعيا بدأ من علوم القرآن والتفاسير وما يتعلق بها من ابحاث مرورا بأهل البيت عليهم السلام، وجعل كل شخصية منهم موضوعا، اضافة الى الفقه والحديث ولجميع المذاهب من غير استثناء، وكذلك الدراسات الحديثة والعلوم الطبيعية والإنسانية من طب وقانون وهندسة وعلم الفلك والاقتصاد والاجتماع واللغات المختلفة.

ويتم استعارة الكتاب على شكلين: استعارة داخلية بأن يبحث الباحث عن الكتاب مباشرة لاستحصال ما يريد من موضوع، واستعارة خارجية بأن يعطى الكتاب لمدة لا تتجاوز اليومين مع اخذ معلومات الكتاب وأي مستمسك للمستعير لضمان ارجاع الكتاب وهذا كله قد لاقى قبولا كبيرا لدى الباحثين الطامحين للبحث بأيسر صورة ممكنة.

تفتح المكتبة من الساعة الثامنة صباحا وحتى الساعة الثامنة مساء من غير استراحة او اغلاق للباب بتقسيم العاملين الى دوامين صباحي ومسائي.

خاتمة البحث

لم يهتم الدين الاسلامي بشيء قدر اهتمامه بالعلم النافع، حتى عدّ دور التعليم ونشره من الأدوار البارزة لنبي الإسلام الأعظم(صلى الله عليه واله) ورجالات الإسلام الأوائل.

وإذا ذكر العلم والتعليم، فلا بد أن ينصرف الذهن الى فتى الاسلام الخالد، الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، فهو باب مدينة علم الرسول، وهو القائل: (..إن رسول الله صلى الله عليه واله علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب..)[1].

فلقد حرص هذا الرجل العظيم، على تربية وتعليم الناس من حوله أيما حرص، ودأب على غرس بذرة العلم والتعليم في كل من يجد فيه الأهلية لتحمل هذه الأمانة الثقيلة، فكان يصدح بصوته على المنابر طالبا من يرغب في حمل جزء من علمه الذي يحمله بين جنبيه، فيهتف في الناس: (سلوني قبل ان تفقدوني)[2].

ولم يكن سلام الله عليه ينفك عن أداء هذا الدور المقدس طيلة حياته الشريفة، ولم تكن الظروف والمتغيرات التي كانت تعصف بالأمة لتثنيه عن أداء هذه الرسالة المباركة - رسالة العلم والتعليم - سواء كان حاكما أم محكوما، في زمن السلم أم في زمن الحرب، ولطالما سمع الناس عنه يبثّ نفيس العلم في اشد الاوقات صعوبة وحرجا.

وكانت الفترة التي انتقل فيها(عليه السلام) من المدينة الى الكوفة من جملة المراحل التي برزّت فيه إصراره على أداء دور المربي لأجيالِ العلماء الفطاحل،

١- للصدوق، الخصال: ٥٧٢

٢- نهج البلاغة: ٢/ ١٣٠.

الذين نقلوا العلم -دقيقه وجليله- الى شتى بقاع الارض، فشهد تاريخ الكوفة منذ أن وطئت قدماه الشريفتان تربتها المباركة حركة لطلبة العلم الافذاذ الذين تحلقوا حول أستاذهم الأول، وما لبثت اسماؤهم أن لمعت في سماء العلم والحكمة، كميثم التمار، وكميل بن زياد، ورُشيد الهجري، وابو الاسود الدؤلي واشباههم.

ولما استشهد الامام علي(عليه السلام)، لم يتوان أبناؤه المعصومون(عليهم السلام) وطلابه المخلصون(رضوان الله عليهم) عن مواصلة دوره العلمي الخالد، فكانت حلقات الدرس تعقد في ارض الكوفة وفي ظهرها، حيث مرقده الشريف، وهم ينهلون من وجوده المبارك الفيوضات العلوية التي تدفعهم للجد والاجتهاد في هذا الدرب الكريم.

وجاء اليوم الذي نضج فيه الغرس الذي زرعه امير المؤمنين(عليه السلام)، وبدت ثماره تؤتي أكلها للقاصي والداني، وكان ذلك في عهد ولده الامام محمد بن علي الباقر(عليه السلام)، حيث انشأ مدرسة عظيمة في الكوفة، مستغلا الظروف المؤاتية التي كانت تمر بها الامة، حيث فرضت لونا من انشغال حكام السلطة عن التضييق على اهل البيت واتباعهم.

واستمر ولده الامام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) على نهج أبيه، في تطوير تلك المدرسة العريقة، حيث بلغت مدرسة الكوفة من العظمة والسعة ان قال فيها الحسن بن علي الوشاء: إني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ، كلّ يقول: حدثني جعفر بن محمد عليهما السلام[1].

ومع انتقال الثقل الحضاري من الكوفة إلى النجف - باعتبار ان ارض النجف تشرفت باحتضان مرقد أمير المؤمنين(عليه السلام)- انتقل معه الإرث العلمي الذي حملته الكوفة الذي يزيد عمره على أربعة قرون، وكانت نقطة

١- العاملي، وسائل الشيعة: ١٩/ ٣٤٦.

التحول الكليّة لهذا الارث توافق الفترة التي نزل فيها الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الطوسي(قدس سره) سنة ٤٤٧ هـ ارض النجف الاشرف، حيث تعد تلك الفترة إيذانا بإعلان النجف الاشرف مركزا للمرجعية العلمية والدينية الذي يقصده كل من يريد التزود من معين العلم الصافي.

وصارت النجف الاشرف منذ ذلك التاريخ مدرسة اهل البيت(عليهم السلام) العالمية، واصبحت المركز الامي الذي تجتمع عنده كل الأعراق والقوميات لغاية طلب العلم، حيث المدرسة العلوية الكبرى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم،ط١سنة ١٩٥٩م، منشورات دار الكتب العربية.

ابن أبي شيبة، الكوفي،مصنف ابن أبي شيبة في الاحاديث والاخبار، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، سنة الطبع: ١٤٠٩هـ،الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار.

ابن سعد، أحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق زيادة بن منصور، المدينة المنورة، ١٩٨٧م.

ابن شهر اشوب، مشير الدين أبو عبد الله، مناقب ال ابي طالب، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦هـ، الناشر المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف.

ابن طاووس، أبو المظفر غياث الدين، فرحة الغري، تحقيق: محمد مهدي نجف، الناشر العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الاولى المحققة، سنة ١٤٣١هـ، المطبعة: التعارف.

ابن قولويه، جعفر، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، ط١، سنة الطبع: ١٤١٧هـ، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الثقافة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين،لسان العرب، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، الناشر: أدب الحوزة، قم - ايران.

أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث.

أبو شيبة، عبد الله بن محمد بن ابي شيبة، مصنف ابن ابي شيبة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

الاحلام، الشيخ علي الشرقي ط١، الناشر: شركة الطبع والنشر الاهلية ذ ذ م بغداد.

الاربلي، ابن ابي فتح، كشف الغمة، ط٢ سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، الناشر: دار الاضواء - بيروت.

الاردبيلي، محمد علي، جامع الرواة، الناشر: مكتبة المحمدي.

الأزري، كاظم التميمي، ديوان الأزري الكبير.

اسد حيدر، الامام الصادق، الناشر دار الكتاب العربي، ط٢، سنة: ١٩٦٩م.
أسد حيدر، الفقه على المذاهب الأربعة، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
الاسدي، ثورة النجف،منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة ١٩٧٥/بغداد.
الأسدي، محمد هادي، الإمام الحكيم، الناشر مؤسسة افاق للدراسات والابحاث العراقية،ط١، سنة ٢٠٠٧.
الاصفهاني، محمد مهدي الكاظمي، تحفة الساجد في أحكام المساجد، الطبعة الاولى، مطبعة المعارف-بغداد ١٣٧٦هـ.
الامين، محسن، اعيان الشيعة، حققه: حسن الامين، طبع على مطابع مؤسسة جواد للطباعة والتصوير.
الايوبي، عبد الرحمن نور جان، المساجد الاسلامية، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
البراقي، حسين احمد، تاريخ الكوفة، تحقيق: ماجد احمد العطية، استدراكات: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، ١٤٢٤هـ، الناشر انتشارات المكتبة الحيدرية.
البروجردي،آغا حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ١٣٩٩هـ، قم - إيران.
بروكلمان، تأريخ الأدب العربي،الاشراف والترجمة: محمود فهمي حجازي، نقله الى العربية د عبد الحميد النجار، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي.
البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق ونشر وفهرسة: د. صلاح الدين المنجد، سنة الطبع: ١٩٥٦م، المطبعة: مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر مكتبة النهضة المصرية/القاهرة.
البهادلي، علي احمد، الحوزة العلمية في النجف، الناشر دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت،ط١، سنة ١٩٩٣.
البهادلي،علي أحمد، الحوزة العلمية في النجف الاشرف.
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي،السنن الكبرى، دار الفكر.
الثقفي، ابراهيم بن محمد، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الامرموري المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن، ايران.
جامعة النجف الدينية، الطبعة الاولى، مطبعة الغري الحديثة في النجف.
الجبوري، عبدالله، المستدرك على الكشاف.

الجبوري، كامل سلمان، مجلة السفير، (الكوفة في صفحات التاريخ)، ص ١٠، السنة الثانية العدد السابع ربيع الاول ١٤٣٢هـ- اذار ٢٠١١م.
جرجي زيدان، تأريخ آداب اللُغة العربيّة، راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، دار الهلال ١٩٥٧.
الجنابي، كاظم، تخطيط مسجد الكوفة، رسالة دكتوراة.
الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، تحقيق وتعليق: عباس القوجاني، ط٢، سنة الطبع: ١٣٦٥هـ، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الاسلامية/طهران.
الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبى، ط٥، سنة الطبع: ١٢٨٥هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف.
الحج والعمرة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري. طبع ونشر: دار الحديث.
الحدائق النضرة، المحقق البحراني، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث بقم المشرفة، ط٢، سنة الطبع١٤١٤، المطبعة: مهر قم.
حرز الدين، محمد، مراقد المعارف، الناشر سعيد بن جبير للطباعة والنشر، ط٢ سنة ١٣٨٠، المطبعة: شريعت.
الحساني، حسين جهاد، المدارس الدينية، منشورات مركز الامير للتحقيق والتراث.
الحسني، هاشم معروف، سيرة المصطفى،ط٢ سنة: ١٩٧٨م، دار القلم بيروت.
حسين مؤنس، المساجد، موسوعة عالم المعرفة.
الحسيني، محمد حسين، الروح المجرد، تعريب: عبد الرحيم المبارك، الناشر: دار المحجة البيضاء، ط٢، ستة: ١٤٢٣.
الحكيم، حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف، الناشر المكتبة الحيدرية/قم، ط١، سنة: ١٤٣٧.
الحكيم، عبد الهادي، حوزة النجف الاشرف.
الحلي، ابن داود، رجال ابن داود،: ٢٩، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية- النجف الأشرف.
الحلي، أبو منصور بن يوسف بن المطهر، تحريرالاحكام، تحقيق: الشيخ ابراهيم البهاذري، اشراف: جعفر السبحاني، ط١ سنة ١٤٢٠هـ، الناشر مؤسسة الصادق عليه السلام، قم-ايران.

الحلي،الحسن بن يوسف بن المطهر، تذكرة الفقهاء، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، سنة الطبع ١٤١٤هـ، مطبعة مهر- قم.

الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، سنة الطبع: ١٣٩٩هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان.

الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب.

الخاقاني، علي، شعراء الغري، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف /١٩٥٤.

الخرسان، عبد المطلب، مساجد و معالم من العتبة العلوية المقدسة، منشورات العتبة العلوية المقدسة ٢٠٠٩م..

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة،منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت، ط٢، سنة: ١٩٨٧م.

الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، مطبعة الاداب في النجف الاشرف.

الدجيلي، جعفر، موسوعة النجف الاشرف، مشاهدات الرحالة نيبور، دار الاضواء، ط١ سنة١٩٩٣م، بيروت-لبنان.

الديلمي، إرشاد القلوب،تحقيق: هاشم الميلاني، اعداد: مركز الابحاث العقائدية.

الزبيدي، محب الدين، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، سنة الطبع ١٩٩٤م،طبع ونشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت -لبنان.

الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، طبعة دار المعارف، ودائرة المعارف الإسلامية للأعلمي.

الزراري، أبو غالب، تاريخ آل زرارة، سنة الطبع: ١٣٩٩هـ مطبعة رباني، أيران.

الزركلي، خيرالدين، الاعلام، الناشر: دار العلم للملاين بيروت، ط٥، سنة: ١٩٨١.

زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله الى الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجع ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، سنة الطبع: ١٩٦٤.

زين العابدين، الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)الصحيفة السجادية، مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر، قم، ايران.

السبحاني، جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ط١، ١٤٢١هـ، الناشر: مؤسسة

الإمام الصادق(ع) قم -ايران.
سعاد ماهر، مشهد الامام علي، دار العارف، مصر.
الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلامة الاميني، الناشر المولف، ط١، سنة الطبع: ١٤١٧.
شبر، محمد امين، المدرسة الشبرية، المؤسسة الشبرية لاحياء التراث.
شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت، ط١، سنة: ١٤٢٢هـ، المطبعة: ليلى.
الشريف الرضي، خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الاميني، سنة الطبع: ١٤٠٦، الناشر: مجمع البحوث الاسلامية/الاستانة الرضوية المقدسة/مشهد.
الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين مكي العاملي، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، المطبعة: ستارة - قم.
الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي، شرح اللمعة، تحقيق: محمد كلانتر، ط١، سنة ١٣٨٦، الناشر منشورات جامعة النجف الدينية.
الشهيد الثاني، منية المريد، تحقيق: رضا المختاري، ط١ سنة ١٤٠٩هـ، طبع ونشر: مكتب الاعلام الاسلامي.
صحيفة النجف الاشرف، العدد ٣ في ٢٠١٠م.
صحيفة الوفاق الصادرة في طهران باللغة العربية.
الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول،ط٢، مكتبة النجاح ١٩٧٥م، طهران- أيران.
الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، من لايحضره الفقيه، تحقيق ونعليق: علي اكبر الغفاري، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
الصدوق، أبو جعفر، الخصال، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٤٠٣، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، ط١ سنة ١٤١٧هـ، الناشر مركز الطباعة والنشر والتوزيع في مؤسسة البعثة، قم-ايران.
الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.
الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي.

الطالقاني، موسى، ديوان السيد موسى الطلقاني.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، تحقيق وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الاجلاء، ط ٤، سنة الطبع ١٤٠٣هـ، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
الطريحي، محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة، الطبعة الثالثة، المجمع العلمي الفاطمي، اكاديمية الكوفة ٢٠١٠م.
الطهراني، اغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة،ط٣، سنة: ١٤٠٣، الناشر: دار الاضواء/بيروت.
الطهراني، اغا بزرك، طبقات اعلام الشيعة، القسم الثالث، الناشر مؤسسة اسماعيليان، المطبعة اسماعيليان.
الطوسي، أبو جعفر، اختيار معرفة الرجال،تصحيح وتعليق: مير داماد الاستربادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، سنة الطبع: ١٤٠٤، الناشر مؤسسة ال البيت لاحياء التراث.
الطوسي، أبو جعفر، تهذيب الاحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣، سنة الطبع: ١٣٦٤هـ، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الاسلامية، طهران.
الطوسي، أبو جعفر، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، ط١، سنة ١٤١٥.
الطوسي، أبو جعفر،الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية،مؤسسة البعثة،قم، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع/قم.
العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الاعظم، انتشارات (جامعة المدرسين) في قم، ١٤٠٢هـ ق، قم –ايران.
عبد الرحمن نورجان، المساجد الاسلامية، الايوبي، مطبعة المعارف /بغداد/ ١٩٥٨.
عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة واللفنون والآداب الكويت، ١٩٨٨.
العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، الناشر: دار الجيل- بيروت.
الغروي، محمد، الحوزة العلمية في النجف الاشرف،الطبعة الاولى ١٩٩٤، دار الاضواء بيروت لبنان.
الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من اعلام الفكر والأدب، ط١ سنة ١٤١٩.
الفتلاوي، كاظم عبود، مشاهير المدفونين، منشورات الاجتهاد، قم، ط١، ٢٠٠٦.
الفرطوسي، صلاح، مرقد وضريح الإمام أمير المؤمنين، منشورات العتبة العلوية المقدسة ٢٠١١م..

الفضلي، دليل النجف الاشرف، منشورات مكتبة التربية في النجف الاشرف، مطبعة الاداب في النجف.
الفضلي، عبد الهادي، التدريس في النجف، دائرة المعارف الاسلامية الشيعية.
القمي، عباس، الكنى والألقاب، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، سنة: ١٤٣٥، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
القمي،عباس، مفاتيح الجنان، دار المرتضى/بيروت. لبنان،ط١ / ٢٠٠٦..
القندوزي، سليمان بن ابراهيم، ينابيع المودة، تحقيق: علي جمال اشرف الحسيني، ط١، سنة ١٤١٦، المطبعة: اسوة، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.
القواعد والفوائد، الشهيد الاول، تحقيق: السيد عبد الحكيم، الناشر: منشورات مكتبة المفيد/قم.
كاشف الغطاء، ضياء،علي بن ابي طالب والنجف الاشرف.
كاشف الغطاء، محمد حسين، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، تحقيق: د جودت القزويني، ط١، ١٩٩٨، نشر: بيسان للنشر والتوزيع.
الكاظمي، أحسن الوديعة، منشورات المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف، ط٢، ١٩٦٨.
الكليني، أبو جعفر، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران -ايران.
الكوراني، علي، الى طالب العلم،الطبعة الاولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠..
الكوفي، عبد الرزاق طعمة، تاريخ مسجد الكوفة، ط١، سنة ١٩٧٤، مطبعة النعمان/ النجف الاشرف.
لجنة الحديث معهد باقر العلوم (عليه السلام)، سنن الإمام علي (عليه السلام)، ط١، سنة الطبع: ١٢٨٠هـ، المطبعة: اعتماد، الناشر: نور السجاد.
المازندراني، محمد صالح، شرح اصول الكافي، تحقيق وتعليقات: الميرزا أبي الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عالشور، طبع ونشر: دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،بيروت – لبنان ٢٠٠٠م.
مجلة التوجيه، العدد الثاني، السنة الاولى ١٣٧٥هـ.
مجلة النجف الاشرف العدد ٢٨ في ٢٠٠٥م. صادرة عن مؤسسة المرتضى للثقافة والارشاد.
مجلة الولاية، الصادرة عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة العلوية المقدسة.
مجلة لغة العرب، الجزء٩ من السنة الثانية عن ربيع الثاني سنة١٣٣١هـ - آذار ١٩٣٣م.

المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط٢، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان.

مجمع البحرين، الشيخ عبد المولى الطريحي، تحقيق: السيد احمد الحسيني، ط٢، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ، الناشر: مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها،ط٢، سنة: ١٩٨٦م، دار الاضواء بيروت.

المدرسة الغروية تفتح ابوابها من جديد، كراس من أصدار العتبة العلوية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

المدينة الاسلامية، محمد عبد الستار عثمان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة واللفنون والآداب الكويت، ١٩٨٨..

المرتضى، علي بن الحسين، الانتصار، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

المزي، جمال الدين ابن الحاج يوسف، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق: د بشار عواد معروف، ط٤، سنة ١٤٠٦، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب، الناشر الشريف الرضي، ط١، سنة الطبع: ١٣٨٠، المطبعة: شريعت.

المشهدي، محمد بن جعفر، فضل الكوفة ومساجدها، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، الناشر: دار المرتضى - بيروت.

المشهدي، محمد بن علي، المزار، تحقيق: محمد باقر الابطحي، ط٢، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ط١، ٢٠٠٣م، مطبعة اسوة، الناشر مؤسسة دار الكتاب الاسلامي.

المنتظري، حسين علي،البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر، ط٣ سنة ١٤١٦هـ، المطبعة: نكين/قم، الناشر، مكتب اية الله العظمى المنتظري.

الموصلي، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث..

موقع سماحة الشيخ جلال الدين الصغير على شبكة الانترنت.

موقع مؤسسة الامام الخوئي الألكتروني.

الميلاني، هاشم، مكتبة الروضة الحيدرية،منشورات الاجتهاد قم، توزيع الغدير للطباعة والنشر والتوزيع.

النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي، رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشرالاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٥، ١٤١٦.

النقدي، الشيخ جعفر، الأنوار العلوية والاسرار المرتضوية، ط ١ سنة الطبع: ١٣٨١هـ، الناشر: المكتبة الحيدرية – النجف، المطبعة الحيدرية.

نهج البلاغة، تحقيق هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة مكتبة الروضة الحيدرية.

النوري، الميرزا، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث/بيروت /لبنان.

النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.

هدّو، حميد مجيد، كمال الحيدري قراءة في السيرة الذاتية.

الهلالي، معجم العراق.

الهيثمي، مجمع الزوائد، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

الهيثمي، منور الدين علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

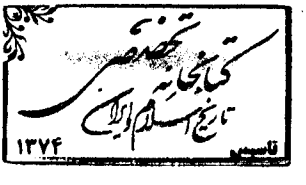
کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

المحتويات

الإهداء ٦
مقدمة الأمانة ٧
مقدمة المؤلف ١١
مدخل البحث ١٧
التعلم.. وظهور المدارس الاسلامية ١٧
١- التعلم وطلب العلم ١٧
٢- أولى المدارس في الاسلام ٢١
٣- الكوفة عاصمة العلم والمعرفة ٢٤

الفصل الاول : المسجد مدرسة الأسلام الاولى ٢٩
المبحث الاول: المسجد في الأسلام ٣١
١- في معنى لفظة مسجد ٣١
٢- انواع المساجد ٣٢
٣- معمارية المسجد ٣٤
٤- المسجد وطلب العلم ٣٩
٥- مساجد معظمة ٤٠
٦- مساجد الكوفة ٤٥
المبحث الثاني: مسجد الكوفة المعظم ٤٨
اولا: ادوار المسجد التاريخية ٥٠
ثانيا: مقامات مسجد الكوفة ٥٩
المبحث الثالث: الكوفة والحركة العلمية ٧١

أولا: نشأة المدينة العلمية ٧١
ثانيا: أستاذ الكوفة الاول ٧٣
ثالثا: مدرسة الامام الصادق عليه السلام ٧٨
رابعا: مدينة الكوفة ونشاط الحركة العلمية ٨٠
خامسا: أسر الكوفة العلمية ٨٢
سادسا: الصحابة الذين نزلوا في الكوفة ٨٦
سابعا: الكوفة وعلم النحو ٨٩
ثامنا: خزائن الكتب والمكتبات ٩٤

الفصل الثاني: ظهر الكوفة واتساع المدرسة االكبرى ٩٧
المبحث الاول: انتظام الدرس الحوزوي ٩٩
١- ظهر الكوفة.. والشيخ الطوسي ٩٩
٢- الحوزة العلمية ١١٠
المبحث الثاني: مدرسة الروضة الحيدرية ١٢٣
١- نشأة مدرسة.. وتكملة درب ١٢٣
٢- المحاور الثقافية لمدرسة الروضة الحيدرية المقدسة ١٣٠
المبحث الثالث: مساجد الروضة الحيدرية المقدسة ١٥٢
١- مسجد عمران بن شاهين ١٥٣
٢- مسجد الرأس ١٥٦
٣- مسجد الخضراء ١٥٩

الفصل الثالث: النجف الاشرف، المدرسة والجامعة ١٦٣
المبحث الاول: مدارس النجف الاشرف الدينية ١٦٥
اولا: شروط السكن، ووقفية الواقف ١٦٧

ثانيا: مدارس متعددة الجنسيات ١٧٥
المبحث الثاني: إطلالة على مدارس النجف الدينية ١٧٩
المبحث الثالث: مكتبات النجف أمتداد الماضي والق الحاضر ٢٤٥

خاتمة البحث ٢٧١
المصادر والمراجع ٢٧٥
المحتويات ٢٨٥